الأزرق بن علّو

الرحلة

أساطير، تاريخ، أدب، حكايات



الرحلة

أساطير ، تاريخ ، أدب ، حكايات

الرحـــــلة

أساطير ، تاريخ ، أدب ، حكايات

الازرق بن عَلّو

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

الكتـــــاب : الرحلة "أساطير، تاريخ، أدب، حكايات"
المؤلـــــف : الأزرق بن علّو
رقـم الإيداع : ٢٠٠١/٧٥٠٥
الترقيم الدولـي : ISBN
977 – 303 – 345 - 3
تـاريخ النشـر : ٢٠٠١
للمؤلف : دار قباء
للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة :
٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون
الدور الأول - شقة ٦
☎٦٣٦٢٥٦٢ – فاكس/ ٦٣٧٤٠٣٨
المكتبـــــة :
١٠ شارع كامل صدقي الفجالة (القاهرة)
☎ ٥٩١٧٥٣٢ / ✉ ١٢٢ (الفجالة)
المطابـــــع :
مدينة العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية (C1)
☎ ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

www. alinkya.com/kebaa
e-mail: qabaa@naseej.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

هـل تـودّ أيها القارئ الكريم أن ترافقني في جولة ممتعة نستهلها بعرض بعـض الأساطير التي كان يلجأ إليها الإنسان في العهود الغابرة، محاولاً أن يفسر كيفيـة نشوء العالم، ساعياً لإدراك الظواهر الطبيعية، وقوى الخير والشر، ومعنى الحيـاة والمـوت والخـلود . وكانت هذه الأساطير تعبر كذلك عن مخاوفه وآماله وكفاحه من أجل البقاء.

وننـتقل مـن عـالم الخـوف والجهل والخرافات إلى عالم بدأت فيه بوادر المعـرفة والحكمة تنير مسيرة الإنسان، فنلقي نظرة على ما ترويه التوراة (العهد القديـم) عـن رحلة سيّدنا إبراهيم (عليه السلام) من مدينة أور، ثم من حران، بصحبة أسرته وابن أخيه لوط (عليه السلام)، إلى أرض كنعان، وسفر سيدنا إبراهيم إلى مصر.

ثـم نتابع قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) وإخوته، ومع "الغاوية" في مصر كما ترويها التوراة. وننتقل إلى عهد آخر لنلم بحياة سيدنا موسى (عليه السلام) وهو يناضل من أجل تبليغ رسالته للفرعون، وخروجه مع العبرانيين من مصر، وتلقيه الوصايا العشر. بعد ذلك نتتبع بوذا الحكيم وهو يبحث عن الحقيقة، عن مغزى الحياة وعن خلاص الإنسان من الخطيئة والشقاء؛ ونلتفت إلى المعلم العظيم كونفوشيوس، وهو يسعى جاهداً ليعلّم الساسة والمواطنين كيف يربطون أعمالهم بالقيم الأخلاقية.

ونلـتقي بسقراط، فيلسوف اليونان العظيم، الذي ظل ينتظر بشجاعة اللحظة التي يتناول فيها جرعة السم، بعد أن حكم عليه بالموت، بتهمة إهمال الآلهة وإفساد عقـول الشـباب. وننصت إلى حوار بين الإسكندر المقدوني والفيلسوف المتقشف "ديوجينس"؛ ونتدبر معاً حياة سيدنا المسيح كما يرويها الإنجيل.

بعـد ذلـك نـتطرّق إلى دنيا الملوك وساحة الغزاة ، عالم البناء والصراع والحـروب، فنبـتهج بمـا خلفوا لنا من حضارة وعمران، ونأسى لما تسببت فيه حـروبهم مـن وحشية ودمار. نشاهد الملك حمورابي وهو يجمع القوانين وينقشها عـلى لوحـة صخرية، ونستمع إلى الفرعون الشاب أخناتون وهو ينادي بوحدانية

الإلـــه أتـــون "الشـــمس"، ويمجده بإيمان عميق وعبارات صادقة؛ ونتابع الفرعون رمســـيس الكبير، صاحب معركة قادش، الذي شيد أكبر عدد من المباني والمعابد لتخـــليد اسمه. ونراقب عن كثب الملك نبوخذ نصر، صاحب الحدائق المعلّقة، وهو يغـــزو مديـــنة أورشـــليم وينقل عدداً من سكانها إلى بابل؛ ونرحل إلى أثينا لنلتقي بالـــزعيم بركـــليس وعشيقته أسباسيا، وهو الحاكم الذي ازدهرت في عهده أثينا . ونرافق الفتى الطموح ، الإسكندر المقدوني في حملته ضد مصر وفارس؛ والبطل القـــرطاجي حنـــبعل العظيم الذي قاد جيشه عبر جبال الألب وغزا الروم في عقر دارهم.

ونـــلقي نظـــرة على حياة الإمبراطور يوليوس قيصر الذي جمع بين الحنكة العســـكرية والـــبراعة السياسية، وبلاغة اللسان، والقوة البدنية؛ ونلتفت إلى الملكة كـــليوباترا التي سحرت قائدين من أعظم قواد روما؛ ونواصل جولتنا لنتعرّف على ملوك وقواد آخرين ليسوا أقل أهميّة ممن سبقهم، مثل نيرون، جنكيزخان، نابليون وغيرهم.

نســـلك دربـــاً آخـــر لنتعرّف على عدد من رجال العلم والأدب ممن أناروا دروب الفكـــر، واكتشفوا مجالات جديدة من حياة الإنسان وعالمه الأوسع. هيا بنا نجـــالس الشاعر اليوناني الكبير هوميروس لنطّلع على نبذة من ملحمتيه الخالدتين الإليـــاذة الـــتي تحدّثـــنا عن حرب طروادة، والأوديسة التي تقص علينا مغامرات أوليس، أحد أبطال طروادة.

ونرحل إلى عهد آخر من الزمن لنلتقي بالشاعر دانتي، ونستمع إلى نبذة من كتابه "الكوميديا الإلهية"؛ كما نسعد بلقاء شاعرين عظيمين هما بوكاتشو وتشوسر، وقد تركا لنا مجموعة من الحكايات المسلّية؛ ونقف لحظة مع المصلح الديني الثائر مـــارتن لوثر؛ ونتتبع حياة العالم غاليلي وما لقي من الكنيسة من متاعب وضغوط بســـبب نظـــرياته العلمية؛ وننصت باهتمام إلى ما كيافيلي وهو يلقي على مسامعنا بعض نصائحه التي تجعل المصلحة الشخصية فوق أية اعتبارات أخلاقية.

لـــنحي الآن الشـــاعر العالمي شكسبير، ونصافح عدداً من الشعراء والكتاب ممـــن تـــركوا آثـــاراً عميقة على الأدب الإنكليزي والفرنسي مثل بيكون وملتون

وموليير ولافونتان وغيرهم؛ ونرحب بالعالم نيوتن الذي أكد لنا من جديد بأن كوكبنا ليس إلا جزءا صغيرا جداً من الكون الفسيح، وأن الشمس هي مركز عالمنا؛ ونستعرض نبذة من حياة بعض الكتاب والفلاسفة الذين أثروا الفكر الإنساني مثل فولتير: جوتي، هوجو، داروين، تولستوى، فرويد وغيرهم.

ويحق لنا أن نستمتع ببعض ما أنتجه هؤلاء الشعراء والعلماء، فنستعرض موجزاً من حكايات بوكاتشو وتشوسر حول دهاء النساء وسلوك بعض القساوسة؛ ونستمع إلى نبذ من مسرحيات شكسبير، وقصتي ملتون، الفردوس المفقود، حول الصراع بين حواء وآدم والشيطان وخروجهما من الجنة، والفردوس المسترد، الذي مثل انتصار السيد المسيح (عليه السلام) على إغراء الشيطان.

بعد ذلك نقضي لحظات مع الشاعر لافونتان وهو يلقي علينا حكاياته المسلية التي لا تخلو من نصائح وحكم ومواعظ؛ ومع الكاتب الساخر سويفت لنرافقه في "رحلات جاليفار" الخيالية التي تسلي الصغار، وتعلم البالغين أموراً كثيرة عن سلوك الإنسان وشؤون الحياة؛ ونصغي إلى فولتير وهو يثري تجاربنا بالحكم والتجارب الإنسانية التي تفيض بها قصصه.

ونشاهد نبذة من مسرحية جوتي "فاوست" التي تعرض علينا مشاهد من الصراع القديم بين الخير والشر، وطموح الإنسان الذي يبيع نفسه للشيطان؛ ونطالع قصة تولستوى "النساك الثلاثة"؛ وحكاية "آكل المحار"؛ ومغامرة الرجل الذي خرج من قبره، وغيرها من الحكايات الممتعة، مثل قصة تمثال "الأمير السعيد" الذي انفجر قلبه الحديدي بسبب ما شاهده من حرمان الفقراء وقساوة الأثرياء.

ونتعرف في ختام جولتنا على عدد من النساء اللواتي تركن بصماتهن على سجل التاريخ؛ ونتدبّر بعض تعاليم الهندوسيّة، الديانة الغنية بآلهتها وثقافتها ومعتقداتها؛ ثم نلقي نظرة على عجائب العالم القديم، والألعاب الأولمبية التي كانت تنظم في عدد من المدن اليونانية منذ القرن الثامن قبل الميلاد؛ ونتوجّه بعد ذلك إلى القارة الأمريكية لنطالع أخبار السكان الأوائل وهم يجوبون ربوع القارة

الفسيحة طيلة آلاف السنين، ليستقروا في النهاية وينشؤوا حضارات ازدهرت قرونا طويلة إلى أن دمرها المستعمرون الأسبان.

ننـــتقل بعد ذلك إلى منطقة أخرى لنتتبع حملات الصليبيين الذين عاثوا فساداً فـــي الأراضـــي المقدسة طيلة قرنين تقريباً؛ نتبع ذلك بسرد بعض تعاليم الكنيستين الكاثولكيـــة والأرثوذكسية؛ ثم نستمع إلى "نبي" المرمون يحدثنا عن رسالته وتعاليم كنيســـته؛ يتلو ذلك موضوعات أخرى منها أقوال مأثورة عن المرأة والحب والمال والـــزواج؛ وفكرة عن بعض الخرافات الشائعة؛ وفي نهاية المطاف نلقي نظرة إلى كوكبـــنا الجميل وهو يحلق حول الشمس، وهي تسبح على جناح من أجنحة مجرة تحتضن مئات ملايين النجوم .



القسم الأول

أساطير الأولين

أساطير الأولين



◈ كيف خلق العالم :

ذهبت الشعوب القديمة في جميع أصقاع الأرض، كل مذهب في تصوراتها لكيفية نشوء العالم، وذلك انطلاقاً من ظروفها المعيشية والاجتماعية والبيئية. فهناك أسطورة تقول بأن المياه كانت تملأ العالم في حالته الأولية، وأنه كان يوجد حيوان، فطلب الإله من هذا الحيوان أن يغوص في الماء ويأتيه بكمية من الطين. ومن هذا الطين خلق الإله السماء والأرض وجميع المخلوقات. وتقول أسطورة أخرى بأن العالم نشأ من بيضة ضخمة، لأنّ البيضة تشتمل على جميع عناصر الحياة. وقد لقح الإله هذه البيضة ، وقسمها شطرين صنع من أحدهما الأرض ومن الآخر السماء، ثم صنع الذكر والأنثى من كلّ جنس.

وتفترض أسطورة أخرى أن الأرض (التي ترمز للأنثى) والسماء (ترمز للذكر) كانا موجودين في حالة "هيولي" بدائية لا شكل لهما قبل نشوء العالم؛ ولكنهما كانا في حالة تلاصق "جنسي". وبعد أن نشأ العالم والخلق من هذين "الزوجين"، تسبب ذلك في تباعدهما. وتوجد أسطورة أخرى تفيد أن المادة الأولية التي نشأ منها العالم كانت بلا شكل ولا حدود، ولكنها كانت تشتمل على قوة خلق ذاتية، مثلما ينشأ الجنين في بطن أمه. ونشطت حركة المادة وقوة الخلق فنشأ من ذلك العالم والمخلوقات. وهناك أساطير عديدة، تقول إحداها أن الإله طلب من النجوم أن تتزاوج، فخلق العالم من تزاوجها؛ وتشير أسطورة مردوك (إله بابل) إلى أنه بعد أن تغلب على تيامات (إلهة العقاديين)، يقسم جثتها قسمين فيصنع السماء من نصفها ويصنع الأرض من النصف الآخر.

وتروي إحدى أساطير بلاد اسكاندنافيا في قديم الزمن أنه كان يسود شمال هذه البلاد سديم وثلوج وجليد، وفي جنوبها كانت أشعة الشمس تدفئ الأرض وتنعشها. وتفاعلت حرارة الجنوب بثلوج الشمال وجليدها فنشأ من ذلك عملاق

جبار ونشأت معه بقرة كبيرة لتغذيته. وذات يوم ظهر من الثلوج الإله "بوري" الذي تزوج وأنجب ثلاثة آلهة تعاونوا على قتل العملاق، وقطعوه إربا فأنشأوا الأرض من جسمه، والبحار من دمه، والجبال من عظامه، والأشجار من شعره، والسماء من جمجمته، والسحب من دماغه.

وجاءت الديانات السماوية فأكدت أن الخالق واحد لا شريك له، وأنه "إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون". ويتحدّث العهد القديم (الكتاب المقدّس لدى اليهود) عن كيفية الخلق فيقول "في البدء خلق الله السماوات والأرض...، وقال الله ليكن نور..." (اليوم الأول). "وقال الله ليكن جلَد (السماء)" (اليوم الثاني). "وقال الله لتتجمع المياه تحت السماء في مكان واحد وليظهر اليبس... وسمى الله اليبس أرضاً، وتجمع المياه سماه بحارا..."، (اليوم الثالث). "وقال الله ولتكن نيّرات في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل..."، (اليوم الرابع). ويستمرّ العهد القديم في سرد قصّة خلق المخلوقات مثل الحيتان والطيور والحيوانات الأخرى، والإنسان، وأصناف النبات في اليومين الخامس والسادس، واستراح الله في اليوم السابع.

◈ جلجميش :

بطل هذه الملحمة رجل أرعبه الموت فراح يسعى لتحقيق الخلود في الدنيا. ولطالما حلم الناس بالخلود منذ القدم، وفتشوا عن وسيلة لإعادة الشباب. وكذلك فعل جلجميش الذي خاض مغامرات ونهض بأعمال جبارة، ليتجاوز قوانين الآلهة الذين حكموا على الإنسان بالفناء. وحكاية جلجميش أقدم ملحمة في العالم إذ يعود تاريخها إلى أكثر من ألفي سنة ق.م. وإن سجلت في صيغتها الكاملة حوالي القرن السابع ق.م.

وجلجميش شخص حقيقي حكم منطقة أوروك URUK في جنوب بلاد ما بين النهرين في النصف الأول من الألف الثالثة ق.م. غير أنّ الملحمة تقول إنه كان نصفه بشر ونصفه إله، وذلك شأن كثير من الأبطال في الأساطير، وأنه حكم مملكته بقوة، وكان يعلم ما في الأرض وما في البحار. ولذلك أعجبت به ISHTAR، إلهة الحب ورغبت في الزواج منه. كما اغتاض منه الإله ANU،

فأرسل له بطلاً اسمه إنكيدو ليقضي عليه. ولكن جلجميش صارعه وتغلب عليه، فأصبح انيكدو صديقاً حميماً له.

أما الإلهة ISHTAR فقدغضبت عندما رفض الزواج منها، وأرسلت له ثوراً إلهياً جباراً ليقتله. واستطاع بطل الملحمة أن يقضي على الثور، هذه المرة بمساعدة صديقه إنكيدو. قررت ISHTAR أن تنتقم من صديقه فسلّطت عليه مرضاً قاتلاً أودى بحياته. أصيب جلجميش بصدمة، وراعه أن يراه جثة هامدة، وأرعبه شبح الموت، فقرر أن يفتّش عن سرّ الخلود. كان قد سمع برجل نجا وأسرته من حادث طوفان عظيم وكتب له الخلود ، فراح يبحث عنه. حدثه هذا الرجل عن هذا الطوفان العظيم الذي قضى على البشر، وأن أسرة واحدة نجت لينشأ منها خلق جديد. وفي النهاية يكشف الرجل لجلجميش عن سرّ الخلود، فيصف له نبتة تنمو في أعماق البحر تعيد له الشباب. وغاص البطل في البحر وعاد بالنبتة، غير أنه أثناء عودته إلى بلاده، وفي حين غفلة منه، سرقت منه أفعى تلك النبتة السحرية، فرجع إلى مملكته يخفي حنين. وفي النهاية يزوره شبح صديقه إنكيدو، فيحدثه عن متاعب العالم الآخر، ويؤكد له أنّ الخلود صعب المنال لأن الموت نهاية كل مخلوق.

◈ كريشنا :

إله هندي، بل إله الآلهة، يسيطر على النار والبرق والعواصف. وهو بطل قوي جبار، قهر الشياطين، وحارب الأفعى التي كانت تضع سمها في نهر يامونا. كان محبوباً لدى راعيات الغنم وتزوج ألفاً منهنّ. بلغ عدد زوجاته 16100، وعدد أولاده 180.000 طفلٍ اشتعلت حرب طاحنة داخل قبيلته فأصيب بسهم في مؤخر قدمه، وهي نقطة الضعف الوحيدة في بدنه، توفي بسبب ذلك وصعد إلى السماء.

◈ شيفا :

أحد آلهة الهندوس الرئيسية، تميز بخصائل عديدة متناقضة. فهو رحيم ومنتقم ينعش الحياة ويدمّرها. تروي الأساطير أن عيونه مملوءة بالأفاعي لأنه إله الظلام كذلك، وأن له عينا ثالثة يصعق بها كل شيء يركز عليه نظره. يشاهد هذا

الإلـــه، في تماثيله ورسومه، وقد وضع حول عنقه حلقة مرصعة بالجماجم، يحمل في إحدى يديه (يكون له أحياناً أربع أيدي) رمحاً مثلثا وفي الأخرى غزالاً.

◈ أبولو :

كـــان لأبولـــو مركز عظيم عند اليونانيين والرومان. فهو الإله الذي تخشاه الآلهة، يجلب الشمس في موسم الربيع؛ يسلّط الأوبئة على من يشاءّ؛ إله المحاصيل والأغـــنام، إلـــه الموسيقى والشعر؛ يهب الخلود لمن يشاء؛ كان قوسه القوي رمزاً للموت والرعب؛ ومع ذلك فهو شاب وسيم استطاع أن يغري كثيراً من الإلهات.

نقـــم عليه الإله زيوس، كبير آلهة اليونان، فسلط عليه محناً عديدة، منها أن يبني أسوار مدينة طرواده. أحب أبولو امرأة لكنها رفضت حبه، فهربت إلى الغابة وتحولت إلى شجرة رند. واشتهر بقتله التنين الذي نشر الرعب في قلوب السكان.

◈ بعل :

إلـــه الكـــنعانيين والفينيقيين ، وقد انتشرت معابده في الشرق الأوسط. دخل معـــركة ضـــد إله الحرب والجدب، وكان إذا تغلب عليه ازدهرت غلات الأرض، وكذلـــك إنجاب السكان والحيوانات. من مميزاته أنه يموت ثم يبعث حيا لأنه يمثل انتعاش النباتات بعد زوالها. ودافع بعل كذلك عن البحارة، فحارب إله البحر وقتله، لأنه كان لا يسمح للبحارة بركوب البحر.

◈ هرقل (هيركول) :

هـــرقل أشـــهر أبطـــال الأساطير اليونانية. مارس فنون القتال منذ صغره، واشـــتهر بقوتـــه الـــبدنية، فلم يغلبه حيوان ولا إنسان. فقد كان يقضي على أعدائه الجـــبابرة، ويصـــرع أقوى الوحوش. وتروي الأساطير أن الآلهة خيّرته وهو ما يزال شاباً بين حياة الراحة والمتعة، وحياة المشقة والمجد، فاختار هذه الأخيرة.

وقـــد بدأت متاعبه عندما قرر أبوه Zeus (Jupiter عند الرومان) إله الآلهة أن ينصبّه ملكاً، فاستولت الغيرة على هيرا (Hera) زوجة ZEUS وإلهة أوليمبيا، وحقـــدت عليه وهو لا يزال رضيعاً، فوضعت في مهده حيتين بقصد التخلص منه. وتروي الأسطورة أن هرقل الصبي قضى عليهما بيديه.

كبر الشاب البطل وتزوج وكان له أولاد. ولكنه ذات يوم، في ثورة عصبية، قتل الزوجة والأولاد. فغضبت الآلهة وأجبرته على أن يمر بسلسلة من المحن القاسية، وينجز عدداً من المهام الشاقة (وكان قد اختار طريق المجد). وتروي الأساطير أن من بين هذه المهام والمغامرات ما يلي :

قتل الثعبان الناري ذي (التسعة رؤوس)؛ ذبح الخنزير البربري المخيف؛ أخذ التفاحة الذهبية من التنين، قتل العملاق كاكوس، القضاء على بوسيروس المفترس؛ كسر إحدى قرني أخيلوس الجبار؛ أن يخرج كربيروس، الكلب المارد الذي يحرس جنهم، إلى عالمنا؛ قتل الأسد الجبار ولبس جلده؛ أن يحرر بروميتيوس (سارق النار)؛ أن يقضي على قطاع الطرق في اليونان؛ أن يقتل الطيور آكلة البشر؛ أن يقبض على الثور الوحشي؛ أن يفصل بين جبلين (تقول الأسطورة إنهما "عمودا هرقل" عرفا فيما بعد بجبل طارق وجزيرة سويطا)؛ وأن يرفع السماء على كتفيه القويتين، وغير ذلك.

وعندما حاول القنطور أن يغتصب خليلة هرقل قتله. وبعد سنوات اكتشفت انه يخونها مع امرأة أخرى، فأرسلت إليه قميصاً مسموماً لتنتقم منه. وعندما لبسه هرقل بدأ لحمه يتآكل ويتساقط. ولم يشأ أن يموت مسموماً فرمى بنفسه في النار. وبعد موته قررت الآلهة أن تمجده لأنه قضى حياته في محاربة أعداء الإنسان.

◈ أوزيريس :

أوزيريس، أحد الآلهة في مصر القديمة. وهو إله قوي مسيطر، ولكنه طيب. فهو إله النباتات، يحي الأرض وينعش غلاتها. كان يكفل حياة الفراعنة، وكان يموت ثم يبعث حيا ليكون بعثه بعد الموت رمزاً لتجديد الفصول. وكان أخوه SET يحقد عليه، فتآمر عليه وقتله. وبذلت زوجته جهداً كبيراً لإعادته إلى الحياة، ونجحت في أن تنجب منه طفلاً لينتقم من الأعداء عندما يصبح قوياً. وانتشرت عبادة أوزيريس في الشرق الأوسط، وحتى في روما كانت تقام له الحفلات ذكرى لموته وبعثه لتجديد الفصول.

◈ **أمون – رع :**

كان أمون إله مدينة طيبة وما حولها. يرمز إليه برجل يلبس تنورة، وأحياناً يكون له رأس كبش. ثم ضم إليه الإله رع الذي يمثل الشمس، فأصبح الأول يدعى أمون – رع وزادت سلطته وشهرته . وقد خصص للإله أمون مركب فخم يتجول فيه مرة في السنة في نهر النيل ، يرافقه الفرعون ليزور المقابر والآلهة الموجودة على ضفة النيل الغربية.

◈ **أوديب :**

قصة أوديب من الأساطير اليونانية ، وتروي أن الآلهة أوحت إلى لايوس، ملك Thebes بأنّ ولده سيقتله. فأخذ ابنه إلى جبل وتركه هناك بعد أن أوثقه، ويقال إنه ربطه إلى شجرة. أنقذ أحد الرعاة أوديب الذي كان حظّه أن تبناه ملك CORINTH.

بينما أوديب مسافر ذات يوم التقى برجل تحداه للمبارزة، فقتله أوديب؛ وواصل سفره نحو مدينة Thebes فوجد أن أهلها يواجهون خطر الـ SPHINX، وهو في الأساطير اليونانية وحش ضخم له جسد أسد ورأس امرأة، (أبو الهول في مصر له جسد أسد ورأس رجل). وتروي الأسطورة أن هذا الوحش كان يأتي إلى المدينة ويطرح على أهلها لغزاً (أحجية)، فإن لم يعطوه الجواب هجم عليهم ليفترسهم.

وتعهد كريون Creon، حاكم Thebes أن يزوج أخته المطلقة جوكاسا لمن يحل اللغز المطروح هذه المرة وأن ينصبه ملكاً عليهم. واستطاع أوديب أن يحلّ اللغز، وبذلك انتحر الوحش، وأصبح أوديب ملكاً، وتزوج جو كاسا ورزق منها ولدان وبنتان.

ولكنه اكتشف أن المرأة التي تزوجها، جوكاسا، هي أمّه، وأن الرجل الذي قتله في الطريق إنما هو أبوه لايوس. وعندما تأكدت الحقيقة انتحرت أمه، أما أوديب ففقأ عينيه، وهام على وجه البسيطة.

هــذه هــي القصة التي يشير إليها فرويد في كلامه عن عقدة أوديب عندما يــتحدث عن حب الولد لأمه وكراهيته لأبيه. وهي حالة يمر بها الطفل حسب رأي فرويد بين 3 و 5 سنوات من العمر يشعر أثناءها بميل جنسي تجاه أبويه أي الولد تجــاه الأم والبــنت تجــاه الأب. ولكــن يبدو من قصة أوديب أن سبب قتله لأبيه وتزوجه من أمه ليس هو الكراهية أو الحب إذ كان عند ارتكابه الجريمة لا يعرف أنــه ســيقتل أباه، أو أنه سيتزوج من أمه. بل تبدو حوادث القصة وكأن يد القدر الخفية تدفع بطل القصة نحو الظروف التي عاشها، والمصير الذي كان ينتظره.

◈ الملك أرتور :

لعلّ لأسطورة الملك أرتور أساساً تاريخياً، إذ تشير بعض المصادر إلى قائد عســكري عــاش فــي القــرن الخامس الميلادي، في بريطانيا، وأنه خاض حرباً وانتصــر في معارك عديدة. غير أن القصص الشعبية أضافت إلى حياة هذا البطل وقــائع جعلــتها قصــة حــب وفروسية وخيانة وتضحية، وبذلك ضاعت الحقيقة التاريخية في بحر الأساطير.

كــان المــلك أرتــور (الأسطورة) حاكم كاملوت في بلاد الغال. توج ملكاً وعمــره خمسة عشر عاماً، وكان بطلاً عظيماً، جمع فرسانه حول طاولة مستديرة حتى لا يكون لأحدهم الأفضلية على الآخرين. وكان هؤلاء الفرسان أبطالاً يحبون المغامــرات ولكــنهم ملتزمون بمبادئ الفروسية مثل الوفاء، والدفاع عن الشرف، وحمايــة الضــعفاء، واحــترام الكنيســة... الخ، أما الملك الشجاع فاشتهر بسيفه الســحري الذي حارب به الوثنيين، وطرد المحتلين، واستولى على بلاد عديدة في بريطانية وأوروبا، وقضى به على الوحوش واللصوص والمتمرّدين.

وتدخل في أسطورة الملك وقائع عديدة مثل مغامرة زوجته مع أحد فرسانه، وقصــة الــبحث عن الكأس المقدّسة التي شرب منها المسيح أثناء العشاء المقدّس، ومغامــرات أخرى. وبينما كان في طريقه إلى روما للاستيلاء عليها، بلغه أن ابن

أخيه الذي خلفه وراءه لرعاية مملكته وحماية زوجته، خدعه واستولى عليهما معا، فعـــاد مســـرعاً. وفـــي معركة فاصلة قتل ابن أخيه وجميع فرسانه؛ وجرح الملك أرتـــور، فـــنقل إلى جزيرة لعلاجه؛ وظلّ الناس ينتظرون عودته دون جدوى. أما زوجته فلجأت إلى أحد الأديرة.



القسم الثاني

أنبياء وحكماء

◈ سيدنا إبراهيم وسيدنا لوط عليهما السلام[1] :

خــرج سيدنا إبراهيم عليه السلام من مدينة أور ، أرض الكلدانيين ، واتجه إلــي مــنطقة حاران في شمال شرق سوريا . وتروي التوراة أنه خرج من أرض حــاران مع أسرته ولوط ، ابن أخيه ، وساروا نحو أرض كنعان فبنى هناك مذبحا للرب . وكان عمره عندئذ 75 سنة . وكانت مجاعة في الأرض فاتجه نحو أرض مصر حتى وصل إلى مدينة GOSHEN الواقعة شرق دلتا النيل ، وتروي التوراة أنه لما قارب أن يدخل أرض مصر قال لزوجته سارة :

" أنــا أعــلم أنــك امرأة جميلة المنظر، فيكون، إذا رآك المصريون، أنهم يقولــون: "هــذه امرأته" فيقتلونني ويبقونك على قيد الحياة. فقولي إنك أختي، حتى يحسن إليّ بسببك وتحيا نفسي بفضلك" ولما دخل أبرام مصر، رأى المصريون أنّ المرأة جميلة جدًا. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيــته، فأحســن إلــي أبــرام بسببها فصار له غنم وبقر وحمير وخادمات وحمائر وجمــال. فضــرب الربّ فرعون وبيته ضربات شديدة بسبب ساراي امرأة أبرام. فاستدعى فرعون أبرام وقال له: "ماذا صنعت بي؟ لماذا لم تعلمني أنها امرأتك؟ لم قــلت: هي أختي، حتى أخذتها لتكون لي امرأة؟ والآن هذه امرأتك: خذها وامض". وأمر فرعون قوما فشيعوه هو، وامرأته وكل ماله"[2].

وعــاد سيدنا إبراهيم وأهله إلى أرض النقيب، إلى المكان الذي خيم فيه من قــبل وبنى فيه المذبح. وتروي التوراة أنه حدثت خصومات بين رعاة ماشية لوط ورعــاة ماشــية إبــراهيم عــليه السلام، فقال سيدنا إبراهيم لابن أخيه: أرض الله واسعة، فاختر أن تتجه نحو اليسار أو نحو اليمين. فاختار لوط سهل الأردن وأقام

---

(1) كــل مــا ورد مــن تحريف في العهد القديم (التوراة)، والعهد الجديد (الإنجيل) يصحح على أساس ما جاء في القرآن وتعاليم الإسلام

(2) قــال بعــض العــلماء : إن إبراهيم قال قولا يشبه الكذب في الظاهر وليس بكذب، وأنه من المعاريض، والمعاريض لا تذم خصوصاً إذا احتج إليها.
وقال النخعي : لهم كلام يتكلمون به إذا خشوا من شيء يدرؤون به عن أنفسهم.
وقال ابن سيرين: الكلام أوسع من أن يكذب ظريف.
انظر ابن : الجوزي، زاد المسير ، ج 5/ ص 362.

سيدنا إبراهيم في أرض كنعان. وتقص التوراة خبر مولد سيدنا إسماعيل، وقصة تدمير مدينتي سدون وعمور، ثم تتحدّث عن مولد سيّدنا إسحاق، وتقول إنّ الرب أراد أن يمتحن سيدنا إبراهيم فأمره بذبح إسحاق (عليه السلام)(*)

وتتحدث في بضعة أسطر عن سلالة إسماعيل (عليه السلام)، ثم تروي بالتفصيل مولد ولدي إسحاق التوأمين وهما عيسو ويعقوب. وسمي الأول كذلك لأنه أصهب اللون، وسمي الثاني "يعقوب" لأنه كان يمسك بعقب أخيه عندما خرج من بطن أمه.

وهنالك أمر غريب ترويه التوراة عندما تقصّ خبر تدمير مدينتي سدوم وعموره، لاشك أنه من قبيل التحريف. جاء الملكان إلى سيدنا لوط (عليه السلام)، وطلبا منه أن يخرج وزوجه وابنتاه من مدينة سدوم قبل أن يدمرها الله لما كان يأتيه أهلها من فساد . وفيما يلي نص التوراة :

"وأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا وناراً من السماء، وقلب المدن وكل السهل وجميع سكان المدن ونبات الأرض. فالتفتت امرأة لوط إلى ورائها فصارت نصب ملح.

... وصعد لوط من صوعر وأقام في الجبل هو وابنتاه معه لأنه خاف أن يقيم في صوعر، فأقام في مغارة هو وابنتاه.

فقالت الكبرى للصغرى: "إن أبانا قد شاخ، وليس في الأرض رجل يدخل علينا على عادة أهل الأرض كلها. تعالى نسقى أبانا خمراً ونضاجعه ونقيم من

(*) هذه مغالطة من اليهود، فالذبيح هو سيدنا إسماعيل (عليه السلام) كما ورد فى القرآن الكريم.
قال ابن كثير : الذبيح إنما هو إسماعيل وأنه يمتنع أن يكون هو إسحق لأنه وقعت البشارة به وأنه سيولد له يعقوب؛ فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ولم يولد بعد يعقوب الموعود بوجوده، ووعد الله حق لا خلف فيه، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه؛ فتعين أن يكون هو إسماعيل. وهذا من أحسن ال الاستدلال وأصحه وأبينه ولله الحمد.
انظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2/ ص453.

أبيـــنا نسلا"، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة، وجاءت الكبرى فضاجعت أباها ولم يعـــلم بنيامها ولا قيامها. فلما كان الغد ، قالت الكبرى للصغرى ها أنا قد ضاجعت أمـــس أبـــي، فالنســـقه خمرا هذه الليلة أيضاً، وتعالى أنت فضاجعيه لنقيم من أبينا نسلا". فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنيامها ولا قيامها . فحملت ابنتا لوط من أبيهما. وولدت الكبرى ابنا وسمته مؤآب، وهـــو أبو المؤابيين إلى اليوم. والصغرى أيضاً ولدت ابنا وسمته بنعميّ، وهو أبو بني عمّون إلى اليوم"[1].

---

(1) جميع ما جاء به العهد القديم والعهد الجديد يصحح على أساس ما ورد في القران الكريم.

◈ سيدنا يوسف (عليه السلام) (في التوراة)

تـــروي لنا التوراة حكاية سيدنا يعقوب (المسمى إسرائيل) وزوجاته وأولاده الإثـــنى عشر، وكيف كان يفضّل سيدنا يوسف على جميع بنيه لأنه ابن شيخوخته، وكان ذلك سبباً في أن يبغضه إخوته ويضمرون له الشر. ورأى سيدنا يوسف حلماً فقصــــه على إخوته قائلاً : "رأيت.... كأنّ الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لي" وزاد هذا الحلم في حسد إخوته له وحقدهم عليه.

ثـــم تقـــص الـــتوراة كيف تآمروا عليه ليقتلوه، غير أن أحد إخوته، واسمه "رأوبين" قال "لا نقتله، بل نرميه في البئر". وكيف انتشله قوم من الجب ورحلوا به إلى مصـــر حيث باعوه لرئيس حرس فرعون واسمه "فوطيفار". ونال يوسف ثقة رب المنزل فأحبه "وترك كل ما كان له في يوسف". ثم تروي التوراة قصة يوسف مع زوجة رب المنزل تحت عنوان "يوسف والغاوية" كما يلي :

وكـــان بعـــد هـــذه الأحداث أنّ امرأة سيده طمحت عينها إلى يوسف وقالت "ضـــاجعنيّ" فـــأبى وقال لامرأة سيّده : "هو ذا سيدي لا يهتم معي بشيء مما في الـــبيت، وكـــلما هـــو له قد جعله في يدي . وليس هو أكبر مني في هذا البيت ولم يمســـك عنّي شيئاً غيرك لأنك زوجته. فكيف أصنع هذه السيّئة العظيمة وأخطأ إلى الله؟"وكلمته يوماً بعد يوم فلم يسمع لها أن ينام بجانبها ليكون معها.

فاتفق في بعض الأيام أنه دخل البيت ليقوم بعمله ، ولم يكن هناك في البيت أحـــد من أهله. فأمسكت بثوبه قائلة: "ضاجعني". فترك ثوبه بيدها وفرّ هارباً إلى الخـــارج. فلما رأت انه قد ترك ثوبه بيدها وهرب إلى الخارج، صاحت بأهل بيتها وقـــالت لهـــم : "انظروا! لقد جاءنا برجل عبراني ليتلاعب بنا. أتاني ليضاجعني، فصـــرخت بصـــوت عـــال. فلما سمعني قد رفعت صوتي وصرخت ، ترك ثوبه بجانبي وفرّ هارباً إلى الخارج".

ووضـــعت ثوبـــه بجانـــبها حتى قدم سيّده إلى بيته فكلمته بمثل هذا الكلام وقـــالت: "أتـــاني الخادم العبراني الذي جئتنا به يتلاعب بي. وكان، عندما رفعت صوتي وصرخت ، أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب إلى الخارج".

فلما سمع سيده كلام امرأته الذي أخبرته به قائلة "كذا صنع بي خادمك"، غضب عليه غضباً، فأخذ يوسف سيّدُه وجعله في السجن حيث كان سجناء الملك مسجونين.

وتواصل التوراة رواية قصّة سيدنا يوسف (عليه السلام) بالتفصيل فتتحدث عن إقامته في السجن، وتفسيره للأحلام وحظوته لدى الفرعون، ولقائه مع إخوته، ورحلة أخيه بن يامين ثم أبيه يعقوب إلى مصر؛ ثم تتحدث عن سياسة يوسف الزراعية وعن تبني سيدنا يعقوب لولدي يوسف، وعن وفاة سيدنا يعقوب وجنازته، ثم وفاة سيدنا يوسف عليهما السلام.

◈ موسى عليه السلام (عليه السلام)

فـي مطلع الألف الثانية قبل الميلاد (تقريباً) نزح سيدنا إبراهيم وأسرته إلى مصـر. ووصل سيدنا يوسف وأبوه يعقوب واخوته إلى مصر حوالي القرن السابع عشـر ق.م. وأولاد يعقـوب الإثـنا عشر هم الأسباط الذين تفرعت منهم القبائل العـبرانية. وأقام المسيح بن مريم وهو طفل، مع أسرته فترة في مصر كذلك. أما سـيدنا موسى (عليه السلام) فقد ولد وترعرع في مصر، في أواخر القرن الرابع عشر ق.م. عـلى وجـه التقريب. أبوه عمران وأمه يوكابد، وأخوه هارون وأخته مريم. وقد انحدر من قبيلة (LEVI) التي كانت تقطن في مصر. والفرعون الذي ورد في الـتوراة[1]. أنـه كان يضطهد بني إسرائيل (دون أن تذكر اسمه) هو SETHOS الأول الـذي حكم مصر من 1318 إلى 1304 ق.م. ولما لاحظ هذا الفرعون أن عـدد العبرانيين يتكاثر باطراد، وأصبحوا يشكلون خطرا على مصر، قرر أن يقلل من عددهم، فأمر أن يقتل كل مولود ذكر من الأسر العبرانية.

وتروي التوراة كيف وضعت يوكابد (أم موسى) مولودها في سلة من نبات الـبَرْدِي، ووضعتها في النيل، فالتقطتها ابنة الفرعون التي كانت تستحم في النيل، وأسمته موسى وسهرت على تربيته.

وكـلمة موسى MOSE مصرية، تعني "وَلَدٌ" . ونشأ موسى عليه السلام في قصـر الفرعون[2] فتعلم الفروسية، واطلع على الشؤون الدينية والعسكرية، وعلى أحـوال البـلدان التي كانت خاضعة لمصر. وعندما عرف أنه من أصل عبراني سـعى إلى التعرّف على أهله والعطف على قومه. وفرّ من مصر عندما قتل رجلا مصـرياً، فاتجـه إلى مدين (في شرق خليج العقبة) حيث تزوج بابنة سيدنا شعيب (رعوئيل في التوراة) واسم الفتاة "صفّورة".

وبينما هو يرعى ماشية صهره، إذ ترائى له الربّ ذات يوم ، وطلب منه أن يذهب إلى فرعون ليبلغه رسالته ويدعوه إلى دين الحق؛ وليخرج بني إسرائيل من

---

(1) التوراة : تعني القانون، التعاليم.

(2) "فرعون" مأخوذة من المصرية "برعا" أي البيت الكبير. ثم أصبحت تطلق على شخص الملك

مصـــر. رفــض الفرعون رسالة موسى وأن يسمح لقومه بمغادرة مصر فسلط الله عـليه وعـلى مصر كوارث مثل تحول ماء النيل إلى دم، والضفادع، والبعوض، والذباب، والقروح، والبرد والظلام، ومات أبكارهم، ونفقت ماشيتهم. وأخيراً خرج موسى وقومه من مصر في عهد الفرعون رمسيس الثاني الذي حكم البلاد مدة 67 سنة من عام 1304 إلى 1237.

وتروي التوراة أن عدد العبرانيين [1] الذين قادهم موسى عليه السلام خارج مصر كان ستمائة ألف من المشاة ما عدا العيال، وأن مغادرتهم مصر تمت بعد أن مكثوا فيها 430 سنة، واجتازوا البحر وغرق فرعون وجنوده.

وقاد موسى قومه إلى جبل سيناء (حريب) حيث تجلى له الرب وأنزل عليه الوصايا العشر. وكان ما كان من عصيان بني إسرائيل نبيّهم، وتاهوا في الصحراء مــدة طويــلة. وبعد حوادث مطولة ومتنوّعة، تروي التوراة أن آخر عمل أنجزه سيدنا موسى عليه السلام هو أنه جدد لقومه العهد الذي تلقاه من ربه في سيناء، ثم صعد إلى بريّة مؤآب، إلى جبل نبو، إلى قمة جبل تجاه أريحا، وتوفي، هناك وكان عمره 120 سنة ، قضى منها نحو 40 عاماً في مصر. ولكن ما تزال قصة وفاته ومكان دفنه مجهولين . وقاد بني إسرائيل بعده يشوع بن نون.

---

(1) عبري (HEBREW) وتعني المتجولْ ؛ التائه ، (البدو الرحل).

◈ الوصايا العشر التي جاء بها موسى (عليه السلام) قومه :

- لا يكن لك آلهة أخرى غيري.
- لا تصنع لك منحوتاً، ولا أية صورة، ولا تسجد لها ولا تعبدها.
- لا تلفظ اسم الرب باطلاً.
- احفظ يوم السبت ولا تعمل فيه عملا.
- أكرم أباك وأمك.
- لا تقتل.
- لا تزن.
- لا تسرق.
- لا تشهد على قريبك شهادة زور.
- لا تشته امرأة قريبك ، ولا بيته ، ولا حقله ، ولا شيئاً مما يملكه.

◈ من أحكام التوراة

- من ضرب أباه أو أمه ، فليقتل قتلاً.
- من لعن أباه أو أمه ، فليقتل قتلاً.
- كل من أتى بهيمة ، فليقتل قتلاً.
- ساحرةً لا تبق على قيد الحياة.
- النفس بالنفس، والعين بالعين، والسن بالسن، واليد باليد، والرجل بالرجل.
- إن أخذ رجل يضاجع امرأة فليموتا كلاهما.
- لا تقرض أخاك بفائدة في فضة أو طعام...، بل تقرض الغريب بالفائدة.
- إذا حصدت حصادك في حقلك، فنسيت حزمة في الحقل ، فلا ترجع لتأخذها ، إنها للنزيل واليتيم والأرملة. وإذا قطفت كرمك، فلا تراجع ما بقي منه، إنه للنزيل واليتيم والأرملة.

◈ سليمان الحكيم (عليه السلام)

لمـا طعـن سيدنا داود عليه السلام في السن أوصى بالعرش من بعده لابنه سليمان (عليه السلام) . وتروي التوراة تحت عنوان "شهرة سليمان" أن الله أعطاه حكمة وفهما واسعاً ، وأنه قال ثلاثة آلاف مثل، وأكثر من ألف نشيد. وتكلم النبي سليمان فـي النـبات والبهائم والطيور والأسماك... الخ وكان الناس يأتون إليه من جميع الأصـقاع لسـماع حكمـته. وتشير التوراة إلى أنه تزوج ابنة فرعون مصر، ثم تضـيف "وأحـب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة من الأمم التي قال الرب لبني إسرائيل في شأنها : "لا تذهبوا إليهم ولا يذهبون إليكم فإنهم يستميلون قلوبكم لاتباع آلهتهم".

وكـان لسيدنا سليمان سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية، "فأزاغت نساؤه قلبه". وتضـيف الـتوراة : "فغضـب الرب على سليمان، لأن قلبه مال عن الرب، إله اسـرائيل، الذي تراءى له مرتين وأمره ألا يتبع آلهة أخرى". وتتحدث التوراة عن أعمال سيّدنا سليمان مثل بناء الهيكل لعبادة الرب، وبناء القصر، وإنشاء الأسطول، واهـتمامه بالـتجارة وغير ذلك. وحكم سليمان عليه السلام أربعين عاماً ودفن في أورشليم، مدينة داود أبيه، وتولى الحكم ابنه رحبعام من بعده.

◈ زَرَادُشْتَ :

ليس من السهل تحديد ميلاد زرادُ شت بدقة. وتشير بعض المراجع إلى أنه ولــد عــام 628 ق.م[1] بالقرب من مدينة طهران الحالية. وعندما بلغ الثلاثين من العمر حدثت له تجربة دينية روحية غيرت مجرى حياته. يروى أنه نزل عليه ملك بــالوحي من "الإله أهورامازدا"، وطلب منه أن يدعو الناس إلى الإيمان بإله واحد، وأن يــتركوا عبادة الآلهة المتعددة لأنها تمثل قوى الشر والظلام، وأن يرشد الناس إلى الخير ونصر الحق.

ومــن تعاليم زرادشت أن مازدا هو الإله الأعلى، خلق السماوات والأرض والــنور والظلام. ونبذ فكرة تعدد الآلهة، وقال إنها أرواح شريرة تبعد الإنسان عن الحقيقــة. ومع أن مازدا هو الإله الأوحد والأقوى في رسالته، فإن له أتباعاً أخذوا مــن صفاته، ويخضعون لإرادته، يساعدونه على محاربة قوى الشر. ومن هؤلاء الأتباع: روح القدس، الخلود، والعدل، التقوى، الكمال.

وبمــا أنــه يوجد في العالم شر كثير لا يجوز أن ينسب للإله أهورا مازدا، فلابــد مــن وجود قوى أخرى تمثل هذه الشرور وتعارض الإرادة الإلهية العليا، إرادة مــازدا. ويمــثل قــوى الشر المعارضة "أهريمان" (مثل الشيطان) في رأي زرادشــت. وبمــا أن الإنسان يملك حرية الاختيار بين الخير والشر، فإنه مسؤول عــن أعماله. فمن يعمل صالحاً ويتبع تعاليم زرادشت ينال السعادة والخلود، ومن يتبع قوى الشر سيحيا حياة الشقاء وسوء المصير.

والإلــه مازدا هو الذي سيحاسب الناس يوم القيامة، وهو اليوم الذي تنتصر فيــه قوى الخير نهائياً على قوى الظلام، ويدخل المؤمنون ملكوت السعادة الأبدية، ويقاد المجرمون إلى جهنم دار العذاب والظلام.

(1) توفي زرادشت عام 551، عن عمر يناهز السبعين سنة.

وقد اتبع الأمير فيشتابا (أبو داريوس الكبير) تعاليم زرادشت، وآمن برسالته فعــزز ذلك دعوته. ويتضمن كتاب الفرس المقدس L'AVESTA تعاليم زرادشت (صلوات وأناشيد) التي ظلت الدين المتبع في بلاد فارس حتى الفتح الإسلامي.

◈ بوذا [1] :

هـو الأمير غوتاما سيدارتا، ولد نحو عام 560 قبل الميلاد. تزوج وولد له ولـد. وبمـا أنه كان ابنا لأحد النبلاء فقد عاش في بداية حياته حياة الرخاء. وكان والده يعده لتحمل المسؤولية من بعده.

ولم تكن نفس بوذا مطمئنة لما يشاهد من شقاء وآلام خارج القصر. وخرج ذات يـوم مـن القصر فرأى أربعة رجال أحدهم مريضاً، والثاني مسن، والثالث متسول، والرابع ميت.

ومـنذ ذلـك اليوم أخذ يتجول في الطرقات، يتحدث مع الناس، ويبحث عن مغـزى الحيـاة، وعن الحقيقة، عن الجواب للأسئلة التي كان يطرحها عليه أولئك الذين يتألمون من عناء الشيخوخة والأمراض وشقاء الحياة.

وبيـنما كـان ذات يوم جالساً تحت شجرة تين، تجلت له الحقيقة وألهم إلى سـبيل الخلاص. ومفاد ما ألهم إليه هو أن الآلام والشقاء ستظلّ ملازمة للحياة، ما دام الإنسـان يركض وراء الملذات ويسعى وراء الرغبات الجامحة. وحتى عندما يحقـق المـرء هـذه الرغـبات فإنه يظل يتألم لعلمه أنها لا تدوم. ويكمن خلاص الإنسان في السيطرة على رغباته وأنانيته.

ومن تعاليمه أن روح الإنسان تعود إلى الحياة بعد وفاته، وتتقمص مخلوقات عليا أو سفلى حسب ما قام به من أعمال في حياته. وتظل الروح تنتقل من مخلوق إلى آخـر إلى أن تصـل إلى مرحـلة "الـنيرفانا"، وهي حالة السلام والطمأنينة والخلاص.

---

(1) تعني كلمة بوذا "اليقظ" الواعي، المستنير".

ولكـــي يصل الإنسان إلى هذه المرحلة يجب عليه أن يتمسك بقواعد السلوك الـــتالية : الإيمـــان السليم، النية الحسنة؛ الكلام السليم؛ الجهد السليم؛ التأمل السليم؛ الحياة السليمة.

ولـــم يـــتحدث بـــوذا عن أيّ إله، ولم تتضمن تعاليمه الدعوة إلى أية ديانة وظلت تحترم المبادئ الهندوسية الأساسية بصورة عامة.

◈ لاوتسي :

عـــاش هـــذا الفيلسوف الصيني في القرن السادس ق.م. والتقى بالفيلسوف كونفوشـــيوس، غير أن تعاليم الرجلين وآراءهما كانت مختلفة. إذ كان هذا الأخير يدعو إلى احترام التقاليد والأنظمة السائدة، ويحاول إصلاح الحكام وتنظيم علاقاتهم بالناس.

أمـــا لاوتســـي فكـــان يفضل العزلة ويدعو إلى الحياة البسيطة بين أحضان الطـــبيعة، وإلى اتباع أنواع السلوك التي تساعد على حفظ النفس، وتجنب الشهوات وقمع الرغبات. وتعرف تعاليمه با "التاوزم" من كلمة TAO التي تعني "الطريق" . ومن أقواله وتعاليمه :

- أفضل جندي هو من لا يحب الحرب.
- أفضل مقاتل هو من لا يغضب.
- أعظم فاتح هو من لا يدخل في الحرب..
- مـــن يعـــرف متى يقف يتجنب الخطر، ومن ينحني يحتفظ بقوته للوقت المناسب.
- الركض وراء الرغبات مصدر شقاء الإنسان.
- الحكيم يلبس ما يستر عورته، ولكنه لا يحمل الجواهر في صدره.
- الحكيـــم ليـــس لـــه أفكار ومشاعر ، بل يعتبر أفكار الناس ومشاعرهم أفكاره ومشاعره.

عـــندما يولد الإنسان يكون جسمه ليّنا، وعندما يحضره الموت يصبح جسمه يابساً؛ عندما يكون الغصن لينا يكون حياً، وعندما يصبح يابساً تفارقه الحياة. إذا ما يـــبدو مرناً ضعيفاً إنما هو علامة الحياة، وما يبدو قاسياً صلباً قوياً إنما هو علامة الموت.

ومــن أشــهر تلاميــذ لاوتســي شوانغ تسو [1] الذي تروى عنه الحكايتان التاليتان:

بيـنما كان شوانغ تسو ذات يوم يصيد السمك على ضفة نهر، جاءه رولان مـن أمير البلاد وأخبراه أن الأمير يطلب منه الحضور لديه لتولي منصب رئيس الوزراء.

فأجـاب شـوانغ تسـو : سمعت أن للأمير صندوقاً يحتفظ به في معبد أحد أجداده، يحفظ داخله سلحفاة مقدّسة منذ أكثر من 300 سنة. أخبراني الآن، لو كان الخيار لتلك السلحفاة هل تفضل أن تكون ميتة محفوظة في ذلك الصندوق، أم حية تحـرك نيـلها في وحل هذا النهر؟ فأجاب الرسولان معاً : تفضل أن تكون حية، طـبعاً. فقـال شوانغ : إذا اذهبا إلى الأمير وقولا له بأنني أفضل كذلك أن أحرك ذيلي في هذا النهر.

وتروى عنه قصة أخرى عنوانها "لكل طريقته" ملخصها كالآتي: سأل الفظّ (حيـوان بحري شبيه بالفقمة) أمّ أربعة وأربعين (الحشرة CENTIPEDE) فقال : إنني أجد صعوبة في القفز على رجل واحدة، فكيف تستطيعين أنت أن تمشي على جميـع هذه الأرجل؟ فأجابت أم أربعة وأربعين: إني عندما أمشي لا أفكر في هذه الأرجل. وسألت أم أربعة وأربعين الأفعى: لي أرجل كثيرة، ولا أستطيع أن أمشي بسـرعة مثـلك، وأنـت بـدون أرجل؟ فقالت أمشي بصورة عفوية، وما حاجتي للأرجل؟

وسـألت الأفـعى الريح فقالت : أستطيع أن أشق طريقي في أماكن عديدة، ولكـن لـي شكل محدد، فكيف تستطيعين أيتها الريح أن تقتلعي الأشجار وتدمري المنازل وأنت لا شكل لك؟

فأجـابت الـريح : هناك أشياء كثيرة لا أقدر عليها، فأنا أجيد عملاً واحداً، وذلك شأن العظماء.

---

(1) عاش بعد أستاذه بقرنين ، ويعزي له الفضل في إنقاذ تعاليم معلمه من النسيان.

◈ كونفوشيوس :

ولـــد هـــذا الفيلســـوف عـــام 550 ق.م. بإقليم شانتونغ، في الصين. وكان معاصـــراً للفيلســـوف الصيني لاوتسي ولبوذا. ونقل إلى جيله والأجيال اللاحقة ما تجمـــع في الصين خلال القرون من تعاليم القدماء وحكمهم وفلسفتهم، وجمعها في خمسة كتب أصبحت تعتبر ميراثاً مقدساً.

وعمـــل كونفوشـــيوس على ربط أعمال الناس عموماً، والمسؤولين خاصة، بـــالقيم الأخلاقيـــة حتى لا تبقى هذه الأخيرة تعاليم نظرية في بطون الكتب. وكان يســـعى إلى تـــنظيم علاقـــات الناس بالمسؤولين والحكام. وقد حرص على تطبيق تعاليمه عندما تولى منصباً حكومياً.

كـــان معـــلماً عمـــلياً ناجحاً ، وكون مئات التلاميذ الذين نشروا تعاليمه في مختـــلف أرجـــاء الصين. ولم يدع كونفوشيوس إلى أية ديانة، وكان الصينيون في عصـــره مشغوفين بأمور الحياة، لا يعيرون اهتماماً كبيراً للأديان والعالم الآخر أو ما يأتي بعد الموت.

إن تعـــاليم كونفوشـــيوس تعـــاليم أخلاقية، تربوية عملية، تحث الناس على تطـــبيق المـــبادئ الأخلاقية والثقافية في المجالات الحيوية مثل الأسرة، الاقتصاد، الســـلطة، الدولـــة. وقد ساهمت تعاليمه، على مرّ الزمن، في صنع جزء كبير من سلوك الشعب الصيني.

ســـأله أحد تلاميذه يوماً : "ما قولك في مقابلة الشر بالخير"؟ فأجابه "وبماذا نقابل الخير؟"، بل في هذه الحالة نقابل الشر بالعدل والخير بالخير".

ومـــن تعاليمـــه: اعمل أولاً ثم تكلم؛ إذا أردت إصلاح غيرك ابدأ بإصلاح نفسك؛ عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.

وسـئل مرة ماذا تقول لو أن جميع سكان قرية يحبون شخصاً ؟ فأجاب "هذا لا يكفي".

ثم سئل ماذا تقول لو أن جميع أهل القرية يكرهون شخصاً؟ فأجاب: "هذا لا يكفى"، بل من الأفضل أن يحبه عقلاء القرية، ويكرهه أشرارها".

ومن أقواله :

- العـاقل يستحي أن يكون كلامه أكبر من أفعاله، فهو يعي ما يقول لأنه من العسير أن ينجز جميع ما يقول.
- العاقل يدرك ما هو حق وعدل، والجاهل يدرك ما يباع ويشترى. الأول يحب روحه، والثاني ممتلكاته.
- عـندما تجـالس أهل السلطان يجب أن تراعي ثلاثاً: إذا تكلمت قبل أن تسأل فأنت متهور، وإذا سكت عندما تسأل فأنت تنقصك الصراحة؛ وإذا تكلمت دون مراعاة حال السلطان فأنت أعمى.
- العـاقل لا يحكـم على المرء من خلال أقواله فقط، لأنه يوجد في عالم متحضر "سلوك متأنق" وفي عالم متحضر "كلام مزخرف".
- إذا كـان المرء من أهل الإحسان، ولا يحب العلم فإن مصيره الجهل؛ وإذا كان يحب الحكمة، ولكنه لا يحب العلم، تكون أفكاره خاطئة؛ وإذا كـان مـن أهـل الصدق ولا يحب العلم يكون إدراكه ناقصاً وإذا كان متواضـعاً ولا يحـب العلم يكون سلوكه مبتذلاً؛ وإذا كان شجاعاً، ولا يحب العلم فإنه يميل إلى التهور؛ وإذا كان من أهل الحزم والعزم، ولا يحب العلم، فإنه يكون مغروراً عنيداً.

◈ إمبيدوكليس

ولـــد نحو 500 ق.م. في صقلية، وهو شاعر وفيلسوف. ويعتبر من الأولين الذين دعوا إلى الديمقراطية ودافعوا عن حقوق الإنسان.

وطلب منه مواطنوه أن ينصبوه عليهم ملكاً فرفض، وفضل أن يعيش بينهم كمعـــلم. وقيل إنه كان يبرئ المرضى بمجرد لمسهم، وإنه أعاد الحياة لامرأة بعد موتها.

ويحـــكى أنـــه رمى نفســـه في بركان "إيتنا" ETNA، وضحى بنفسه ليثبت ألوهيـــته، وليخـــلص البشر من ذنوبهم(1). غير أن الأجيال التي تلت اعتبرت هذه القصـــة قصـــة رمزية اخترعها تلاميذه. وكان هو نفسه يرى أنه خلق ليقود الناس إلى حياة أفضل، ومن أتباعه من اعتبروه إلها.

ومـــن آرائـــه أن الحيـــاة صراع بين الحب والحرب، الأول يجمع والأخير يفرق. وأن العالم يتكون من أربعة عناصر: التراب والهواء والنار والماء. وعندما تختلط هذه العناصر، بعضها بالبعض الآخر بنسب مختلفة، تنتج جميع الأشياء التي نشـــاهدها ، وتظل تتغير وتمر بمراحل الحياة والفناء، ولا يزول شيء من الوجود بصـــفة نهائية. وليس الموت إلا إعادة تركيب العناصر المذكورة لتحيا في صورة وأشكال جديدة مختلفة.

---

(1) توجـــد فكـــرة مماثـــلة تأسست عليها العقيدة المسيحية، فهم يعتقدون "أن الرب أرسل "ابنه" (سيدنا عيسى (عليه السلام)) وقدر له أنه يتحمل الإهانة والعذاب ومحنة الصلب من أجل أن يخلص البشـــر مـــن الذنب الذي ورثوه بسبب عصيان أبيهم آدم. كما يعتقدون أن الهدف من صلب المسيح هو أن يخلص جميع من يؤمنون به (لاعتباره ابن الله) وفقاً لاعتقادهم، من ذنوبهم في الحاضر والمستقبل.

سقراط :

ولد سقراط في أثينا عام 469 قبل المبلاد . كان قصير القامة، جاحظ العينين، فجمع بين قبح المنظر والفقر، ولكنه كان كريم الأخلاق صبورا قوي التحمل شديد الذكاء. تزوج في سن متأخرة من كسانثيبي. ويزعم البعض أنها كانت سليطة، وربما كانت من ذوات المزاج الحساس لا غير؛ أنجب ثلاثة أولاد. وقد تجنب سقراط أن يتولى المناصب الهامة لأنه كان يخشى أن يؤثر ذلك على نزاهته ويضطره للتخلي عن مبادئه.

كان سقراط يقضي معظم وقته متجولاً في الأسواق والأماكن العامة، يلقي تعاليمه على الناس، ويجيب على أسئلتهم. كان يعتقد أنه يحمل رسالة دينية، وأنه موجه من قبل صوت داخلي. ولم يكتب سقراط شيئاً، ولكن حفظت تعاليمه وآراؤه في "حوار أفلاطون". ومن تعاليمه أن الروح خالدة، وأنها ستواجه الجزاء يوم القيامة خيرا أو شرا. ومن آرائه أن الإنسان ليس شريراً بطبيعته ولكن بسبب الجهل، وعليه أن يسعى لاكتشاف الخير والفضيلة، وكان يقول بأن هناك أشياء ترغب الآلهة في أن تظل خفية، ولا يروق لها أن يسعى الإنسان لاكتشاف أسرارها.

ألصقت بسقراط تهمتان : إفساد عقول الشباب، وإهمال آلهة البلاد واتباع ممارسات جديدة. وكان المدعى العام الذي حاكم سقراط رجلاً غير ذي شأن، يدعي ميليتوس، ولكن سانده في اتهام سقراط رجال من ذوي السلطة. وحكم عليه مجلس قضاة (بأغلبية ضئيلة) بالموت. وقد وضع صديقه كريتو خطة للفرار من السجن، غير أن سقراط ردّ عليه بأنه على الرغم من أن الحكم عليه كان على أسس مخالفة للحقائق، فإنه صدر عن محكمة شرعية، ولذلك يجب قبوله. وظل سقراط ينتظر تنفيذ الحكم، بأن يشرب السم، مدة ثلاثين يوماً، وشهد له جميع معارفه بأنه كان يعيش حياة هادئة مرحة. وعندما حان الموعد تناول السم بشجاعة.

◈ ديوجينس المتقشف

فيلســوف يونــاني ولد عام 412 ق.م. في مدينة سينوبي SINOPE . كان شــديد التقشــف ، ويحكى أنه عندما قدم إلى أثينا كان ينام داخل جرة كبيرة، وفي الصــيف يــنام في الخلاء. ورأى ذات يوم فأرا فقال له: سنظل أنت وأنا ننتقل من جحر إلى جحر إلى أن يقضي علينا القدر.

وكما يقول : إن أكبر اللذات أن تحتقر الملذات. وبقدر ما تقل ممتلكاتك، تقل همومك . إن الإنسان يعيش عبدا لرغباته ومطامعه، ولا يكون حرّا إلا إذا زهد في أشياء كثيرة، ولا يحقق الأمن لنفسه إلا عن طريق القناعة.

والتقى ذات يوم بالاسكندر المقدوني فجرى بينهما الحوار التالي :

ديوجينس – ما هي أكبر رغبات جلالتك في الوقت الحاضر؟

الاسكندر – أن أسيطر على اليونان بأجمعه.

ديوجينس – ثم ماذا ؟

الاسكندر – أن أسيطر على آسيا الصغرى.

ديوجينس – وماذا بعد ذلك؟

الإسكندر – استرخي وأتمتع بالحياة.

ديوجينس – ولماذ لا تتمتع بها الآن؟

الإسكندر – هل لك طلب يمكن أن ألبيه لك؟

ديوجينس – نعم، أبعد ظلك قليلاً فقد حجب عني الشمس.

فضــحك الإسكندر وقال : لو لم أكن الإسكندر، لوددت أن أكون ديوجينس. فأجابــه هذا الأخير : لو لم أكن ديوجينس لاخترت أن أكون أي إنسان آخر ما عدا الإسكندر.

المسيح[1] عيسى ابن مريم (عليه السلام) (حسبما ترويه الأناجيل)[2]

عـند الحديث عن حياة سيدنا عيسى ابن مريم، يعتمد الباحثون على ما ورد فـي الأنـاجيل، إذ إنه لا توجد مصادر تاريخية مؤكدة في هذا الموضوع[3]. وقد اختـلف في تاريخ ميلاده، هل كان سنة 4 أو 6 (قبل الميلاد) أو قبل ذلك أو بعده؟ كمـا اختـلف في يوم وشهر ميلاده، هل هو 19 أفريل ، أم 17 نوفمبر، أم غير ذلـك. وبعد مدة طويلة اتفق رجال الكنيسة على أن يكون يوم ميلاده 25 ديسمبر، لأنـه كـان يوماً مشهوراً يحتفل فيه الناس بعيد إله الشمس، MITHRA. أما سنة ميلاده فحددت بعام 4 قبل الميلاد على وجه التقريب. وتجدر الإشارة إلى أن فكرة "قبل الميلاد" و"بعد الميلاد" لم تستعمل إلا ابتداء من القرون الوسطى.

ويـروي القديس مَتِيُّ في إنجيله أنه عندما ولد يسوع المسيح في مدينة بيت لحم، قدم إليه رجال منجمون (أو كهنة) من الشرق فسألوا عن المولود الجديد الذي سـيكون ملكاً، ثم زاروه وهو في المهد، وقدموا له الهدايا. وسمع الملك هيرودس أنتـباس بخبر ميلاد هذا الطفل الذي سيكون خطراً على ملكه، فأمر بأن يقتل جميع الأطفـال دون سـنتين من العمر. فهربت أسرة يوسف النجار بالطفل إلى مصر، ومكـثوا هناك إلى أن سمعوا بخبر موت هيرودس، فرجعوا إلى موطنهم، وأقاموا بمدينة الناصرة.

ترعـرع المسـيح فـي أسـرة يهودية يسودها جو التقوى واحترام قوانين التوراة، وعمل فترة في النجارة تحت رعاية يوسف النجار، واهتم بالمسائل الدينية وقـرأ جزءاً من التوراة . غير أن أخباره اختفت فجأة عندما بلغ 12 سنة، إلى أن

(1) "مسيح" من مسح أي دهن بالزيت. وكان اليهود يدهنون رئيس الكهنة بالزيت عند تنصيبه.
(2) كـلمة "إنجيل" يونانية، وتعني "البشرى". واستعمل القديس بولس (تلميذ المسيح) هذه الكلمة بمعنى "التبشير" بالخلاص على يد المسيح.
(3) باستثناء القرآن.

ظهـر مـن جديد على مسرح الحياة وعمره نحو 30 سنة . ولا يعرف شيء عن حياته بين 12 و 30 سنة من عمره.

كـان يوحـنا المعمدانـي، حسبما تروي الأناجيل، قديساً يبشر الناس بقدوم المسـيح ، وينذرهم بقرب يوم القيامة، ويدعوهم إلى التوبة. وكان يعمّد التائبين في ميـاه نهـر الأردن. وهنا تسجل الأناجيل أول حادثة للمسيح ، بعد انقطاع أخباره، وهـي تعميده على يد يوحنا المعمدان في نهر الأردن، وكان عمره حينئذ نحو 30 سنة.

كـانت حادثـة تعميده نقطة تحول في حياته، وتركت أثراً عميقاً في نفسه. فمنذ ذلك الوقت شعر بأنه صاحب رسالة إلهية يجب أن يبلغها للناس؛ وانعزل فترة في الخلاء ليتأمل في الكون ويفكر في عبء رسالته، وفي حياة الناس من حوله.

عاش عيسى ابن مريم في فترة كانت فيها فلسطين ترزح تحت حكم الروم. وكـان بعض السكان في الجليل قد قاموا بثورة عام 4 ق.م. ضد أعباء الضرائب الـتي فرضـها المـلك هيرودس أنتياس عليهم. وفشلت هذه الثورة. وكان الشعب اليهـودي منقسماً إلى فرق وأحزاب منهم من يدعو إلى استخدام القوة ضد الروم، ومن يركز على التعايش السلمي ، ومن ينادي بتطبيق قوانين التوراة، ومن يعتزل منتظراً مجيء المسيح الموعود.

في هذه الظروف بدأ يسوع المسيح رسالته، التي تدعو إلى الحب والتسامح، وراح ينشر تعاليمه متجولاً بين الناس بصحبة تلاميذه. وكان الناس يجتمعون حوله فيحدّثهـم ويرشـدهم، ويعـلمهم ويعظهم. ولم يكن أسلوب تعليمه يعتمد على سرد قوانيـن الـتوراة، بـل كان يكلم الناس بأسلوب شعبي، ويشرح لهم رسالته بسرد الحكايـات ذات المغـزى الأخلاقـي والاجتماعي. وسرعان ما ذاع صيته نتيجة لـلمعجزات الـتي بهـرت الناس، وجعلتهم يهرعون إليه طالبين المساعدة. ومن معجزاته إبراء الأبرص، وشفاء المقعد، والأعمى والأخرس.. الخ.

وزار ذات يوم بيت المقدس فلقيه سكانها بالترحيب وتجمهروا لمشاهدته. وكان قد بدأ يشعر بعداوة كبار كهنة اليهود لرسالته، فجمع تلاميذه للعشاء الذي عرف "بالعشاء الأخير"، وعددهم اثنا عشر.

وشعر زعماء اليهود بخطر رسالة المسيح على تعاليمهم، وقد رأوا شهرته تزداد، وأتباعه يتكاثرون، فتدبروا الأمر وفكروا في وسيلة للتخلص منه. ووجد أنه لا يكفي أن توجه إليه اتهامات دينية، بل لابد من اتهامه بإثارة الشغب وتحريض الشعب على الثورة ضد سلطة روما، وأنه يزعم أنه ملك يحاول تحرير الشعب. فما كان من الحاكم الروماني بونس بلاطس إلا أن وقّع على قرار الصلب[1] إرضاء لكبار كهنة اليهود وزعمائهم.

◈ من أقوال المسيح (عليه السلام) :

- لماذا تنظر إلى القذى في عين أخيك، وتنسى العود في عينك.
- لا تدينوا لئلا تدانوا؛ فكما تدينون تدانون.
- عاملوا الناس بما تودون أن يعاملوكم به.
- لا تهتمّ كثيراً بهموم الغد، فلكل يوم من العناء ما يكفيه.
- لا تستطيع أن تخدم سيدين: الله والمال.
- من يتزوج من امرأة مطلقة فهو زان.
- ماذا يفيد الإنسان إذا كسب العالم وفقد روحه.
- لا تترك يدك اليسرى تعرف ما تتصدق به يدك اليمنى.
- من كان بلا ذنب فليرم المذنبة بالحجرة الأولى.
- أترك فيكم وصية أخرى هي أن يحب بعضكم البعض الآخر.
- سيكون أسهل على الجمل أن يمر داخل عين الإبرة ، من أن يدخل الغني ملكوت الرب.

---

(1) حسب اعتقاد المسيحيين.

- أنا زرعت، أبولو سقى، والإله ضاعف الثمار .
- ستخرج من الدنيا ويدك فارغة ، كما دخلتها .
- ليس بشيء من كان له من الإيمان ما يحرك الجبال، وقلبه خال من الإحسان .
- كل إنسان يحصد ما زرع .
- لا تترك الشمس تغرب وقلبك يخنقه الغيظ .
- الشرارة الصغيرة أم الحريق الكبير .
- لا تظلم الأرملة، أعط الفقير، دافع عن اليتيم، واكس العريان .
- لا يدنس الإنسان ما يدخل في فمه، بل ما يخرج منه .



القسم الثالث

ملوك وغزاة

◈ **حمورابي :**

حمورابـي اسـم مشـهور في تاريخ بلاد ما بين النهرين، وفي مدينة بابل العظيمـة. تولى الحكم عام 172 ق.م، ودام حكمه 42 سنة ، خاض أثناءها حروبا كـثيرة لتوسيع رقعة ملكه الذي أصبح يمتد من الخليج العربي جنوباً إلى دياربكير (قرب حلب) شمالاً . وهي مملكة تعتبر واسعة بالنسبة لدويلات المنطقة آنئذ.

كـان حمورابـي ملكاً عادلاً، حكيماً، ومنظماً بارعاً. وقد اشتهر بمجموعة القوانيـن الـتي جمعها وأمر بتسجيلها على لوحة صخرية من الغرانيت كتب لها الـبقاء. وتشمل هذه اللّوحة 280 بنداً أو حكماً تعالج المشاكل اليومية مثل السرقة والرشـوة والـزواج والطـلاق ومعاملة الرقيق وملكية المرأة والمشاكل التجارية والقصـاص (مبدأ العين بالعين والسنّ بالسنّ). كما تعالج عمليات الضرائب وفوائد القروض وإيجار الحيوانات والمراكب وإلحاق الضرر بالمزروعات وغير ذلك.

ومـن أمثـلة قوانين حمورابي : من يضرب أباه تقطع يده؛ إذا انهار منزل ومات أصحابه يعدم المهندس الذي بناه؛ إذا توفي مريض إثر عملية جراحية تقطع يـد الجراح؛ إذا قطع رجل شجرة من حديقة، دون علم صاحبها، فعليه أن يدفع له نصـف ميـنة فضة؛ إذا استأجر رجل ثوراً، ونفق بسبب جلده أو إهماله، فعليه أن يعوّض لصحابه ثوراً بديلاً. وعلى الرغم من أن حمورابي لم يخترع تلك القوانين، وإنمـا عمل على جمعها وتسجيلها، فإن مجموعته تعتبر أكبر عمل قانوني قام به حاكم حتى ذلك العصر.

أخناتون (أمينوفيس الرابع)

حكم هذا الفرعون مصر من 1379 إلى 1362 قبل الميلاد. وكان منذ شبابه يميل إلى الاعتقاد بوجود إله واحد هو "أتون" قرص الشمس، ولذلك غير اسمه ليصبح أخناتون أي "مجد أتون".

وبنى عاصمة جديدة في المكان الذي يسمى حالياً "تل العمارنة"، بعد أن كانت مدينة طيبة هي مركز الأسرة الحاكمة والآلهة والتقاليد الراسخة.

واستطاع أخناتون وزوجه نفرتيتي، في العاصمة الجديدة أن يعيشا حياة جديدة، وأن يعبدا الإله الواحد "أتون".

غير أن رجال الدين كانوا أقوياء، وكانت مصالحهم مرتبطة بالآلهة المتعددة والمعتقدات القديمة، كما كانوا يتمتعون بالسلطة الروحية وبمزايا عديدة، ولذلك عارضوا الفرعون المصلح لأنه أراد أن يبسط المعتقدات إلى إله واحد، فيفقدون ما يتمتعون به من سلطة ونفوذ. واستغل رجال الدين الانهزامات التي واجهتها مصر في سوريا وفلسطين، وكون الفرعون أخناتون أنجب ست بنات من نفرتيتي، فنسبوا ذلك إلى غضب الآلهة عليه.

وكان هذا الفرعون رقيق المشاعر، ضعيف البنية، ولم يعر اهتماماً كبيراً لمشاكل الدولة الخارجية. ولم يكتب لثورته الإصلاحية أن تدوم طويلاً بسبب المعارضة القوية. وقد عمل من جاء بعده على تدمير العاصمة التي بناها، وتدمير جميع الآثار التي تركها أخناتون الذي نبذ فكرة تعدد الآلهة، وكتب قطعة نثرية يمجد فيها إلهه الشمس تدل على إيمانه العميق بوحدانية إلهه، ويقول ما معناه : أيها الإله العظيم الذي لا إله سواه ما أكثر آياتك...، خلقت الأرض حسب مشيئتك...، وخلقت فيها البشر والأنعام وجميع المخلوقات، أسبغت عليهم نعمك ، ورزقت كل مخلوق ما يسدّ حاجته، وقدرت ساعة موته.

◈رمسيس الثاني الكبير :

هــو المــلك الــثالث فــي الأسرة التاسعة عشرة. تولى الحكم بعد أخناتون المصــلح الديني، وحكم مصر من 1304-1237. كان أبوه ساتي الأول يصطحبه فــي حملاته الحربية وهو صغير، وعينه ضابطاً ولم يتجاوز اثنتي عشرة سنة من العمــر. وزوجة رمسيس الأولى هي نفرتاري التي ماتت في سن مبكرة، وقد شيد لهــا معبداً، أهداه إلى إلهة الحب، إلى جانب المعبد الضخم الذي شيده لنفسه في أبو سنبل. وتزوج بعدها بعدد من الزوجات (بصفة رسمية)، كما كان له عدد كبير من الزوجات ممن ملكت يداه، وزاد عدد أولاده على المائة.

وتوفــر لــه عــدد من العوامل جعلته ملكاً شعبياً وفرعوناً قويا، حتى لقب برمســيس الكــبير. مــن ذلك أنه حكم مصر مدة طويلة، وأنه كان قائداً عسكرياً محــنكاً، واتبع سياسة خارجية واقعية، كما كان بارعاً في إدارة الأمور الاجتماعية والديــنية. وازدهرت الحياة الاقتصادية في عهده، فساعده ذلك على تشييد كثير من المباني الضخمة لتخليد اسمه.

اتــبع رمسيس سياسة توسعية في فلسطين وسوريا. وقاد معارك عديدة ضد الليــبيين والحثيين، ونجح في التغلغل داخل الإمبراطورية الحثية في شمال سوريا. واشــتهرت معــركة قــادش التي قادها ضد الحثيين. وعلى الرغم من أنها لم تكن حاســمة لصالح رمسيس، فقد عمل على تخليدها في ملحمة شعرية عظيمة تصور انتصــاره. وبعد أن وقع على معاهدة صلح مع الحثيين تزوج بابنة ملكهم في عالم 1270ق.م.

ومــن بيــن المعــابد التي شيدها معبد رمسيس الضخم في أبوسنبل، ومعبد طيــبة، وضريحه في وادي الملوك. وبما أن أسرته كانت تسكن في دلتا النيل، فقد شيد هناك حيا فخماً لإقامته.

ويـــرجح المؤرخون أن الفترة التي أقام فيها سيدنا موسى في مصر تتوافق مـــع الفـــترة الـــتي حكم فيها هذا الفرعون ، وأن الفرعون ساتى (أو SETHOS) الأول، أبـــا رمســـيس الثاني هو الذي اضطهد قوم موسى في مصر؛ وأن هروب اليهود من مصر بقيادة موسى (عليه السلام)، حدث عام 1290، أي أثناء حكم رمسيس الثاني الكبير.

◈نبوخذ نصر (أو بختنصر) :

كـــان نبوخذنصـــر ملكاً عظيماً، وربما أعظم ملك حتى عصره 604-562 ق.م. وكـــان ملكه يمتد من البحر الأحمر حتى بلاد ما بين النهرين. ازدهرت في عصره حضارة ما بين النهرين، وشيد في مدينة بابل مباني ضخمة، وزين معابدها وطـــرقها. كمـــا ينسب إليه بناء الحدائق المعلقة التي تعد من عجائب العالم القديم. واشـــتهر كذلـــك بانتصـــاراته العســكرية التي ساعدته على توسيع مملكته. وغزا أورشـــليم واستولى عليها عام 597 قبل الميلاد، وأسر يوياقيم، ملك يهوذا، وأخذه إلى بـــابل . واســـتولى عـــلى أورشـــليم مرة ثانية وأسر عدداً كبيراً من سكانها، واستولى على كنوز معابدها.

وفـــي عهـــده بلغت سلطة الإله مردوك ذروتها، وكان مردوك يمثل السلطة الخـــالدة الـــتي يستمد منها الملك سلطته المطلقة. وتروي التوراة أن نبوخذ نصر، عـــندما استولى على أورشليم، أخذ عدداً من وجهاء يهوذا وأمرائها، ممن هم أهل لتعـــلم اللغة الكلدانية وأدبها، وبعد تدريبهم وتعليمهم مدة كافية يستخدمون في قصر المـــلك. وتقـــول الـــتوراة إن الملك رأى حلماً لم يستطع أحد تفسيره سوى دانيال الحكيـــم (من أسرى يهوذا). ولما فسر له المنام قربه إليه وجعله رئيساً على جميع حكماء بابل.

وتروي التوراة أن نبوخذ نصر أمر أن يصنع تمثال عظيم من ذهب، وطلب من جميع الناس أن يسجدوا له ففعلوا إلا ثلاثة من الأسرى من حكماء يهوذا. فأمر أن يـــلقى بهـــم في أتون نار متقدة، ولكنها لم تحرقهم، بل راحوا يترنمون بأناشيد ديـــنية. وتضيف التوراة أن نبوخذ نصر أصيب بالجنون وظل هائماً مع الوحوش مدة سبع سنوات، ثم عاد إليه عقله وملكه، وأصبح يؤمن بإله السماء ويسبح له.

قورش الثاني :

ولد قورش الثاني بين 590 و 580 ق.م. وتروي الأساطير أن العرافين أخبروا الملك أستياجس (جد قورش الثاني) أن حفيده من ابنته سَيَبْتَزُّ مُلْكَه عندما يكبر. فأمر الملك أحد مستشاريه بقتل الطفل. غير أن الرجل سلم الطفل إلى أحد الرعاة لتربيته. وبالفعل ثار قورش الثاني على جده سنة 550 ق.م. وأخضع لسلطانه مناطق واسعة تمتد من آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين حتى نهر الهندوس. وعمل قورش الثاني على توحيد البلدان التي استولى عليها، وأنشأ الإمبراطورية الفارسية.

كان قورش الثاني بعد الانتصار على عدوه، يجنح للمصالحة ويحترم الشعوب المغلوبة ومؤسساتها. كما اشتهر بحسن التنظيم والشجاعة وكرم الأخلاق. ويروى أنه عندما تغلّب على كروسوس، ملك ليديا، اتخذه مستشاراً له. وكان الملك نبوخذ نصر قد نقل عدداً من اليهود إلى بابل فسمح لهم قورش الثاني، عندما احتلّ هذه المدينة، بالعودة إلى بلادهم، وساعدهم على إعادة بناء معبدهم. وتسهب التوراة في مدح هذا الملك العظيم (ولعلّ في ذلك تحريفاً ومبالغة مقصودة) فتقول "إن الذي أحبه الرب هو الذي يقضي مشيئته على بابل". وتقول "قورش أداة في يد الله، يأخذ بيمينه ويخضع الأمم بين يديه". وتروي على لسان الرب "أنا أقمته (أي قورش) للبرّ. وسأقوّم جميع طرقه. هو يبني مدينتي...".

أما هيرودوت فيرى أن الملكة TOMYRIS تغلبت عليه في معركة عام 528ق.م. وأغرقت رأسه في حمام من الدم، جزاء له على ما ارتكبه من جرائم. ويروى أن قورش الثاني لقي حتفه وهو يقاتل عام 529ق.م.

◈ **بركليس :**

ولـد بركـليس عام 495 قبل الميلاد في أثينا. وفي عهده ازدهرت العلوم والفنون، وأصبحت أثينا أعظم مدينة في اليونان، وعاصمة ثقافية لما تجمع فيها من فـنانين وأدبـاء وعـلماء. وقد عمل بركليس، عندما تولى المسؤولية، على تحقيق الـتعاون بين الشعب والمجلس النيابي، والاستقرار السياسي، ودعم القوة البحرية، وتنشـيط الـتجارة والأعمـال الفنية، وسهر على تنشيط أعمال البناء ليوفر العمل لأصـحاب الحرف، فأعاد بناء الأكربول، ومعبد البارثنون الذي يضم تماثيل الإلهة أثيـنا، وكان الفرس قد دمروا هذه المباني. كما ازدهرت في عهده الديمقراطية في أثيـنا، ولكن ليست بالمعنى الذي نفهمه اليوم. فلم يكن آنئذ يسمح للنساء ولا للعبيد والأجـانب بممارسـة حقوقهـم السياسية، ولم تكن الديمقراطية تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، وكان الزعيم الأول هو الذي يسيّر شؤون البلاد.

تـزوج بركليس في أواخر العشرينات من عمره، وأنجب ولدين ولكنه فارق زوجـته لعـدم الانسـجام. وفي نحو الخمسين من عمره تعرف على سيدة تدعى "أسباسـيا"، جـاءت إلى أثيـنا حيث فتحت ناديا ثقافياً لتعليم البلاغة وفنون الكلام، يجـتمع فيـه الـرجال والنسـاء، وتـتردد عـليه شخصيات شهيرة مثل سقراط، وسوفوكليس، وفيدياس، ومجموعة أخرى من الأدباء والفنانين.

كـانت أسباسيا سيدة ذكية، مثقفة وذات جمال ساحر، فأعجب بها بركليس، السياسـي العظيـم، وأحبها وعاش معها، غير أنه لم يستطع أن يتزوجها لأنه كان أصـدر تشـريعاً يمنع الأثينيين من الزواج بالأجانب. وواجه انتقادات من جماعة زعمـوا أن أسباسـيا أثرت على سياسته خاصة عندما حارب أهل ساموس الذين دخلوا في حرب ضدّ سكان ميليتوس، مسقط ورأس عشيقته.

وفـي الفـترة الأخيرة من حياة بركليس خاضت أثينا حرباً ضروساً مدمرة ضد اسبارطة، زعزعت ثقة الشعب بزعيمهم بركليس، كما وجهت لحبيبته أسباسيا

اتهامـــات بشـــأن سلوكها ومعتقداتها. غير أن بركليس دافع عنها بقوة وحماس ولم يـــتخل عـــنها . وفـــي نفس الفترة أصاب سكان أثينا وباء مريع أودى بحياة أعداد كـــبيرة من السكان، وذهب ضحيته اثنان من أبناء بركليس، وما لبث أن فتك بهذا الزعيم العظيم سنة 429 قبل الميلاد.

◈ الإسكندر المقدوني :

ولــد عام 356ق.م. في مدينة بيلا Pella بمقدونيا . أبوه فيليب الثاني ملك مقدونيا ، وأمه أوليمياس. تتلمذ على أرسطو، ولم يوافق على رأي معلمه بأن غير اليونانيين يجب أن يعاملوا كالعبيد.

أظهــر شجاعة وبراعة عسكرية وهو شاب في السادسة عشرة من عمره. وعندما قتل أبوه عام 336ق.م. تولّى الحكم وعمل على إحكام القبضة على مختلف مــناطق اليونــان. بعــد ذلك توجه نحو مشروعه الكبير وهو غزو بلاد الفرس، واصطحب معه عدداً من العلماء والمهندسين وغيرهم .

انطلق الإسكندر من مدينة بيلا مسقط رأسه عام 334ق.م. متجهاً نحو آسيا الصــغرى، فاستولى في طريقه على عدد من المدن حتى وصل إلى مدينة إسوس حيــث انتصــر على جيش ملك الفرس داريوس الثالث في أكتوبر عام 333 ق.م. ســار بعد ذلك بمحاذاة ساحل سوريا حتى مدينة صور فدمرها بعد حصار دام عدة أشهر، ثم استولى على غزة، ودخل مصر التي كانت خاضعة لحكم الفرس.

أمــر ببناء المدينة التي تحمل اسمه حتى اليوم، ثم ذهب إلى واحة أمون في سيوه، حيث استرشد الإله "أمون" عن نجاح حملاته. واتجه نحو ممفيس حيث نظم الأمــور المتعــلّقة بإدارة مصر أثناء غيابه، ورجع متجهاً نحو بلاد فارس لملاقاة داريــوس الــثالث الــذي أعــاد تنظيم جيشه، وهزمه عام 331ق.م. ثم اتجه نحو الجــنوب الشرقي فاحتل بابل، سوز، وبيرسيبوليس، عاصمة إمبراطورية الفرس، فأمر الجيش بنهبها.

اتجــه نحــو الشمال الشرقي نحو بحر قزوين، ثم نحو أفغانستان، وواصل مسيرته حتى الهند فدخل البنجاب. واجتاز نهر الهندوس، بعد أن هزم جيوشاً كانت تستخدم الفيلة في المعارك. بعد ذلك شعر أن جيوشه تعبت وقطعت مسافات كبيرة، فكرّ عائداً نحو مدينة بابل التي قرر أن يجعلها عاصمة ملكة، وهناك توفي وعمره لا يتجاوز اثنين وثلاثين عاماً، وكان قد مضى عشر سنوات منذ أن غادر اليونان.

كـــان الإســـكندر يتمتع بقوة بدنية كبيرة، وكان قاسياً لا يرحم في الحرب، وحـــتى فـــي معاملة أقرب الناس إليه. فقد قتل بيديه كليتوس، وهو أقرب أصدقائه إليـــه. وادعى أنه من سلالة الآلهة، وأنه ينحدر من سلالة هيركول العظيم من جهة أمـــه. وســـعى إلى تـــأكيد ذلك عندما فتح مصر، إذ عمل على أن يعترف له كبار الكهنة من ممفيس بأنه ابن الإله "أمون". وكانت الأساطير اليونانية تذكر بأن أبطالاً مثل هيركول وديونيسوس بلغوا مستوى الآلهة بفضل منجزاتهم العظيمة.

ومن منجزات الإسكندر الكبير، بالإضافة إلى كونه نهب مدنا وأراق الدماء، أن غزواته أحدثت تغييراً هاماً في تاريخ أوروبا وآسيا. وقد بنى مدنا عديدة، وأنشأ مراكز تجارية وثقافية تمتد من البحر المتوسط حتى الهند. تزوج ROXANA ابنة أحـــد نبلاء الفرس[1]، وطلب من ضباطه وجنوده أن يتزوجوا من الفارسيات رغبة في توثيق العلاقات بين الشعبين ونشر الثقافة الهيلينية.

---

(1) وبرسين : إبنة داريوس.

◈ حنبعل :

حنبعل (247-183ق.م) قائد حربي عظيم، حارب الروم الغزاة بكل ما أوتي من قوة وشجاعة وذكاء وحب للوطن. أبوه الجنرال باركا، لقب بهملكار (البرق) لأنه كان يقوم بهجمات سريعة صاعقة على الروم. وقبل موته عام 231 ق.م. أوصى ابنه بمحاربة الروم حتى الموت.

كان حنعبل سياسيا ماهراً، بالإضافة إلى كونه قائداً عظيماً . وكان في الوقت نفسه متواضعاً، لا يخص نفسه بشيء يميّزه عن جنوده، كان يأكل معهم وينام بينهم . وكان أبوه هملكار قد خاض حرباً ضروساً ضد الروم. وعندما تولى حنبعل قيادة الجيش عام 221 ق.م.، وضع نصب عينيه الانتقام من الروم الغزاة.

فكر حنبعل، وقرر أن ينقل الحرب إلى أرض إيطاليا، فجمع جيشاً من خمسين ألفاً من المشاة، وتسعة آلاف من الفرسان و37 فيلاً، وقاده عبر أسبانيا، حتى وصل إلى جبال الألب، بالقرب من ممر "سان برنار" عام 218 ق.م. وقد لقي جيشه صعوبات جمة في اجتياز جبال الألب، الفيلة خاصة، وفقد حنبعل عدداً كبيراً من جنوده في الطريق بسبب البرد والجوع.

وصل حنبعل إلى شمال إيطاليا، واشتبك مع الروم في المعركة الأولى عند نهر "بو" فهزمهم . ووقعت معركة ثانية قرب بحيرة ترانسيمان عام 217 ق.م.، كتب فيها النصر كذلك للقائد القرطاجي. واتجه حنبعل نحو الجنوب فاشتبك مع جيش روما في معركة ضارية بالقرب من "كان" Cannes عام 216 ق.م.

كانت هذه المعركة فاصلة، وكان النصر فيها حليف جيش قرطاج حيث قتل نحو خمسين ألفا من جيش الروم، وأسر حنبعل عشرة آلاف، كما قتل فيها أحد قواد جيش العدو، وكذلك ثمانون من أعضاء مجلس الشيوخ الذين شاركوا في المعركة.

وبعد انتصار حنبعل في معركة Cannes أصبح الطريق إلى روما مفتوحاً أمامه. ولكن لماذا يزحف نحو روما لمحاصرتها، حيث إنه لم يعد لها جيش قوي

يحميها؟ الواقع أنه لم يكن لدى حنبعل وسائل الحصار التي تمكنه من هدم الأسوار أو تسلقها. وظل ينتظر وصول أخيه بالإمدادات. غير أن هذا الأخير واجه قوات روما في شمال إيطاليا، وقتل في المعركة.

كان قائد جيش الروم يدعى شيبيون الإفريقي، وكان معجباً بأسلوب عدوه حنبعل وشجاعته، وقرر أن ينقل الحرب إلى قرطاج، فأسرع حنبعل راجعاً (عن طريق البحر) للدفاع عن وطنه، واشتبك مع قوات روما في معركة "زاما" عام 202ق.م.، ولم يكتب النصر لجيش حنبعل، فاضطرت قرطاج لطلب الصلح.

وظل هدف حنبعل الوحيد أن يجمع قوات جديدة لمحاربة الروم، غير أن الفئات المعادية لحنبعل أبلغوا الروم أنه مازال يحرض على محاربتهم. فتوجه نحو الشرق وتتبع الروم أثره للقبض عليه. وفي النهاية، فضل أن ينتحر عندما حاول أحد الملوك الذي استضافه أن يسلمه إلى الروم خوفاً من بطشهم، وكان ذلك عام 183ق.م.

◈ يوليوس قيصر :

ممــا يــروى عن يوليوس قيصر في شبابه، أنه بينما كان ذاهباً إلى جزيرة رودس ليتعــلم فن الكلام والخطابة، أسره قرصان، فجمع مبلغاً من المال افتدى به نفســه، ثــم قال للقرصان سأقتلكم جميعاً. وبالفعل جمع قوة، وركب سفينة وفتش عــنهم وصلبهم جميعاً. هذا هو القيصر العظيم الذي عمّت شهرته الآفاق . لقد كان يتمــتع بقــدرة على التحمل لا يفوقها إلا ذكاؤه. فبالإضافة إلى كونه قائداً عسكرياً ماهراً كان خطيباً بليغاً، وكاتباً قديراً، وسياسياً محنكاً.

ولــد يوليوس قيصر عام 100ق.م. وفي عام 84ق.م. تزوج كورنيليا، ابنة أحــد النــبلاء ممــن شــاركوا فــي ثــورة سابقة ضد نظام القنصل الحاكم سولا (SULLA). وبعد أن نجح هذا الأخير في إخماد الثورة طلب من يوليوس أن يطلق زوجته كورنيليا فرفض. وبذلك عرض نفسه ومستقبله للخطر. واضطر أن يرحل إلى آسيا لينضم إلى الجيش الروماني هناك. وقد أظهر منذ شبابه اهتمامه بالشؤون السياســية، وبالعمل على إصلاح الأوضاع المتدهورة في الإمبراطورية الرومانية. فــبدأ يوطــد سلطته بالتعاون مع قائدين مشهورين هما بومبي وكراسوس. وعندما عيّــن قــائداً للجيش الروماني في بلاد الغال حقق انتصارات كبيرة، وكوّن جيشاً مــنظماً مدرّبــا وفيّــاً لقائده الذي كان يقوده من نصر إلى نصر ، ويدفع لجنوده مرتبات سخية.

غيــر أن أعداء يوليوس قيصر في مجلس الشيوخ بدأوا يشعرون بالقلق من طمــوح هذا القائد القوي، فطلب منه أن يتخلى عن قيادة الجيش ويعود إلى روما. ولما رفض، اتهم بالعصيان، وأعلن المجلس أنه أصبح عدوا لروما. واتجه يوليوس جــنوباً حتى عبر نهر "الروبيكون" بجيشه، وبذلك تجاوز حدود المناطق التي كان مســؤولاً عنها، واعتبر عملاً عدوانياً. عندئذ طلب المجلس من القائد بومبي (وكان قد بدأ يحقد على يوليوس) أن يقود جيش روما لحماية البلاد. وكانت حجة يوليوس في اتجاهه نحو روما، أنه إنما يأتي ليحمي إيطاليا من فساد الحكام، وليصلح نظام الحكم ويعيد الاستقرار للبلاد. وبذلك بدأت الحرب الأهلية.

تغلب يوليوس على جيش بومبي وأخرجه من إيطاليا ؛ ثم توجه نحو أسبانيا حيث هزم جيشاً كان معارضوه قد أعدوه لمحاربته. بعد ذلك قاد جيشه لملاحقة بومبي عبر الادرياتيك، وانتصر عليه في معركة PHARSALUS الحاسمة عام 48ق.م. وتتبع بومبي حتى مصر حيث قتل هذا الأخير. وفي مصر تدخل يوليوس في حرب أهلية بين كليوباترا وأخيها لصالح الملكة السمراء التي وقع في حبها. وعاد إلى روما حيث كانت انتصاراته قد مهدت له السبيل ، فصوّت مجلس الشيوخ ليجعله دكتاتوراً مدى الحياة. ولم تطل إقامته في روما، إذ سرعان ما قاد جيشه متوجهاً نحو إفريقيا ليحارب جيشاً أعده أعداؤه. فسحق جيشهم وعاد إلى روما، ولكن ليرحل بجيشه مرة أخرى إلى أسبانيا ويسحق تمرداً قاده أعداؤه.

وبينما كان يوليوس قيصر في قمة مجده وسلطانه تآمر عليه أعداؤه، واغتالوه في مبنى مجلس الشيوخ، في روما في مارس من عام 44 ق.م.[1] كان يوليوس قيصر مشرعاً بارعاً وقائداً عظيماً أثرت منجزاته على مصير الحضارة الغربية قروناً طويلة. وعاد النظام الجمهوري إلى روما بعد اغتياله، ولكن أعماله (ومنها التقويم الحديث على أساس 365 يوماً في السنة) بقيت تشهد بقوة شخصيته. ولم يمر وقت طويل حتى انتشرت الأنباء بين السكان أن القيصر لم يكن بشرا بل إلها.

(1) انظر مسرحية شكسبير "يوليوس قيصر" في قسم "حكايات ، قصص ومسرحيات".

◈ كليوباترا :

هــي البنت الثانية للملك بطليموس الثاني عشر ملك مصر. ولذلك فهي من ســلالة مقدونية تعود إلى بطليموس، أحد قواد الإسكندر المقدوني الذي تولى حكم مصــر بعــد وفــاة الإسكندر. ولدت كليوبترا عام 69 ق.م. وكانت امرأة جميلة، عرفت بطموحها وقوة عزيمتها.

اشــترط عــليها أبوها أن تتزوج أخاها، بطليموس الثالث عشر، لكي ترث العرش. وبعد موت الأب بدأ خلاف شديد بينها وبين أخيها (زوجها)، فنشبت حرب أهــلية بيــنهما. وعندما دخل يوليوس قيصر إلى مصر عام 48 ق.م.، حارب إلى جانبها، وفي النهاية أعادها إلى العرش.

وجــدت المــلكة الطموحــة في يوليوس قيصر خير عون لها على تحقيق أهدافهــا، ووجد فيها امرأة فتانة وغنية، فعاش معها مدة وأنجبت له ولدا. وعندما عــاد إلى روما لحقت به وظلت معه إلى أن قتل عام 44 ق.م.، وبذلك فقدت أكبر معين لها.

بقيت كليوباترا تنتظر ما يتمخض عنه الصراع بين الأطراف المتنازعة في روما، وعندما انتصر مارك أنطونيو على خصومه، فكر في إعداد حملة لغزو بلاد الفرس، فبعث إلى كلبوبترا يطلب منها أن تلقاه في مدينة طرسوس بآسيا الصغرى. وســحر القائد الروماني بشخصية ملكة مصر، فأجّل حملته إلى بلاد الفرس، واتجه مع كليوبترا إلى الإسكندرية، حيث بذلت قصارى جهدها لتكسبه إلى جانبها.

وفــي عام 40 ق.م. عاد أنطونيو إلى روما لتسوية بعض المشاكل، ثم اتجه نحو شرق البحر المتوسط، ولحقت به ملكة مصر مرة أخرى، وكان في حاجة إلى أموالهــا لمواصلة حملاته الحربية، وتزوجها عام 37 ق.م. رغم أنه كان متزوجاً، وأنجبت له ولدين وبنتا.

ونقــم عليه مجلس شيوخ روما وخصومه زواجه من أجنبية (وهو متزوج)، كما كان أنطونيو قد ارتكب خطأ آخر وهو أنه وزع عدداً من الممالك شرق البحر المتوسـط، تابعــة لروما، على كليوبترا، وولدها من يوليوس قيصر، وعلى أولاده مـنها. وأخـذ عـليه أيضــاً أنه فكر في نقل العاصمة من إيطاليا إلى مصر أي الإسكندرية بدلاً من روماً .

وأثــارت أعمـــال أنطونيو غضب مجلس الشيوخ في روما، فأعلن الحرب على كليوبترا. ووقعت معركة أكتيوم ACTIUM عام 31 ق.م، وكان يقود الجيش الــروماني أوكتافيان أغسطس الذي واجه قوات انطونيو وكليوبترا. وفجأة انسحبت قوات كليوبترا من المعركة فكانت النتيجة الهزيمة. وعادت إلى الإسكندرية ومعها أنطونيو، في جو من الخيبة والفشل.

وحــاولت فـــي الــنهاية التخلص منه، فأرسلت إليه من يخبره بأنها ماتت، فانــتحر. ولمـــا خشــيت كليبوترا أن تلقى الإهانة من أوكتافيان الذي كان قد لحق بالإســكندرية فضــلت أن تنتحر . وتروي الأساطير أنها انتحرت بوضع أفعى في فراشها. وكان عمرها 39 سنة. وقد تولت الملك مدة 22 سنة، وسحرت رجلين من أهم ساسة روما. وبموتها انتهى عهد البطالمة في مصر.

◈نيرون :

ولد نيرون عام 37 ميلادية ، توفي أبوه وعمره ثلاث سنوات، فتزعزع في أحضان أمه أحربينا. كانت هذه المرأة طموحة عنيفة لا يثنيها شيء عن تحقيق أهدافها. فقد قتلت زوجها الثاني لكي تتزوج بعمها، الإمبراطور كلوديوس، بعد أن تآمر على قتل زوجته فاليريا. وأثرت على الإمبراطور لكي يزوج ابنته أكتافيا لابنها نيرون. بعد ذلك أقنعت الإمبراطور بأن يجعل وارث الملك بعده ابنها، بدلاً من ابنه الوارث الشرعي. ثم عملت على القضاء على أعدائها من مستشاري الإمبراطور واحدا بعد الآخر؛ وسممت الإمبراطور زوجها؛ ثم قتلت ابنه الوارث الشرعي لكي يخلو الجوّ لابنها فيتولّى الحكم بدون منافس.

هذه هي البيئة الأسرية التي ترعرع فيها الطفل نيرون، وتولى الحكم وعمره لا يتجاوز 17 عاماً. كان نيرون، في بداية عهده يحب أمه ويحترمها، وكانت تحكم البلاد باسمه في أول الأمر؛ وكان هو إمبراطوراً كريماً متسامحاً رقيق المشاعر يكره العنف. وقد نظم مباريات رياضية ومنافسات فنية، ومنع المصارعة الدموية، وعفا عن كثير من معارضيه ومنع حكم الإعدام. وبصفة عامة لم تخل الفترة الأولى من حكمه من أعمال إيجابية. ولكن تدريجياً بدأ يحقد على أمه لتسلطها عليه، واستبدادها بمن حولها، وبلغ به الحقد أن أمر بقتلها عام 59، وبذلك بدأت مرحلة العنف والتحول إلى السلوك الجنوني الذي اتهم به. وبدأ يتصرّف وكأنه ليس إمبراطوراً، فراح يلعب دور الفنان والشاعر والموسيقار، والممثل في حلبات سباق عربات الخيل. كما دعا، بعد زيارة طويلة لليونان، إلى عبادة أبولو ، وتحرير العبيد، وبدأ يقترب من الفرق والمذاهب الدينية الشرقية مثل اليهودية واليونانية والهندية والزرادشتية. وفي عام 62 أمر بقتل زوجه أكتافيا لأنها كانت تنتقده بسبب حبه لزوجة السناتور OTHO الذي أصبح إمبراطوراً فيما بعد. كما أمر بقتل معلمه الفيلسوف سنيكا.

ولا شــك في أن هذا السلوك خلق له أعداء كثيرين من بين النبلاء والضباط وأعضـــاء مجــلس الشيوخ. واتهم بالفسوق وجنون العظمة. والواقع أن سلوكه لم يشــرف إمبراطوراً من سلالة القياصرة. وتجدر الإشارة إلى اتهامه بإحراق روما واضــطهاد المسيحيين، غير أن هذا الاتهام يظل في إطار الإشاعات التي روجها بعــض المؤرخين، خاصة المسيحيين منهم. والحقيقة أن عدد المسيحيين في روما، عام 64، عند اندلاع النيران، كان قليلاً جداً وليس هناك دليل قاطع على أنه تسبب في إحراق روما. وفي النهاية بدأت ضده ثورات في أسبانيا وبلاد الغال، وفي بلاد المشرق. وأعلن مجلس الشيوخ أنه أصبح عدواً للشعب فحكم عليه بأن يموت على الصــليب ميــتة العــبيد. وانتحر نيرون في جوان من عام 68 ميلادية بعد أن دام حكمه 14 سنة، وبموته انتهت سلسلة القياصرة.

◈ جنكيزخان :

اسـمه تموجين، ولد عام 1162، ويقال إنه خرج من بطن أمه وهو يمسك بعلقة دم في يده، فكان بذلك من أكبر السفاحين الذين عرفهم التاريخ. وكان له أخت وثلاثـة إخوة . مات أبوه مسموماً على يد رجال إحدى القبائل المعادية، فورث ثأر الانـتقام منهم. ومر بظروف قاسية بعد وفاة أبيه، منها أنه أسر، وظل يحمل النير حول عنقه قبل أن يهرب. ثم إن رجالاً من إحدى القبائل خطفوا زوجته انتقاماً من أبيه الذي كان بدوره خطف امرأة من رئيس هذه القبيلة وتزوجها وهي أم تموجين. وقد استطاع هذا الأخير أن يستردّ زوجته، بمساعدة رجلين أحدهما يدعى طوغريل والآخر جاموكا اللذين لعبا دوراً هاماً في حياته.

يـبدو أن أجـداد تموجين كانوا من ذوي النفوذ ، وقد حاولوا توحيد القبائل المنغولية التي كانت تعيش حياة بدوية ، في نزاع مستمر من أجل توسيع سلطانها. وبـدأ الشـاب تموجيـن يفكر في هذه الأهداف التي كان يحلم بها أجداده. كان في حـروبه سفاحاً طاغية لا يرحم، يقتل رؤساء القبائل وأعوانهم، حتى لا يبقى منهم أحد ينازعه السلطة أو يوحد القبيلة ضده.

وكـان فـي بعض المعارك يأمر بقتل كل من هو قادر على حمل السلاح، ويشـتت شمل النساء والأطفال فيوزعهم على أفراد قبيلته . وكان يهدف من وراء ذلـك إلى القضـاء عـلى النزعة القبلية وعلى الولاء التقليدي لزعيم القبيلة، وإلى توحيـد أفـراد القبائل المغلوبة تحت سلطة واحدة، ليكون ولاؤهم لرجل واحد هو تموجين.

وكـان عام 1206 نقطة تحول في حياته، فقد اجتمع كبار القوم وقلدوه لقب جـنكيز خان، أي حاكم العالم. وكان قد انتهى من توحيد القبائل فبدأ في التفكير في السـيطرة عـلى العـالم. كان يعتقد أنه مكلف بمهمة سماوية. وكان أحياناً، أثناء الشدائد، يتجه نحو السماء الزرقاء التي كانت بعض القبائل المنغولية تقدسها.

وجـه حملاتـه نحو الصين فاحتل بكين عام 1215، واحتل تركستان عام 1218. وواصـل حملاتـه نحـو الغرب فاستولى على أفغانستان وخوارزم وبلاد الفـرس. وكانت حروبه في هذه المناطق مثالاً للوحشية التي اشتهرت بها هجمات المنغول. وما إن جاء عام 1227 (سنة وفاته) حتى كانت جيوشه قد استولت على بلاد تمتدّ من جنوب غربي روسيا حتى مدينة بكين على سواحل الصين شرقاً.

◈ كرستوف كولومب :

ولـد كرستوف كولمومب في بادوفا، قرب مدينة جنوه، عام 1451، وكان منذ صغره مولعاً بأخبار البحارة وأسفارهم. وفي عام 1476 استقر في مدينة لشبونة حيث بدأ يرسم خرائط الملاحة البحرية. وخلال هذه الفترة بدأت تتخمر في نفسه فكرة السفر إلى الشرق بالإبحار نحو الغرب، إذ إنه كان مقتنعاً أن الأرض كروية.

اتصل بملك البرتغال، جان الثاني، وطلب منه تمويل مشروعه ، غير أن الملك اعتذر عن ذلك بعد أن أخذ منه تفاصيل المشروع، ثم أرسل بحارة للوصول إلى "الصين"، ولكنهم فشلوا. وحاول كرستوف كولومب الاتصال بملك أسبانيا، غير أنه واجه صعوبات جمة حيث إن هذا الملك كان مشغولاً بالحرب ضد المسلمين. ولكن كولومب كان مقتنعاً بمشروعه، قوي العزيمة، فتوصل في النهاية إلى مقابلة ملك أسبانيا فرديناند وزوجته إزابيلا لشرح مشروعه. وطرح الملك المشروع أمام لجنة، ورفضت الفكرة. وأرسل كولومب أخاه إلى ملك انكلترا لطلب مساعدته، ولم يصل إلى هدفه لأن القراصنة أسروه في الطريق.

بعد انتصار فرديناند على المسلمين والاستيلاء على مدينة غرناطة، دعا كرستوف كولومب ليبلغه موافقته على تمويل المشروع. وفي 3 أوت عام 1492، أبحر كولومب وجماعته من مدينة بالوس على متن ثلاث بواخر، وكان هدفه الوصول إلى الصين، البلاد الغنية التي طالما تحدث عنها ماركو بولو.

مكث كولومب وصحبته نحو شهر في جزر كنري ليعدوا سفنهم للسفر الطويل. وغادرها يوم 6 سبتمبر. ومرت الأيام والليالي، وبدأ البحارة يتذمرون، ثم بدأ الخوف يستولي على نفوسهم. وبعد متاعب جمة وسفر طويل، شاهدوا الأرض في يوم 12 أكتوبر، أي بعد 36 يوماً من مغادرتهم لجزر كنري. نزلوا أول مرة في ما يعرف اليوم بجزيرة سان سلفدور، ثم وصلوا إلى كوبا التي كان كولومب يعتقد أنها الصين، ومنها إلى هايتي. ولو لم تكن قارة أمريكا في طريق كولومب

لهلك هو ومن معه، لأنه وضع حساباته للوصول إلى آسيا، بل توفي وهو يعتقد أنه وصل إلى الصين.

ومـن الأسباب التي جعلت أسبانيا توافق على تمويل هذه الرحلة، وكلومب يقـوم بهـذه المغامـرة ، الرغبة في الوصول إلى ما في الصين من ثورة وذهب حسـبما وصـفها ماركو بولو؛ واستغلال جزء من هذه الثورة لتمويل جيش يحرر الأمـاكن المقدسة؛ بعد أن فشل الصليبيون؛ وكذلك لعبت الرغبة في نشر المسيحية فـي بلدان آسيا دوراً هاماً. وعندما فشل كولومب في العثور على الذهب الموعود، لجـأ ورفاقه إلى العنف ضد الهنود وراحو يجلبون المئات منهم لبيعهم كرقيق في أسبانيا.

وعـاد إلى أمـريكا (الصين في اعتقاده) مرة ثانية بأسطول كبير مجهز بما يساعد على استعمار الأرض التي اكتشفها. ثم قام برحلة ثالثة عام 1498، وكانت سـمعته قـد ساءت ، واتهم بسوء الإدارة والتصرف ، فأعيد إلى أسبانيا مقيداً في الأغلال. وقام برحلة رابعة وأخيرة، بعد أن عفا عنه الملك في عام 1502. ومات عام 1506، وترك ولدين ، كتب أحدهما، فرديناند، كتاباً عن حياة أبيه.

أثـناء ذلك، كان هناك بحار آخر يدعى Amerigo Vespuci ، قد ذهب في رحـلة إلى العـالم الجديـد لاكتشاف مناطق جديدة. وسار محاذياً سواحل أمريكا الجنوبية، فتبين له أن هذه الأرض قارة جديدة، وليست آسيا، ولذلك أصبحت تحمل اسمه.

◈ كورتيز :

فــي عــام 1518 أرسل حاكم كوبا القائد الأسباني كورتيز نحو المكسيك، وجهــزه بــإحدى عشرة سفينة، و600 من المشاة وستة عشر فارسا. بدأ كورتيز بإنشــاء مستعمرة على خليج المكسيك سماها Vera Cruz ؛ ثم راح يستطلع أخبار الهــنود الأمــريكيين في مملكة الأزتيك [1]. فعلم مثلاً أنهم لا يعرفون الفرس و لا المدفــع، وأنهم يعتقدون أن لهذه المخلوقات قوى سحرية، كما علم أن بعض القبائل الهــندية تكــره نظام حكم الأزتيك القاسي، الذي يلجأ إلى الحروب للحصول على الأسرى الذين تسفك دماؤهم تقرباً إلى إله الشمس.

وكــان فــي ممــلكة الأزتيــك قديمــاً مــلك عظيــم يدعى كواتزالكوتل QUETZALCOATL ، كــان يعتبر نصف إله، غير أنه ارتكب خطأ ضد الآلهة فــترك البلاد وأبحر في المحيط الأطلسي. ولكن شعب الأزتيك ظل يعتقد بأن هذا المــلك ســيعود يومــاً. وكان هذا الملك أبيض البشرة، ذا لحية أنيقة وكثيفة، وهي ســمات لم تكن موجودة لدى الهنود الأمريكيين. غير أن حكاية هذا الملك اكتسبت صــبغة أســطورية. وبما أن المنجمين أشاعوا أنه جاء الوقت الذي سيعود فيه هذا المــلك إلى بــلاده، ظــن الهنود الأزتيك وملكهم Montezu,a أن القائد الأسباني صاحب اللحية الأنيقة والبشرة البيضاء ، هو وجنوده من سلالة ملكهم العظيم الذي ينتظرون عودته.

ودخــل كورتيــز عاصــمة ممــلكة الأزتيك في المكسيك ، فقوبل وجنوده بالترحاب، وقدّمت لهم الهدايا، وأسكنه الملك في أحد قصوره. وكان القائد الأسباني قــد تــرك قســماً مــن جيشه الصغير في المستعمرة التي أنشأها، ودخل عاصمة الأزتيك بنحو 400 من جنوده. وقد انبهر هؤلاء الغزاة مما شاهدوا في هذه المدينة مــن مــبانٍ رائعــة، ونظــام طــرق وازدهار وخيرات. وهكذا سهلت الظروف

(1) انظر : مملكة الازتيك، صفحة 306.

والمعـتقدات الـلقاء الأول بين الأسبان والهنود الأزتيك. ومن حسن حظ كورتيز كذلك أن وهبت له فتاة ذكية خبيرة بتقاليد الأزتيك، فكانت له عوناً كبيراً.

وعـرف كورتيـز أن جيشه القليل لا يسمح له بمحاربة الأزتيك، فلجأ إلى الحيلة والمراوغة، وإلى التحالف مع القبائل التي لم تكن راضية عن حكم الأزتيك. ثـم قـرر أن يجعـل ملكهم، مونتيزوما، تحت الإقامة الجبرية، وظل الملك يسير شـؤون الـبلاد تحـت إشـراف الأسبان. وأثناء إقامة القائد الأسباني في عاصمة الأزتيـك (وهـي مكسيكو سيتي حالياً)، أرسل حاكم كوبا قوة إلى المستعمرة التي أنشأها كورتيز، وكان هدفه أن ينزع الشهرة من هذا الأخير، وينال فضل الاستيلاء عـلى المكسـيك. فأسرع كورتيز إلى المستعمرة بنحو 250 من جنوده وألفين من الهنود ، ونجح في القضاء على الجيش الذي أرسله حاكم كوبا.

وعندما رجع إلى عاصمة الأزتيك وجد أن الهنود ثاروا على ملكهم وقتلوه، ونصـبوا مـلكاً آخـر بدله. فأمر جنوده أن ينسحبوا من المدينة ليلاً وراح الغزاة يجمعـون الحلي والأواني الثمينة قبل مغادرة المدينة، ولكن الأزتيك هاجموهم أثناء انسحابهم، وقتلوا منهم أعداداً كثيرة.

وعـاد كورتيز عام 1521 فحاصر المدينة، وقاوم الأزتيك بشجاعة إلى أن نفدت إمكانياتهم، فدخلها الأسبان وقتلوا أعداداً كبيرة من السكان.

وبسـقوط عاصـمة الأزتيك انهارت امبراطوريتهم، وأصبح كورتيز حاكم المكسـيك الـذي كـان يدعى "أسبانيا الجديدة". وفي نهاية المطاف مات كورتيز مجهولاً بالقرب من مدينة إشبيليا عام 1540.

◈ نابليون بونابارت [1] :

بمـــاذا يحكم الإنسان على الغزاة الفاتحين مثل نابليون والإسكندر المقدوني، وجـــنكيزخان وأمثالهم، ممن سيطر عليهم حب السلطة والطموح، أو اعتقدوا أنهم مكلفون بمهمة سماوية، فأهلكوا الحرث والنسل ، وعاثوا في الأرض فسادا؟

كـــان نابـــليون طموحاً تسيطر على أعماله نزعة الدكتاتورية وضرب من جنون العظمة، فقاد الشعب الفرنسي ، وشعوباً أخرى ، إلى مجازر دامية، ونشرت جيوشه كثيراً من الدمار من البرتغال إلى موسكو، وجعل من فرنسا بلداً استعمارياً عدوانيـاً. لقد دفعت أوروبا عامة، وفرنسا بصفة خاصة، ثمناً باهظاً نتيجة حروبه وأطماعـــه التوسعية، وفي النهاية ، عندما حلّت نهايته، أصبحت خريطة فرنسا أقل مما كانت عليه عند اندلاع الثورة الفرنسية عام 1789.

أمـــا الفرنسيون فيفتخرون بقائدهم نابليون العظيم، لأنه رفع علم بلادهم فوق عواصـــم أوروبا، تماماً كما تفخر اليونان بالإسكندر الكبير، ومنغوليا بجنكيزخان. ولـــم لا تفـــتخر فرنسا، وقد هزم أعداء ثورتها، وقاد جيوشها من نصر إلى نصر، وجهزها بالقانون المدني المشهور، وأنشأ مؤسسات ساعدت على تدعيم مبادئ هذه الثورة.

ولـــد نابـــليون يـــوم 15 أوت من عام 1769 بمدينة أجاكسيو، في جزيرة كورسيكا. درس في مدرستين حربيتين، وتخرج برتبة ضابط في سلاح المدفعية.

وكانت نهايته عندما هزم في معركة "وترلو" في شهر جوان من عام 1815 فـــنفي إلى جزيرة "سانتاهيلينا"، وهي جزيرة صغيرة في جنوب المحيط الأطلسي . وتوفي هناك في 5 ماي من عام 1821. وفيما يلي بعض أعماله في سطور :

- اختير عام 1793 لقيادة سلاح المدفعية لإنقاذ مدينة تولون التي استولت عـــليها قوات من الملكيين الفرنسيين بمساعدة قوات انكليزية وأسبانية. بعد ذلك عين قائداً في سلاح المدفعية في إيطاليا.

---

(1) اسم العائلة في الأصل Buonaparte، فغيره نابليون إلى BONAPARTE.

- فـي أكتوبر 1795 قام الملكيون بحركة انقلابية ضد مؤسسات الثورة، فساعد نابليون على القضاء على حركتهم.
- قام بحملات في شمال إيطاليا حققت انتصاراً كبيراً، سيطر على مناطق الـ Piemond ولومبارديا ، وأجبر النمسا على التوقيع على معاهدة صلح عام 1797.
- قـام بحملـته المشهورة ضد مصر في 1798 بهدف قطع طريق الهند على بريطانيا ، وكانت حملة فاشلة.
- قـام بانقلاب عسكري في 1799 ، استولى على الحكم وأصبح القنصل الأول.
- توج إمبراطوراً عام 1804.
- انتصـر فـي أكـبر معـركة خاضـها ضد النمسا وروسيا ، معركة "أوسترليتيز"، في ديسمبر 1805.
- خسر أسطوله في معركة Trafalgar ضد الإنكليز في 1805.
- هزم بروسيا في معارك عديدة في عامي 1806 و 1807.
- فشـل فـي غزو ابريطانيا ، فحاول إغلاق أوروبا أمام بضائعها لخنق اقتصادها، فلم تنجح هذه المحاولة.
- اسـتطاعت ابـريطانيا أن تجمـع قوات البرتغال وأسبانيا إلى قواتها، وألحقت بجيش نابليون هزيمة في 1809.
- كانت حملته على روسيا في 1812 كارثة فادحة وهزيمة شجعت الدول عـلى تحدي نابليون. ثم جاءت معركة ليبتزيغ (Leipzig) في أكتوبر 1813 فقضت أو كادت على جيشه.
- بعد عودته من جزيرة "إلبا" (حيث نفي المرة الأولى) استطاع أن يجمع جيشاً، دخل بلجيكا وهزم جيش بروسيا في جوان 1815.
- فـي 18 جـوان 1815 خـاض معركة وترلو القاضية، ضد جيشي ابريطانيا وبروسيا.



القسم الرابع

كتاب وعلماء

◈ هوميروس :

هـل وجد شخص اسمه هوميروس بالفعل ألف ملحمتى الإلياذة والأوديسة؟ هذا أمر يشك فيه كثير من النقاد. فليس هناك مكان محدد ولا تاريخ مؤكد لميلاده. بـل توجـد مدن عديدة تدعى أنه ولد فيها، وفي تواريخ مختلفة. ويقول البعض إن الملحمـتين من القصص الشعبية التي تناقلتها الأجيال شفوياً، وأن هوميروس ربما يكون قد سجلها أو أضاف إليها أو غير في حوادثها.

ولكن اليونانيين أنفسهم كانوا ينسبون الملحمتين إلى هوميروس، ولهذا يسود الـرأي بأن هذا الشاعر وجد حقاً، وأنه هو الذي كتب الإلياذة والأوديسة، أو ساهم بقسط وافر فيهما. وتذكر بعض المصادر أنه ولد في مدينة SMYRNA في القرن الثامن قبل الميلاد.

تـروى الإلياذة قصة اختطاف باريس الطروادي للجميلة "هيلينا" زوجة ملك اسـبارتا، ومـا تبع ذلك من محاصرة اليونانيين لمدينة طروادة، والحرب الطويلة بيـنهم وبيـن **أهل طروادة. كما تتحدث الملحمة عن غضب أخيل، بطل الملحمة،** ورفضـه خـوض **المعركة** ضد طروادة **عندما** أخذ منه AGAMEMNON، **قائد جيـش اليونان، امرأة أسيرة** كانت **من نصيبه**. وفي النهاية **يخوض أخيل المعركة، ويقـتل هكتور بطل طروادة**.ويجرح باريس البطل أخيل بسهم في عرقوبه فيموت مـن جرحه، لأن عرقوبه هو المكان الوحيد غير المنيع الذي يمكن أن يموت منه. وتنتهي الحرب، بعد حصار طويل، باستيلاء اليونانيين على طرواده.

أمـا الوديسة فتروي المغامرات التي واجهها أوليس، ملك إيتاكا، وهو أحد الأبطال اليونانيين في حرب طروادة، أثناء عودته من طرواده إلى بلده. ومما نقرأ في هذه الملحمة أن أوليس يصل إلى جزيرة SCHERIA، وقد أنهكه السفر، يشاهد فتاة تغسل ملابسها في النهر، وهي ابنة ملك الجزيرة. يطلب كساء يستر به جسده، فـترحب بـه وتقوده إلى المدينة. ويقص على أسرتها مغامراته، فيحدثهم عن لقائه مـع آكيـلي اللوتس، وكيف نجا من العملاق وحيد العين، وكيف أمسكته الساحرة

CIRCE مدة سنة، وحولت رفاقه إلى خنازير، وعندما تحطمت سفينته على ساحل جزيرة الملكة كاليبسو أبقته معها سبع سنين... الخ.

ويأمر الملك بنقله إلى بلده إيتاكا. وهنا يتخفى في زيّ رجل مسن، ويجد أنّ عــدداً من كبار المدينة قد احتلوا منزله، وراح كل منهم يلح على زوجته الوفية أن تــتزوجه، فظــلت هــي تلجأ إلى الحيلة للتخلص من طلَبهم، أو تؤجله حتى يعود زوجهــا. ولــم يقــدر أيٌّ منهم أن يثني القوس الذي تركه زوجها، وقد جعلت هذا شــرطاً لزواجها. ويكشف أوليس سرّه لابنه وخادمه، ويدخل المنزل متخفياً فيأخذ القــوس ويثــنيه، ويصيب الهدف، وينجح في القضاء على من أرادوا أخذ زوجته والاســتيلاء على عرشه. ويعيش مع زوجته وأهله مدة 16 سنة، ثم يظهر له ابن مــع الســاحرة CIRCE جــاء باحثاً عن أبيه، وراح ينهب بعض سكان الجزيرة، فهرع أوليس لإنقاذ الموقف، فقتله ابنه دون أن يعرف أنه أبوه.

ومن أقوال هوميروس :

- الأمل واليأس كلاهما مصدر قوة.
- الفنّ ينال الجائزة قبل القوة.
- قصير عمري خالد ذكري.
- المرأة الشريرة أخطر شياطين جهنم
- النوم والموت توأمان يسيران بخطى هادئة.
- لابدّ للنفس النبيلة أن تتوب.

◈ **دانتي :**

ولد عام 1265 في مدينة فلورانس (بإيطاليا)، ودرس في مدرسة الفرانسيسكان في Santa Croce . بدأ يكتب الشعر ولم يتجاوز العشرين من عمره. وهام بفتاة تدعى بياتريس كان لها تأثير عميق على ما كتب. وكان في مدينة فلورانس حزبان متنازعان متنافسان على السلطة: حزب البابا، والحزب الملكي. وانهمك دانتي في النزاعات السياسية التي كانت تمزق جمهورية فلورانس، وتولي مسؤوليات هامة، وكان من الحزب المعارض لتدخل البابا بونيفاس الثامن في شؤون الجمهورية.

في عام 1301، طلب البابا من Charles Valois ، أخي ملك فرنسا فليب الرابع، أن يدخل إلى فلورانس ليحسم النزاع بين الحزبين (لصالح حزبه طبعاً). عندئذ أرسل الحزب المعارض شخصيات منهم دانتي للتفاوض مع البابا بونيفاس. أثناء ذلك دخل شارل المدينة، وتمت محاكمة دانتى (غيابيا) وجماعته. وبالإضافة إلى التهم السياسية، اتهم بالرشوة والفساد وحكم عليه بأن يدفع غرامة ضخمة، وألا يدخل الجمهورية مدة سنتين، وأن يحرم من الوظيفة العامة مدى الحياة.

قضى دانتي بقية حياته بعيداً عن المدينة التي أحبها متنقلاً بين مدن إيطالية. وأصدرت سلطات فلورانس عام 1315 نداء تدعو فيه المنفيين إلى العودة إلى المدينة، غير أن الشاعر رفض ذلك. وقد شعر بحزن عميق عندما علم بخبر نفيه، ولكنه أصبح الآن طليقاً ليدرس ويبحث ويكتب.

ترك دانتى عدة مؤلفات أشهرها Vita Nuova (الحياة الجديدة) التي كتبها عام 1292، أي بعد وفاة الفتاة بياتريس التي كانت مصدر إلهام له بسنتين. ويضم هذا الكتاب 31 قصيدة من الشعر الغنائي العاطفي، يقص فيها الشاعر قصة لقائه بـبياتريس، وحبه لها، ووفاتها. ومنها كتابه IL-CONVIVIO (الوليمة)، ويرمز هذا العنوان إلى كون الكتاب وليمة لمن لم يستطيعوا أن يدرسوا بصورة منتظمة. ويتحدث فيه دانتى عما ينتابه من حيرة وصراع بين حبه للفتاة بياتريس التي

توفيـــت، وحبه للفلسفة التي تسليه وتشجعه لكي يبقى وفيا للأولى. ويستخلص بأن الحب في الحقيقة هو رغبة الروح في أن تتحد مع خالقها.

وأهـــم مؤلفاتـــه هي "الكوميديا الإلهية" التي تضم 14233 بيتاً، وتتألف من ثلاثـــة أقسام هي الجحيم، المطهر، والجنة، ويتخيل الشاعر في هذه القصة أنه بعد وفاتـــه قام بجولة عبر ملكوت عالم الآخرة، يقوده أولاً الشاعر الروماني فيرجيل ، ثـــم بياتريس الحبيبة، وتبدأ الرحلة بنزول دانتى وفيرجيل إلى الجحيم، وهي دائرة الشـــياطين والمغضـــوب عـــليهم، ثم يمران "بالمطهر"، وهو المكان الذي يقيم فيه النادمون والتائبون. وتتواصل الجولة حتى يصلا إلى الجنة فيختفي فيرجيل. ويلتقي دانـــتى بالحبيبة بياتريس التي ترمز للرحمة الإلهية، وقد أصبحت ملكا. وتقوده إلى ملكوت السماء العليا، مروراً بأرواح المؤمنين، حتى يصلا في النهاية أمام العرش الإلهي.حيث يشبع الشاعر رغباته في العلم والمعرفة.

◈ جوفاني بوكاتشو

ولـــد في باريس (حسب أشهر الروايات) عام 1313، وكان تعليمه الابتدائي فـــي مدينة فلورانس. بعد ذلك أرسله أبوه إلى نابولي ليتعلم إدارة الأعمال والتجارة فـــي مكـــتب كـــان شـــريكاً فيه. وساعده عمله على التعرف على رجال الأعمال والأثـــرياء. كمـــا تعرف على الأميرة FLAMMATTA (ابنة الملك) التي أحبته وأحـــبها، وكـــان لهـــا تأثير عميق على إنتاجه الأدبي. وساعدته هذه العلاقة على التعرف على رجال العلم والأدب وعلى الطبقة الارستقراطية.

عـــاد بوكاتشو إلى فلورانس، فانقطعت أخباره، إلا ما يشير منها إلى المهام الـــتي قـــام بها كسفير إلى عدد من المدن. وفي عام 1348 أصاب فلورانس الوباء الذي تحدث عنه الكاتب في كتابه "ديكاميرون". ومن الأحداث الهامة التي أثرت في حياتـــه (بعـــد الآثـــار الـــتي تركـــتها في نفسه إقامته في نابولي) صحبته للأديب Petrarch الذي زاره مراراً في فلورانس، ميلانو، والبندقية. ومما أثر على إنتاجه أنـــه أصـــيب بأزمـــة نفسية، قرر على إثرها التركيز على الحياة الدينية الروحية والأخلاقية. ويقال إنه أثناء هذه الأزمة قرر أن يحرق جميع أعماله الأدبية لولا أن تدخل صديقه Petrarch. وتوفي بوكاتشو في منزله بقرية Certada عام 1375.

أشـــهر أعمال بوكاتشو كتابه "ديكاميرون" الذي يعني حكايات "عشرة أيام"، وفيـــه يتخيل الكاتب أن سبع فتيات وثلاثة فتيان يلتقون في كنيسة بمدينة فلورانس التي كانت ترزح تحت وطأة الوباء. وهروباً من هذا الوباء والجو الكئيب يقررون أن يلتجـــئوا إلى مسكن منعزل، غير بعيد عن المدينة. وهنا يتفقون على أن يقص كـــل منهم قصّة للتسلية والترفيه عن النفس، كل يوم خلال عشرة أيام، وبذلك يبلغ عدد القصص مائة.

وتركـــز قصـــص اليـــوم الأول عـــلى فضـــح أعمال رجال الدين وطبقة الارستقراطية. ومن بينها قصة الرجل الذي خدع القس واعترف له بأعمال خيالية فنال بذلك شهرة كبيرة.

وتركز حكايات اليوم الثاني على موضوع الحظ وما له من أثر عميق على مجــرى حيــاة الفــرد. وتقص إحدى الحكايات قصة رجل ذهب إلى مدينة نابولي لشــراء خيــول، فوقــع صدفة في مغامرات جعلته يفقد جميع ماله، ولكن بعد أن اســتولى عــليه اليأس حصل على خاتم ثمين بمحض الحظ والصدفة، عوضه عما فقــد. وتــتحدث إحدى حكايات اليوم الثالث عن رجل ذهب إلى دير، وتظاهر بأنه أصــمّ وأبكم فنجح في غواية جميع الراهبات، واحدة بعد الأخرى. وتتناول حكايات اليــوم الســابع موضوع دهاء النساء ومخادعتهن لأزواجهن، فيقص أحدهم حكاية المرأة التي تخون زوجها وهو في المنزل منهمكاً في تنظيف حذائه. وتدور حكاية أخرى حول القس الذي أغرى امرأة، فنجحت بسهولة في مخادعة زوجها الغبي.

وتعــالج قصــص اليوم الثامن كذلك موضوع تحايل الإنسان على الإنسان، ولجوئــه لــلغش والمخادعة لقضاء مآربه. ومنها قصة رجلين يسرقان خنزيراً ثم يــتهمان صاحبه بأنه كذب عليهما واختلق قصة السرقة لينال منهما شيئاً. وينجحان في دعواهما فيخرج صاحب الخنزير بخسارتين، إذ يخسر خنزيره وسمعته.

ويواصل الفتيان والفتيات قصصهم متناولين موضوعات شتى تتعلق بالحياة والحــب والخــداع وغير ذلك. ويقضون أياماً عديدة في جو من المرح والهدوء، وسط الطبيعة، بعيداً عن أنين المدينة المنكوبة وصياح أهلها(1).

(1) انظر قسم الحكايات والقصص.

◈ جوفرى تشوسر :

ولد عام 1340، وكان أبوه تاجر خمور مشهوراً. وعندما كان تشوسر طفلاً عمــل خادمــاً في منزل كونتيسا مشهورة، ثم ألحق بغلمان القصر الملكي. وأثناء عملــه في الجيش الانكليزي في فرنسا، أسر ومكث في السجن إلى أن دفعت عنه الفديــة. بعــد ذلك قضى سنوات عديدة في خدمة الملك. تزوج امرأة كانت خادمة للمــلكة نفسها. بعد ذلك عين مراقباً للجمارك في ميناء لندن، ثم قاضياً في مقاطعة "كانت".

زار فرنســا وإيطاليــا حيث اطلع على الإنتاج الأدبي في البلدين. وفي عام 1386 انــتخب عضوا في البرلمان. وأسند إليه الملك وظيفة هامة فأصبح مسؤولاً عــن الأشغال الملكية. غير أن هذه الوظيفة أثقلت كاهله وشغلت جل وقته ، فعينه المــلك مســؤولاً عن إدارة الغابات الملكية، وبقي في هذه الوظيفة حتى وفاته عام 1400.

أشهر مؤلفات تشوسر "حكايات كانتربرى". يتخيل الشاعر في مقدمة حكايته أنه يلتقي في "خان" (فندق) بمجموعة من الحجيج في طريقهم إلى مدينة كانتربرى لــزيارة قــبر القديــس توماس أبيكيت. ويقرر تشوسر وصاحب الفندق أن يرافقا المجموعــة في رحلتهم . ويقترح هذا الأخير على الحجيج أن يقص كل واحد من المجموعــة (وعددهم ثلاثون) حكايتين أثناء الذهاب، وحكايتين أثناء العودة. ويبدو مــن هــذا أن المؤلف كان ينوي أن يكتب مائة وعشرين حكاية، غير أنه لم ينجز منها سوى 22 حكاية.

◈ ماكيافيلي :

ولد في مدينة فلورانس (إيطاليا) عام 1469، وعمل كمساعد لحاكم المدينة، ثم شغل مناصب عالية في جمهورية فلورانس.

كتب عن تاريخ فلورانس، وعن فنّ الحرب، ولكن أشهر كتبه هو كتاب "الأمير" الذي تأثر بأفكاره عدد كبير من رجال السياسة. توفي عام 1527 في فلورانس. ومن الوصايا والنصائح التي يقدمها ماكيافيلي للأمير ما يلي :

- يجب على الأمير ألا يكون رحيماً بل قاسياً، لأنه من الأفضل له أن يخافه الناس من أن يحبوه.
- عليه أن يقتل أعداءه، وعند الضرورة أصدقاءه، لأنه من طبع الإنسان أن يجحد النعمة ولا يحفظ العهد.
- يجب عليه أن لا يحافظ على عهوده ووعوده، أن يفعل الشر ويدعى أنه يفعل الخير، وأن يلجأ للحيلة والغش كلما دعت الضرورة.
- جميع العلاقات تنتهي بالحروب، فعليه أن يبحث عن مصالحه فقط، وأن يأخذ من غيره ما ترغب فيه نفسه.
- يجب على الأمير ألا يكون كريماً، بل بخيلاً مقترا، حتى لا يثقل كاهل الشعب بالضرائب . ولكن الأمير لا ينفق من ماله، بل من مال غيره.
- لا يكون شديد القسوة فيكره، ولا ضعيفاً فيحتقر، ومع ذلك يجب عليه أن يعامل الناس بالقوة، وألا يدع للرحمة منفذاً إلى قلبه.
- عليه أن يكون دائماً مستعداً للقتال، سواء تلبّس دور الأسد أو الثعلب، حسبما تمليه الظروف. بالحرب وحدها يفرض احترامه داخل البلاد وخارجها.
- عليه ألا يتردد في أن يعمل ما هو ضد القوانين، والمواثيق، والديانات، والإنسانية للمحافظة على السلطة والملك.
- عليه أن يختار وزراءه ومستشاريه من الخبراء الأوفياء.

◈مارتن لوثر :

كانت الخرافات والبدع تسيطر على الممارسات الكنائسية والشعائر الدينية، وابتعدت تصرفات القساوسة وسلوكهم عن روح تعاليم الإنجيل. وكان رجال الكنيسة يقدمون "صكوك الغفران" لمن يتبرعون لها بهبات مالية أو يقدمون خدمات اجتماعية ترضى رجال الدين. وكان القساوسة يزعمون أن صكوك الغفران تمحو الذنوب وتخفف العقاب يوم القيامة. وراح عدد كبير من القساوسة يستغلون هذه الممارسات لخدمة أغراضهم الشخصية.

في هذه الظروف ولد وترعرع مارتن لوثر، وتعلم، ودرّس، وفكر، وعلى هذه الأوضاع ثار، وناضل بشجاعة من أجل تغييرها.

انضم إلى المذهب الأوغستيني عام 1505، وأصبح قسيساً عام 1507، وبعد دراسات وبحوث متعمقة في الديانات المسيحية عين أستاذاً في جامعة غوتنبيرغ، وكان قد حصل على دكتوراه في علوم اللاهوت عام 1511.

وكان قد أرسل في بعثة لزيارة الفاتيكان عام 1510، فهاله ما لاحظ من جهل كثير من الرهبان، وأعمالهم المنافية لروح تعاليم المسيحية الصرفة. وفي عام 1517 كتب الوثيقة التي يشرح فيها آراءه، والتي علّقَ نسخاً منها على أبواب الكنائس. ويلاحظ أن حركة الإصلاح الديني التي أصبحت تعرف بالبروتستانت (المشتقة من كلمة Protester، يحتج، يعترض) نبعت من ثورة هذا المصلح الديني الذي أحدث انقلاباً دينياً واجتماعياً. ومن الأعمال التي قام بها :

- ترجم إلى الألمانية التوراة والإنجيل، وكتب أناشيد دينية نالت شعبية واسعة.
- عمل على تبسيط المسائل الدينية برفض البدع التي أضافتها الكنيسة على مرّ القرون.
- أكدّ بأنّ الإيمان وحده يكفي لخلاص الإنسان، ولا يشترك أن يقوم المرء بالممارسات التي تفرضها الكنيسة. وأكد فكرة أن الإله غفور رحيم، وليس فقط إله العذاب والجحيم.

- انتقد عادة الاعتراف أمام الراهب، وأكد حق الإنسان في أن يبحث عن سبيل الخلاص بنفسه.
- ثار على ما كانت تعطيه الكنيسة من أهمية للمظاهر الخارجية للطقوس الدينية ، وأكد أن النجاة من العقاب تكون عن طريق محبة الله، لا بالممارسات المضنية التي تفرضها الكنيسة على المواطن، أو تؤديها نيابة عنه. وقد ساند عدد من الكتاب والمصلحين والقساوسة أنفسهم أفكار لوثر، كما دعمت جهوده عوامل أخرى اجتماعية واقتصادية، من ذلك أن طبقة النبلاء والأثرياء وكبار رجال الكنيسة كانوا يعيشون حياة الترف، دون الاهتمام بحياة عامة الناس، بل كانوا يستغلون الفقراء والفلاحين بغير رحمة.

وقد أدت ثورة لوثر إلى نتائج لم يكن هو نفسه يتوقعها في بداية الأمر. من ذلك الانقسام العميق في المسيحية بين كاثوليك وبروتستانت، وزيادة شعور الفرد بقدر أكبر من الحرية تجاه سيطرة الكنيسة، وثورة المزارعين عام 1524 الذين ثاروا مطالبين بتحسين أوضاعهم، متأثرين بتعاليم لوثر ومنشوراته وأفكاره.

ومما يؤخذ على لوثر أنه وافق على إخماد ثورة المزارعين بالقوة، لاعتقاده أنهم تجاوزوا الحدود الروحية والدينية المعقولة. ومن نتائج ثورة لوثر أن بدأ بعض القساوسة يتزوجون ، وراح عدد منهم يتخلى عن الممارسات والشعائر الكنائسية التقليدية، وتزوج لوثر نفسه عام 1525 براهبة.

ومن أشد التغيرات تأثيراً أن رفض عدد من الأمراء في ألمانيا ولاءهم للبابا، وخولهم مجلس تشريعي حق تنظيم الكنائس في ولاياتهم، حسبما يرونه ملائماً ، وبذلك بقيت بعض الولايات متمسكة بالمذهب الكاثوليكي، واختارت أخرى أن تطبق الإصلاحات التي نادى بها لوثر، وهي ما عرف منذ ذلك العهد بالبروتستانتية.

◈ ميغيل دي سيرفانتيس :

ولد سيرفانتيس عام 1547 في مدينة بالقرب من مدريد، لعائلة فقيرة، وكان أبـــوه طبيباً متجولاً . كتب بعض الأشعار وهو في العشرين من العمر. وسافر إلى رومـــا حيـــث عمـــل فترة في حاشية أحد الكاردينالات. والتحق بعد ذلك بالجندية، واشـــترك فـــي معركة ليبانتو (LEPANTO) بإيطاليا، ضد الأسطول التركي عام 1571، وفيها جرح وفقد القدرة على استخدام يده اليسرى.

أثـــناء عودتـــه إلى أســـبانيا عان 1575، هاجم القرصان السفينة التي تقله، وكـــان معه أخوه، فأسر سيرفانتيس وأصحابه ، وأخذوا إلى الجزائر حيث اشتراه رجـــل يونـــاني. وبعد محاولة الفرار، اشتراه الداي لخدمته. وأخيراً عاد إلى بلاده أسبانيا، بعد أن دفع أهله الفدية.

ونجد سيرفانتيس عام 1587 يعمل في اشبيلية كمسؤول عن مخزن المؤونة للأســـطول ARMADA الـــذي كـــانت تعده أسبانيا لمحاربة إنكلترا. وبعد هزيمة الأســـطول، ظلّ الكاتب يعمل كمسؤول عن تموين السفن. وقد اتهم بالإجحاف في مصادرة المؤن، وعدم ضبط الحسابات، فطرد من الوظيفة، وسجن. وتوفي في 23 افريل 1616، يوم وفاة شكسبير.

كـــتب ســـيرفانتيس قصائد شعرية ومسرحيات وقصصاً قصيرة ، غير أن العمل الذي جعل سمعته تغزو الآفاق هو كتابه "دون كيشوت"[1].

ومن مأثور أقواله :

- الكلمتان الخطيرتان : مُلْكي ومُلْكك.
- العيون ألسنة الحب الصامتة.
- ألطف مخلوقة لبست حذاء.

(1) نبذة عنه في قسم : "حكايات، قصص ... "

- لا تزحف نحو ما يمكنك أن تقطفه واقفا.
- من يداعب القطط قد تخدشه.
- من يحلق وجهك يجب أن يكون أكثر ثقة ممن يسرج حصانك.
- يظل الإيمان عقيماً ما لم يتبعه العمل الصالح.
- لا يمكن أن يظل القوس منحنياً، وكذلك لابد للإنسان من متعة مباحة.
- أجمل دور في المسرحية هو دور المجنون.
- إن الطيور على أمثالها تقع.
- الكدّ والجدّ أمّ الحظ السعيد.
- الميراث الكبير يخفف الحزن على الميت.

◈ غاليلي :

ولـــد عام 1564 في مدينة بيزا. بدأ يدرس الطب ولكنه ركز اهتمامه على الرياضـــيات والفيزياء. وكانت فترة إقامته في مدينة بادوفا 1592 – 1610، فترة نشاط علمي وهدوء نفسي، فاخترع بوصلة هندسية، ومقياس حرارة هوائي، وأدخل تحسينات هامة على الجهاز الذي صنعه رجل هولندي، فصنع المكبر الذي استطاع أن يكشف به أربعة أقمار تابعة لكوكب المشتري، والدائرة المحيطة بكوكب زحل، كمـــا اكتشـــف مراحل كوكب الزهرة، وظاهرة البقع الشمسية، ولاحظ وجود جبال على سطح القمر ، وأن درب اللبانة مكون من نجوم. وهذه اكتشافات هامة بالنسبة لعصره.

وفي عام 1610 طلب منه الدوق كوزيمو الثاني أن يأتي إلى فلورانس حيث عين مسؤولاً عن تدريس مادة الرياضيات، من غير أن يقوم بمهمة التعليم، وبذلك كـــرّس وقـــته للـــبحث والـــتجارب. كتب غاليلي رسائل علمية يشرح فيها آراءه، ويتحدث في إحداها عن أهمية التمييز بين الحقائق العلمية ومسائل الإيمان. وبرهن فـــي رسالة أخرى عن صحة النظام الكوني الذي تحدث عنه كوبرنيك. كما أكد في رسالة ثالثة قضية استقلال العلم عن الدين.

وتعـــرض لأول هجوم عام 1614 بسبب نظرياته الفلكية. وبعد ذلك بعامين تقريـــباً أدانـــه مجـــلس الفاتكان الأعلى لكونه أورد فكرتين من أفكار العالم الفلكي كوبـــرنيك في رسالته عن الكلف الذي يظهر فوق الشمس. ووجه إليه إنذاراً بأن لا يذكر نظرية كوبرنيك وأن لا يدافع عنها.

والـــتزم غاليلي السكون إلى أن صدر كتابه IL SAGGIATORE الذي أكد فيـــه أن اكتشـــافاته الفلكية تنسجم مع نظام كوبرنيك القائل بأن الشمس هي مركز العالم، أكثر من انسجامها مع نظام بطليموس القائل بأن الأرض هي مركز العالم. وقـــال غاليلي بما أن النظرية الأولى أدانتها الكنيسة والنظرية الثانية شجبها العقل، ينبغي البحث عن نظرية أخرى. ورحب رجال الدين بهذه الفكرة.

وفـــي عام 1632 صدر كتاب "حوار بين نظامي الكون" فاستدعته السلطات العــليا فـــي الفاتكان، وبعد محاكمة طويلة واستجوابات عسيرة، حكم عليه بالسجن المؤبـــد، الـــذي خفف بعد أن أنكر أقواله وشجب نظرياته علنا. وقضى هذا العالم العظيـــم المجـــدد بقيـــة حياته في مدينة فلورانس يعاني من المرض وفقد البصر والخيبة والحزن على موت ابنته، إلى أن توفي عام 1642.

◈ مارلو :

يعتـبر مارلو أكبر شاعر مسرحي قبل أن يشتهر شكسبير. ولد عام 1564 في كانتربري. قيل إنه عمل جاسوساً للدولة، وأن لقتله أسباباً تتعلق بعمله. فقد قتل وعمـره لا يـتجاوز 29 سنة أثناء عراك بسبب دَيْن. كتب مارلو مسرحية إدوارد الـثاني، ويهودي مالطة، والدكتور فاوستس، وغيرها . وتشير بعض المراجع إلى أنه شارك في كتابة مسرحيتي شكسبير هنري الرابع، وتيتوس أندرونيكوس.

◈ **شكسبير :**

المعلومات المؤكدة عن حياة شكسبير قليلة جداً. وقد ولد في أفريل عام 1564، في عهد الملكة إليزابيث الأولى، في مدينة STRATFORD-ON-AVON. كان أبوه رئيس البلدية، كما اشتغل في تجارة الصوف والقفافيز. وتعلم شكسبير في المدرسة حتى مستوى التعليم المتوسط. تزوج وسنه ثماني عشرة سنة بامرأة تكبره بثماني سنوات، أنجبت له ذكراً وابنتين.

ويقال إنه اضطر لمغادرة مسقط رأسه خوفاً من تهديد أحد الأثرياء، كان شكسبير انتهك حرمة أراضيه. ويبدو أنه اشتغل بالتعليم فترة. وبعد الحادث المذكور، لا يعرف شيء عن حياته إلى أن تظهر أخباره في لندن، حيث يبدو أنه وصلها عام 1586، وبدأ يقوم بأعمال ثانوية في أحد المسارح[1].

وفي عام 1592 تتأكد أخباره ككاتب مسرحي وممثل (لأدوار صغيرة). وبعد سنتين نجده يكتب مسرحيات لشركة LODE CHAMBERLAYNE للمثلين، وعضواً فيها . وظل يعمل معها طيلة خمسة عشر عاماً. وبدأ نجمه في الصعود، وزملاؤه يعترفون له بالأولوية في فنّ المسرحيات، كما أصبح يملك أسهما في هذه الشركة التي زاد شأنها عندها تبناها الملك جيمز الأول، بعد وفاة الملكة إليزابيث الأولى.

وظل شكسبير يعمل ويعيش في لندن إلى أن قرر عام 1610 أن يعود إلى مسقط رأسه. وكان قبل ذلك قد اشترى منزلاً فخماً هناك. غير أنه لم يتوقف عن الإنتاج، وظلت مسرحياته تمثل على المسرح المسمى Globe theatre الذي كان يعمل فيه. ويبدو أن علاقاته بالشركة المذكورة استمرّت حتى عام 1613. توفي هذا الشاعر العظيم في 23 من شهر أفريل 1916. وقد قال عنه أحد معاصريه : "إنه لا ينتمي لعصره، بل لجميع العصور".

---

(1) يقال إنه كان يحرس الخيل أمام مدخل المسرح.

ومن أقواله :

- الهموم ليست علاج المشاكل بل صدؤها.
- ما كل سحابة تحمل عاصفة.
- أفضل صحبة أحمق تزيد مرحى، من صحبة عاقل تزيد أحزاني.
- سأجعلك تحسب الإوزة غراباً.
- الغضب يفقد المرأة رقتها كما يفسد الوحل صفاء النبع.
- الجمال يستفز الرجل كما يغوي الذهب اللصوص.
- قساوة رياح الشتاء البارد ألطف من نكران الجميل.
- العالم مسرح كبير، والمخلوقات تمثل أدوارها.
- تذمر المرأة، إذا استمر ، يسمم البدن أكثر من عضة الكلب المسعور.
- مشاهدة العنف تمهد الطريق لارتكابه.
- حتى الشيطان يمكنه أن يستشهد بالكتاب المقدس.
- قد يصطاد المرء سمكاً بديدان أكلت من لحم الملك.
- كمن يغني وهو يحفر القبور.
- أظهر أقل مما تملك، وتحدث بأقل مما تعرف.
- غناؤها يجعل الدب قطًّا أليفاً.
- الإشاعات مزمار ينفخ فيه الشك والغيرة.
- يعتقد الأحمق أنه حكيم، ويعرف الحكيم أنه أحمق.

◈ فرانسيس بيكون :

ولـد عام 1561 في لندن، ودرس في كمبردج. كان أبوه يحتل وظيفة هامة لـدى المـلكة اليـزابات الأولى. ذهـب إلى بـاريس مع سفير إنكلترا ليتعلم فن الدبلوماسية، وعاد عند وفاة والده، فقرر أن يدرس القانون، ثم بدأ ممارسة المهنة. وقضـى سنوات عديدة يعمل في ظل شخصيات هامة مثل EARL OF ESSEX الـذي ساعده في مهنته، وإن كان قد حصل على مقعد في البرلمان بمساعدة عمّه. غيـر أنـه عـندما قدّم ESSEX للمحاكمة بتهمة الخيانة، وقف بيكون إلى جانب الملكة، وطالب بمعاقبة الإنسان الذي أحسن إليه.

عـندما جـلس المـلك جيمز الأول على العرش حظي برعايته وتنقل في وظائف هامة، فتولى منصب النائب العام، والرئيس الأعلى للقضاء وغيرها. ولكن فـي 1621 اتهـم بالرشـوة (واعترف بذلك) وحكم عليه بالسجن وبغرامة كبيرة، وحرم من تولي أي وظيفة في الدولة، فقضى بقية وقته في البحث والكتابة. وتجدر الإشـارة إلى الفـرق الكبير بين تعاليم بيكون السامية وسلوكه الدنيء والانتهازي. وقد قال عنه أحد الأدباء، هو ألكسندر بوب، "إنه أحكم البشر، وأذكاهم، وأحقرهم".

اشتهر بيكون بمؤلفاته الفلسفية، فقد كان يرى أن فلسفة أرسطو فلسفة "قاحلة لا تنتج الأعمال التي يستفيد منها الإنسان". لذلك كان يطمح إلى إنشاء نظام فلسفي يحـل محـل فلسفة أرسطو. وكان أسلوبه عملياً وتجريبياً يدعو إلى استخدام العقل والمـنطق من أجل تطوير العلوم وجمع المعلومات كما حاول أن يجعل العلوم في متناول الجميع.

واشتهر بيكون كذلك بمقالاته التي تحتوي على تأملات حول الحياة وسلوك الإنسـان. توفـي في شهر أفريل من عام 1621. نتيجة الإصابة بزكام بينما كان يجري تجربة لحفظ اللحوم في وسط الثلج. وفيما يلي مقتطفات من بعض مقالاته :

- الفضيلة مثل الحجرة الكريمة، لا تحتاج إلى زخرفة.

- الفضـــيلة مـــثل العطور الثمينة، تنشر عطرها عندما تسحق أو تحرق، ذلك لأن الثراء يكشف عن الرذيلة والشدائد تكشف عن الفضيلة.
- الجمال مثل فاكهة الصيف، سرعان ما تفسد.
- بعـــض الكتب تذاق فقط، وبعضها تبتلع بسرعة، وقليل منها تحتاج إلى المضغ والهضم.
- الـــزوجات عشـــيقات للشـــباب، رفيقات لمتوسطي العمر، وممرضات للكهول.
- يخاف الناس من الموت كما يخاف الأطفال من الظلام.
- اغضب ولكن لا تذنب، ولا تترك الشمس تغيب قبل أن تطرد غضبك.
- صاحب الوظيفة العالية عبد لثلاث : للسلطان، للشهرة، وللمهنة.
- العظمة الحقيقية أن يجتمع في المرء ضعف الإنسان وأمن الإله.
- الإفـــراط في طلب السلطة أدى إلى سقوط الملائكة، والإفراط في طلب العلم أدى إلى سقوط الإنسان.
- يروى عن ALONSO OF ARAGON أنه قال يحمد القدم في أربعة: الحطـــب القديـــم للتدفئة، والخمر القديم للشرب، والصديق القديم للثقة، والمؤلف القديم للقراءة[1].
- فـــي العهـــد القديـــم (التوراة) الثروة نعمة؛ في العهد الجديد (الإنجيل) الشدائد نعمة.

(1) هذا القول بصدد مدح كبر السن.

◈ تيرسو دي مولينا :

قصـــة دون جـــوان كـــنار على علم، فقد كتب عن هذه الشخصية مؤلفون عديدون مثل موليير، وموزار (أوبرا شهيرة)، وبايرون وغيرهم. وقد عالج كلّ من هـــؤلاء الكـــتاب موضوع دون جوان من زاوية خاصة. وأصبح اسم دون جوان يرمز للرجل الذي يفتن النساء.

ولكـــن أول مؤلف سجل لنا قصة دون جوان (وربما استوحاها من القصص الشعبية) هو الكاتب الأسباني تيرسو دي مولينا اسمه الحقيقي هو Gabriel Tellez ولـــد فـــي مدريـــد عام 1584. وكان من أبرز كتاب عصره، واشتهر بمسرحيات التراجيديا والكوميديا، وينسب إليه عشرات المسرحيات. وتعد قصة دون جوان من أهم مؤلفاته.

ومفـــاد القصة هو أن دون جوان حاول أن يفتن ابنة حاكم اشبيلية، غير أن أبـــا الفتاة فاجأه، فتبارز الرجلان، وقتل دون جوان الأب. دفن القتيل ونصب تمثال فـــوق قـــبره. وجاء دون جوان مع خادمه لزيارة قبر المقتول، فلاحظ أن التمثال يحـــرك رأســـه. يسخر دون جوان من التمثال (شبح المقتول)، ويدعوه إلى العشاء مســـتهزئاً به. غير أن الشبح يحضر ويسلم دون جوان للشياطين، فتحل عليه اللعنة الأبدية لأنه رفض أن يتوب.

◈ ملتون :

يعدّ ملتون من أكبر شعراء إنكلترا، ومن أوسعهم ثقافة، وكان له تأثير عميق على كثير من الشعراء. ومن إنتاجه الخالد الفردوس المفقود؛ والفردوس المسترد. ولد في لندن عام 1608، لأسرة بيوريتانية[1]. كان أبوه كاتباً عمومياً، كما اشتهر بالتأليف في الموسيقى. وبعد أن أنهى ملتون دراسته في كمبردج، أقام مع أبيه في "هورتون" (قرية قرب لندن)، عدة سنوات تفرغ فيها للمطالعة، فقرأ في الأدب اليوناني، والإيطالي، والفرنسي، والأسباني، كما قرأ التلمود والإنجيل وغيرها.

في هذه الفترة كتب قصيدتي L'Allegro (الرجل المرح)، وIL PENSEROSO (الرجل المستغرق في التأمل والتفكير) . ويتحدث في الأولى عن مزايا الحياة المرحة، والأيام وسط البادية، والليالي بين مباهج المدينة. ويصف في القصيدة الثانية حياة التأمل، عندما يقضي المرء الليالي في الدراسة والتفكير، ويمضي النهار متجوّلاً بين أحضان الغابة الهادئة. وألف مسرحيتين قصيرتين، وقصيدة Lycidas التي يرثي فيها صديقاً له غرق في البحر، وينتقد رجال الكنيسة.

وفي 1638 قام برحلة إلى أوروبا، فتجول في فرنسا وإيطاليا، وزار العالم غاليلي الذي كان سجيناً بسبب مخالفة أفكاره في الفلك للمعتقدات الدينية. وتزوج ملتون وعمره 35 سنة بفتاة من أسرة تنتمي للحزب المناصر للملكية. وسرعان ما ظهر النزاع بينهما فتركت الزوجة ملتون بعد بضعة أسابيع من زواجه الفاشل. كتب أربع مقالات حول الطلاق يؤكد أن الطلاق قضية شخصية ، وأنه يكفي عدم الانسجام وموافقة الزوجين لفصم عقد الزواج.

---

(1) حركة طالبت بتبسيط الطقوس الدينية وبالتمسك الصارم بالدين والأخلاق، في إنكلترا في عهد ملتون.

وكانت السلطات منعت عمليات النشر بدون رخصة، فرفعت دعوى قضائية علـى الشـاعر، وأجاب بمقال بليغ عن حرية النشر. ومع ذلك فإنه عندما رغبت زوجـته فـي العودة إليه، بعد سنتين من الفراق، وافق على ذلك؛ وولدت له ثلاث بنات وتوفيت عام 1654.

وخـلال الفـترة 1641-1654، قضى ملتون معظم وقته في كتابة رسائل ومقـالات يدافـع عـن حرية الدين ، والحرية الفردية، وعن الديمقراطية، وينادي بإصـلاح الكنيسـة وفصل الدين عن الدولة . وعندما نجحت الثورة البيوريتانية، وأعـدم الملك عام 1649، وقف ملتون بقوة إلى جانب كروموبل، زعيم الحركة ، وأسـند له منصب هام لدى مجلس الدولة، ونهض بدور كبير في الرد على أعداء الـثورة. وكان مما كتب في هذه المعمعة السياسية، مقالات كتبها عام 1660، أي قبل عودة الملكية بقليل، يوضح فيها خطته لإقامة برلمان مستديم.

ودارت الدائرة وانتصر الملكيون، وتولى العرش ابن الملك المقتول، وأوقف ملتون مدة ثم أطلق سراحه بعد أن دفع غرامة كبيرة، وكان محظوظاً فلم يعدم مع من أعدم ممن نصروا الثورة والبرلمان ضد الملكية.

وأثـناء ذلك كان الشاعر قد فقد بصره عام 1652، وهي السنة التي توفيت فيها زوجته الأولى. وشعر بالعزلة والمرارة، وبالحاجة إلى زوجة تؤنسه وتساعده في وحدته، فتزوج من امرأة توفيت بعد سنتين، أثناء الولادة. ولم تكن بناته الثلاث يحسـنَّ معاملته، فتزوج عام 1663 بامرأة تصغره بثلاثين سنة. وخلال هذه الفترة الأخيـرة مـن حياته أنتج ملتون أعماله الكبيرة مثل الفردوس المفقود؛ والفردوس المسترد؛ و SAMSON AGONISTES.

◈ لافونتان :

ولـد لافونـتان عام 1621، ودرس الحقوق، وتزوج فتاة صغيرة السن ولم يسعد بزواجه . وتولى عمل مفتش على المياه والغابات، وهو عمل ورثه عن أبيه. ثم رحل إلى باريس وعاش في رعاية شخصيات مختلفة منها السيدة LA Sbliére الـتي كان منزلها ملتقى الأدباء. انضم إلى الأكاديمية الفرنسية عام 1684. توفي عام 1695 في باريس.

أمـا الكـتاب الـذي خـلد اسمه فهو حكاياته التي جاء معظمها على لسان الحيوانات ، والتي لها مغزى اجتماعي وأخلاقي. وقد استوحاها من مصادر شرقية ويونانية ورومانية قديمة.

ومن أقواله :

- إنها للذة عظمى أن تخدع المخادع.
- رأى القوى هو الأفضل دائماً.
- لا نعرف المصيبة حتى تحيق بنا.
- لا تحكم على صاحب المهنة حتى ترى عمله.
- طريق الورد والزهور لا يقود للمجد.
- أخطر الناس أقلهم ضجيجاً.

◈ موليير :

ولـد عام 1622 في باريس، وكان أبوه ينجد الأثاث في قصر الملك لويس الـرابع عشـر، أمـا أمـه فتوفيت وعمره عشر سنوات. اهتم في صغره بدراسة الكوميديـا الـرومانية، ثـم درس القانون. وأظهر ميلاً شديداً للمسرح فاشترك في إنشـاء شـركة للمسرح وعمره لا يتجاوز 21 سنة، وعندئذ اتخذ اسمه المسرحي موليير. ولم يكتب النجاح لهذه الشركة فأفلست وزج به في السجن.

ولطـن بعد مدة قدررت هذه الشركة أن تخرج من باريس، فقام أعضاؤها، ومعهـم موليير، بجولات في مختلف المدن الفرنسية، حيث مثلوا مسرحيات عديدة واكتسـبوا خـبرات جديدة. وفي عام 1658 أعلن فليب أورليان (أخو الملك لويس الـرابع عشر) رعايته للشركة المذكورة، فضمنت بذلك نجاحها في باريس كذلك. وفي 1662 تزوج موليير أرموند بيجار التي كانت أصغر منه بنحو عشرين عاماً. ولم يكتب لهذا الزواج النجاح بسبب سلوك أرموند وعلاقتها مع رجال آخرين.

وركـز موليير على الإنتاج المسرحي، وأصبح يحظى برعاية الملك لويس الـرابع عشر، ويعرض مسرحياته في مسرح القصر الملكي. وأظهر براعة كبيرة فـي إنـتاج المسرحيات الهزلية. ولكنه بدأ يعاني من أزمات عديدة، فقد عانى من فشـل زواجه ، ومن مرض السل، وتوفي ابنه الأول، وتعرضت بعض مسرحياته لهجـوم عـنيف من المتزمتين. ومن مؤلفاته العديدة l'Ecole des maris (مدرسة الأزواج)؛ I' Ecole des femmes (مدرسـة الـزوجات)؛ ودون جوان؛ والطبيب رغـم أنفـه؛ و Tartudde (المـرائي)؛ و le Malade imaginaire (المـريض بالوهم)؛ وle Misanthrope (مبغض البشر)؛ والبخيل وغيرها.

كـان موليـيـر يجيد المسرحيات الهزلية التي تتناول بالانتقاد بعض العادات والأخـلاق السائدة. وقد حقق هذا الكتاب العبقري نجاحاً كبيراً، وحظيت مسرحياته بشـهرة عظيمـة على مرّ القرون، داخل فرنسا وخارجها. أصيب موليير بتوعك أثـناء تمـثيل مسرحية "المريض بالوهم"، وتوفي في تلك الليلة بتاريخ 17 فيفري 1673.

ومن أقواله :

- يقل مدحنا للأصدقاء بقدر ما يزداد حبنا لهم.
- الشك أشد عذاباً من أسوء الحقائق.
- المرأة لا تؤجل انتقامها إذا قدرت.
- أكبر غبيّ من يشغل نفسه بإصلاح العالم.
- الإله يمنع بعض الملذات، ولكن بوسع الإنسان أن يجد حلولاً وسطى.
- العالم الأحمق أشد حماقة من الجاهل الأحمق.
- أبشع الذنب ما كان علنا، أما مرتكب الذنب سرّا فلا حرج عليه.
- لا يوجد سور يقف أمام المكر.
- كل ما ليس شعراً فهو نثر.
- قواعد اللغة تتحكم في الملك كذلك.
- رذيلة تخدم الناس وتوفق بينهم خير من فضيلة مزعجة.

◈ **نيوتن :**

ولـــد إســـحاق نيوتن في عام 1642، وتوفي أبوه قبل ميلاده. وكان عمره ثـــلاث ســـنوات عندما تزوجت أمه وانتقلت إلى منزل زوجها، فسهرت جدته لأمه عـــلى تربيـــته. ولـــم يبد في البداية اهتماماً بدروسه، إذ كان فكره مشغولاً بأشياء ميكانيكيـــة لا توفرها تلك الدروس. غير أنه اختصم ذات يوم مع تلميذ كان أحسن منه في الدراسة، فقرر أن يهتم بدروسه، وأحرز المكان الأول. وعندما بلغ الرابعة عشـــرة من عمره توفي زوج أمه، فعادت إلى منزل الأسرة، وأخرجت نيوتن من المدرســـة ليســـاعدها في الأشـــغال الـــزراعية. غيـــر أن فكـــر الفتى كان مهتماً بالرياضيات والميكانيك، فأرسله عمه إلى الجامعة؛ وبعد أربع سنوات أتم دراسته.

وبيـــنما كـــان نيوتـــن، ذات يوم جالساً في الحديقة، شاهد تفاحة تسقط على الأرض، فتســـاءل: إذا كانت التفاحة تسقط على الأرض فلماذا لا يسقط القمر على الأرض؟ وأثبت بعد ذلك أن الأرض تجذب القمر نحوها، تماماً كما تجذب التفاحة. وقـــام بقيـــاس قوة جاذبية الأرض التي تؤثر على القمر، وقارنها بالقوة التي تعمل عـــلى بقائـــه فـــي مداره، فوجدهما متكافئتين. وأوضـح أنه كلما زادت كتلة الجرم الســـماوي زادت قـــوة جاذبيـــته على الأجرام التي تمر بقربه، كما أكد أن قوانين الجاذبية تنطبق على جميع الأجرام السماوية.

وبناء على نظرية أن كل جرام ، بل وكل جزء في الكون، يحاول أن يجذب إليه الأجزاء والأجرام الأخرى، أصبح من الممكن أن يتنبأ العلماء بمسيرة الأجرام السماوية بناء على قوة الجاذبية الموجودة في الشمس والكواكب المحيطة بها. فبناء على القانون الذي وضعه نيوتن يمكن التنبؤ مثلاً بالاتجاه الذي يتبعه مذنب ما.

تولى نيوتن التعليم في جامعة كمبردج ، ثم عين مسؤولاً عن ضـرب العملة. فـــي عام 1705 حصل على لقب الفروسية. وهو يعد من كبار العلماء في العالم، ولـــه مساهمات كبيرة في قوانين علم البصريات، وفي الرياضيات، ووضـع قوانين فـــي الحركة الميكانيكية. وحل المشكلة المتعلقة بالسؤال : لماذا تدور الكواكب في مدارات اهليليجية (بيضية) وليست دائرية ؟

توفــي نيوتــن عام 1720، وقد قال قبيل وفاته: يبدو لي أنني خلال حياتي كــلها، كنت كالطفل ألعب على ساحل البحر، أسلي نفسي عندما أجد على الشاطئ، مــن حين لآخر حصاة ملساء أو محارة جميلة، بينما بقي بحر الحقيقة الفسيح بعيداً عن متناولي .

◈ سويفت :

كـان هـذا الكاتب شديد الإحساس بما يعانيه الإنسان على يد أخيه الإنسان. وكان يتألم لما يشاهد من معاناة الطبقة الفقيرة، وعدم مبالاة الحكام والأثرياء بشقاء الأبـرياء وبؤسـهم. وكـان يـزعجه بصفة خاصة ما يعانيه الأيرلنديون على يد الإنكـليز. ولذلك كان قلمه لاذعاً وانتقاده عنيفاً لا يرحم وسخريته مريرة في بعض الأحيـان. وقد ثار على مساوئ الحكم الإنكليزي في ايرلندا وطغيانهم واستغلالهم ثـورة عارمـة. وكان ساخطاً على الجنس البشري بصفة عامة لما يشاهد من ظلم الإنسـان وأنانيته ووحشيته تجاه بني جنسه. ومن أقواله: "إنني أكره الحيوان الذي يسمى الإنسان، ولكنني أحب زيداً وسعداً وسعيداً".

ولـد سـويفت عـام 1667 في دوبلين لأسرة فقيرة. وبعد أن نال قدراً من التعـليم عمـل كاتباً لوليام تامل خلال فترة 11 سنة. وأثناء عمله هذا حصل على شـهادة ماجستير من اكسفورد، بمساعدة تامل المذكور. وأحب امرأة سماها استيلا فـي مراسلته، يقال إنه تزوجها، ولكن الأمر غير مؤكد. وكان له علاقة مع امرأة أخـرى، تـروي المراجع أنها انتحرت عندما فارقها. وبعد وفاة وليام تامل شغل منصـب قس في كنيسة صغيرة قرب دوبلين. ثم عمل كاتباً لدى اللورد بيكرلي في أيرلندا.

وحـدث أن تـولى الحـزب الـذي ينتمي إليه سويفت الحكم (وهو حزب "الـتوري" الـذي يـدعى اليوم حزب المحافظين)، فأصبح الكاتب من أقوى الناس نفوذا. ولكن الملكة آن عينته مسؤولاً على كاتدرائية القديس باتريك في دوبلين عام 1713، فـبقي في هذا المنصب إلى عام 1736 عندما أصيب بخلل عقلي. وتوفي سويفت عام 1745.

كتب سويفت عدة مؤلفات أشهرها "رحلات جاليفار"، وهو كتاب ينعش خيال الصـغار ويسليهم، ويحفز الكبار على التفكير في حقيقة الإنسان، هذا الإنسان الذي مـازال مـنذ أن وجد على الأرض يتخذ من العدوانية والظلم والوحشية والأنانية ناموسـاً لحياته. ويهاجم سويفت في هذا الكتب الحزازات الحزبية في بلاده، وينتقد

الخلافـــات الـــتي كثيراً ما أدت إلى حروب بين ابريطانيا وفرنسا. ولذلك فهو ينتقد بمـــرارة أعمـــال الإنســـان الهدامة ويسخر من سلوكه بطريقة تثير اهتمام الكبار والصغار.

وكتب سويفت نصائح عنوانها "عندما تتقدم بي السن"، فيما يلي بعضها:

- لا أتزوج امرأة صغيرة السن.
- لا أجالس الشباب إلا إذا رغبوا في ذلك.
- لا أنتقد الأساليب الجارية والأزياء الحديثة.
- لا أكرر الحكاية نفسها للأشخاص الذين سمعوها.
- لا أهمل مظهري ولا سلوك اللياقة والاحتشام.
- لا أكون شديداً على الصغار والشباب.
- لا أسدى النصائح إلا لمن يرغب فيها.
- لا أثرثر ولا أتحدث عن نفسي.
- لا أفتخر بما كان لي من قوة ووسامة وحظ مع النساء.
- لا أعير أذناً صاغية لمن يثني عليّ.
- لا أعاند ولا ألحّ بأنني دائماً على صواب.
- أتجنب التذمر والنكد وكل ما يجعل الحياة كئيبة.

◈ **مونتيسكيو :**

ولـد عام 1689 في مدينة La Bréde بالقرب من بوردو. وضع وهو طفل تحت رعاية أسرة فقيرة لكي يتعلم مبادئ الأخوة بين جميع الناس. ثم أرسل إلى مدرسة لدراسة الأدب والتاريخ والعلوم، وبعد ذلك بدأ يعد نفسه ليعمل في مجال القانون. وبعد وفاة أبيه تولى عمه رعايته . وبعد وفات عمه ورث ممتلكاته وسمعته ووظيفة رئيس برلمان مدينة بورو. وفي عام 1727 أصبح عضواً في الأكاديمية الفرنسية. وقام برحلة إلى مدن أوروبية زار خلالها فيينا، إيطليا، وانكلترا، فأعجب بالنظام السياسي التحرري في انكلترا. وجمع أثناء جولته معلومات عن المؤسسات الاجتماعية والقانونية إذ بدأ يخطط لكتابه الشهير "روح القوانين".

كتب مونتيسكيو بحوثاً عن موضوعات متنوعة مثل تاريخ الرومان؛ وحركة البحار؛ والصدى؛ وأسباب التسمم؛ وشفافية الأجسام ووزنها؛ والبقايا الاحفورية، وغير ذلك. ونال شهرة كبيرة عندما نشر كتابه "الرسائل الفارسية" وهي مراسلة خيالية بين رجلين من بلاد فارس يزوران أوروبا، ينتقد المؤلف على لسانهما حماقات المجتمع الفرنسي ومساوئ مؤسساته.

وفي سنة 1748 أصدر كتابه الشهير "روح القوانين" الذي ظل يعمل نحو عشرين عاماً على تأليفه. ولم يلق هذا الكتاب قبولاً حسناً من أصدقاء النظام الحاكم في فرنسا، ولكن كان حظه أوفر في البلدان الأوروبية الأخرى، وخاصة في إنكلترا. وفي هذا الكتاب يحلل مونتيسكيو أنواع النظم الحكومية، آخذا في الاعتبار تأثير الظروف الجغرافية والتاريخية والعادات والتقاليد على القوانين الموجودة في البلدان المختلفة، وينتقد النظام الملكي في فرنسا، ويدعو إلى نظام ملكي متحرر.

وأود أن أشير بإيجاز إلى الانتقادات الجائرة التي وجهها مونتيسكيو في هذا الكتاب إلى الإسلام، فهو يقول مثلاً بما أن الديانة المسيحية توصي بأن يحب الناس

بعضـــهم البعض الآخر، بدون شك صالحة لأن تجعل أيّ أمة تنعم بأفضل القوانين المدنية والسياسية.

ويقـــول "إن الحكم المعتدل المرن يلائم الدين المسيحي أما النظام الاستبدادي فيلائـــم الدين الإسلامي، لأن ما تضمنه الإنجيل من اعتدال ورحمة وتسامح ينافي الاســـتبداد الأعـــمى الـــذي يعامل به الأمير رعاياه". ويضيف قائلاً: "بما أن الدين المســـيحي يحـــرم تعدد الزوجات فإن ذلك يمكن الحاكم من الاتصال برعاياه مما يشجعهم على تقبل القوانين".

ويـــرى مونتيسكيو في كتابه "روح القوانين" أن الحكام في الإسلام يفكرون دوماً في قتل منافسيهم على الحكم، وهم بدورهم معرضون للقتل. بينما "تجد الحكام فـــي المسيحية أقل عنفاً وأكثر ثقة برعاياهم. فما أسعد الدين الذي يلح على العمل لنيل سعادة الآخرة، ولا ينسى إسعاد الناس في الدنيا". ويقول بينما ينبغي ألا ننسى مـــا تسبب فيه القواد اليونانيون والرومان وملوكهم من دمار، وما أحدثه غزاة مثل جـــنكيز خـــان وتيمورلـــنك من قتل وخراب، فإننا مدينون للمسيحية بقوانين دولية تتعـــلق بالحـــروب.وبفضـــل ذلـــك فإننا عندما ننتصر يوفر انتصارنا مزايا كبيرة للمغلوبين على أمرهم، بأن نترك لهم حريتهم وثرواتهم، وقوانينهم، وبصفة خاصة دياناتهم، وذلك عندما يكون المنتصر واعياً لمصالحه.

ويقول هذا الكاتب ما معناه: وبالنتيجة فإنه بالنظر إلى مزايا الدين المسيحي وخصـــائص الدين الإسلامي، ينبغي لنا دون مزيد من البحث، الإقبال على الأولى والابتعاد عن الثانية. وأنه لمن سوء حظ الفطرة الإنسانية أن يفرض المحتل ديانته عـــلى المغـــلوبين عـــلى أمرهم. والدين الإسلامي الذي لا يتحدث إلا بحد السيف، مـــازال يعـــامل الناس بتلك الروح الهدامة التى كانت دعامة تأسيسه. فهل أصدر مونتيســـيكو هذا الحكم الجائر على الإسلام عن جهل؟ أم تعصباً لمسيحيته. وأثناء زيارة لباريس نهاية عام 1754 أصيب مونتيسكيو بالحمى، وتوفي في شهر فيفري من عام 1755.

◈ بن يامين فرانكلين :

رجل أعمال، مخترع ، كاتب، سفير وسياسي، ولكنه كان يفضل أن يعرف بصاحب دار الطباعة. ولد بن يامين عام 1706 في مدينة بوسطن (الولايات المتحدة). وكان الابن العاشر من بين سبعة عشر طفلاً، وكان أبوه يتعاطى صناعة الشمع والصابون، كما كان يعمل في الطباعة. وعلى الرغم من أنه ترك التعليم النظامي في سن العاشرة ، فقد كان مولعاً بالقراءة. وكان بن يامين رجلاً عملياً، مجداً في عمله عصامياً، لا يضيع الوقت فيما لا يفيد.

بدأ يتعلم مهنة الطباعة مع أخيه، ثم انتقل إلى مدينة فيلادلفيا حيث عمل بجد ونشاط في الطباعة، ثم أسس دارا للطباعة والنشر حققت له نجاحاً كبيراً. وأنشأ أول مكتبة عامة لإعارة الكتب مقابل دفع اشتراكات زهيدة؛ كما أسس أول جمعية تطوعية لإطفاء الحرائق؛ والجمعية الأمريكية للفلسفة؛ وأكاديمية فيلادلفيا؛ وشركة تأمين وغير ذلك. وأجرى تجارب علمية عديدة، فاخترع العدسة الثنائية للرؤية القريبة والبعيدة؛ وأثبت أن البرق شحنة كهربائية بإرساله جهازا خاصاً بين العواصف الرعدية؛ واخترع الجهاز المانع من الصواعق ؛ وغير ذلك.

تقلد فرانكلين مناصب هامة منها أنه كان ممثلاً للمستعمرات الأمريكية في الاتصالات مع ابريطانيا؛ وعندما قامت الثورة الأمريكية أرسل إلى فرنسا لطلب المساعدة العسكرية؛ ولما نجحت الثورة واستقلت الولايات المتحدة، لعب دوراً في صياغة وثيقة الاستقلال عن ابريطانيا، وكان من الموقعين عليها، كما ساهم في إعداد دستور الولايات المتحدة. توفي فرانكلين وعمره 84 سنة.

ومن أقواله :

- يظل المفتاح مصقولاً ما استخدم.
- الأكياس الفارغة لا تقف مستقيمة.
- الوقت هو الحياة، فلا تبذر حياتك.

- لا توجد حرب نافعة ولا سلام مضر.
- أتمنى لو أنه لم يتم اختيار العُقاب الأصلع ليكون رمزاً لبلادنا، لأنه طائر سيئ السلوك. أما الديك الرومي فهو طائر محترم، وهو من السكان الأصليين في بلادنا.

◈ فولتير :

اسمه الأصلي هو Francois Marie Arouct ولد في باريس عام 1694. أبوه موثق، ولا يعرف شيء عن أمه التي توفيت وعمره سبع سنوات. بعد أن أنهى دراسته، توظف فترة في السفارة الفرنسية في لاهاي. بدأت متاعبه مع السلطات عام 1717، عندما كتب مقالاً سخر فيه من وصي العرش (دوك أورليان) فسجن لمدة أحد عشر شهراً في سجن الباستيل. وفي العام التالي كتب مسرحية "أوديب"، واختار لنفسه اسم "فولتير".

وفي عام 1726 تشاجر مع أحد النبلاء الذي سخر من اسمه فدعاه فولتير إلى المبارزة. ولكن في الموعد المحدد لهذه المبارزة سيق إلى السجن، ثم اضطر إلى الرحيل إلى إنكلترا. وتعلم اللغة الإنكليزية، وعاشر النوادي الأدبية والشخصيات الهامة، وأعجب بما وجد من حرّية التعبير، وأنعش خياله ما لاحظ من جدة وتغيير في المجتمع الإنكليزي.

عاد فولتير إلى فرنسا عام 1729، وكتب تراجيدية Brutus، وزائير، وتاريخ شارل الثاني عشر وغيرها. ونشر كتاباً هاماً عنوانه "الرسائل الفلسفية" عام 1734، ناقش فيه موضوعات أدبية واجتماعية وسياسية ودينية في إنكلترا، مع المقارنة بالأوضاع في فرنسا.

وكان فولتير عندما يمدح في هذا الكتاب، ما يتمتع به المجتمع الإنكليزي من حرية أو الملكية البرلمانية، يهاجم تعصب رجال الكنيسة واستبداد الحكام في فرنسا. وعندما يشيد بالفلاسفة الإنكليز، ينتقد الاتجاهات الفلسفية السائدة في فرنسا.

كان فولتير مستعداً لانتهاز الفرصة فيجرد قلمه في سبيل الحرية الأدبية والسياسية والدينية. ولذلك واجه بشجاعة النفي والسجن عدة مرات. وهذا ما حدث عندما نشر الكتاب المذكور "الرسائل الفلسفية"، إذ أصدرت السلطات الفرنسية الأمر بالقبض عليه، ففر إلى منطقة اللورين (Lorraine) حيث عاش مع السيدة La marquise du Càtelet في قصر CIREY. وأثناء هذه الفترة كتب عدة

مسرحيات، وبدأ العمل في كتابه "عصر لويس الرابع عشر"، وغيره؛ عاش مع هذه السيدة مدة عشر سنوات. كانت مولعة بالفيزياء والرياضيات فأنشأ معها مختبراً للعلوم الطبيعية.

وفي 1744 استدعى إلى فرساي حيث حظي بالترحيب والتكريم، وانتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية، كما أصبح مؤرخ الملك لويس الخامس عشر. ولم تخل إقامته في فرساي من المقلقات، إذ إن الفئات المتعصّبة في القصر لم ترتح لوجود هذا الكاتب الثائر. بل حتى الملك نفسه سرعان ما بدأ يبدي امتعاضه من وجوده. ثم جاءت وفاة السيدة du Chàtelet عام 1749، فحزن لذلك حزناً عميقاً.

كان فولتير قد تصادق، في فترة سابقة، مع ولي عهد بروسيا أثناء إقامته في فرنسا ، وعندما تولى العرش ألح على فولتير ليرحل لزيارته ، فلبى الدعوة في جوان 1750، وأقام لديه في برلين وبوتسدام. غير أن فولتير لم ينسجم مع الظروف الجديدة طويلاً، ودخل في نزاعات شخصية، وانتقد رئيس أكاديمية برلين، فأغضب ذلك الملك الذي عزم على معاقبته.

ترى إلى أين المفر هذه المرة؟ كان الملك لويس الخامس عشر منعه من الدخول إلى باريس، فقرر في النهاية أن يقيم في جنيف حيث اشترى منزلاً، واتجه إلى البحث والإنتاج فأتمَّ كتابه "عصر لويس الرابع عشر"، وكان يبدأ تأليف كتاب ويتركه ثم يعود إليه بعد حين. ورغم ما لقي في البداية من ترحيب في جنيف، إذ أصبح كثير من الناس يرى فيه رائد التحرر وعدوّ الاستبداد والتعصب، لم يدم استقراره طويلاً. فقد كانت موسوعة DIDEROT تتضمن مقالاً لفولتير أثار فيه غضب رجال الدين وكثيراً من المثقفين في سويسرا. وكتب جان جاك روسو مقالاً شذب فيه فكرة إنشاء المسارح التي دعا إليها فولتير عندما انتقد أهل سويسرا لكونهم لا يهتمون بالأعمال المسرحية.

في نهاية 1758، اشترى فولتير مزرعة FERNEY، في فرنسا بالقرب من حدود سويسرا. وقام بأعمال عديدة بالإضافة إلى التأليف، فبنى كنيسة، وأنشأ المصانع. وكان يستضيف في مزرعته الكبيرة عددا كبيراً من الزائرين حتى أصبح

منزلــه يعرف بفندق أوروبا. وقد ألف فولتير كتبا كثيرة لا مجال لحصرها هنا. منها قصتاه المشهورتان "كنديد" و"زاديك" و"القاموس الفلسفي"، و"فلسفة التاريخ"، وغيرها. وقد دافع عن المظلومين وضحايا الاضطهاد الديني والسياسي، ونادى باحترام حقوق الإنسان، وثار ضد الاستبداد، وكان لأفكاره تأثير كبيرٌ على زعماء الثورة الفرنسية.

عاد فولتير إلى باريس عندما بلغ 84 سنة، وتوفي يوم 30 ماي عام 1778 ونقلت رفاته بعد اندلاع الثورة الفرنسية إلى البانتيون.

ومن الغريب أن نجد بين مؤلفات هذا الكاتب العظيم بما له من أفكار تحررية، مسرحية تدعى "MAHOMET" هاجم فيها الرسول (ﷺ) ، وادعى بأنه رجل مخادع دجال.

ومن أقواله :

- لأن نرتكب خطئاً من أجل أن ننقذ مذنباً خير من أن نغامر للحكم على رجل بريء.
- أسعد مخلوق من يرتفع فوق مستوى ممتلكاته.
- هناك حقائق لا تصلح لكل زمان ومكان.
- العمل ينقذنا من ثلاثة شرور: الملل، والفساد، والحاجة.
- قد لا أوافق على ما تقول، ولكنني أدافع حتى الموت عن حقك في أن تقول ما تريد.

◈جان جاك روسو :

ولد عام 1712 في جنيف لأسرة بروتستانتية، وماتت أمه بفترة قصيرة بعد ولادتــه. كــانت مهنة أبيه صنع الساعات، وقد شجعه كثيراً على القراءة في سن مــبكرة، وقــرأ معه عدداً من الكتب. ولكن أباه اضطر لمغادرة جنيف فرباه خاله. وبعد إتمام تعليمه الابتدائي حاول أن يتعلم مهنة النقش، غير أنه لم يثبت على ذلك.

وفي عام 1728، فر من جنيف بمساعدة جماعة كاثوليكية في منطقة سافوا (SAVOIE) والــتقى بالســيدة وارنــز، في مدينة (ANNECY)، وقد أقنعته هذه الســيدة باعتــناق المذهب الكاثوليكي، واهتمت بتعليمه، وأرسلته إلى مدينة تورينو ليتــلقى دروساً دينية، غير أنه لم يشارك فيها إلا أياماً قلائل، ثم عاد إلى منزل هذه الســيدة ليواصل تعليمه الدينى. وحاول أن يتعلم مهنة، كما اهتم بدراسة الموسيقى. وأقــام معها حتى عام 1740 انكب أثناء هذه الفترة على دراسة التاريخ والفلسفة، والشعر، وغير ذلك. ووفرت له الرعاية والحماية، وأصبحت عشيقته، وإن ظل هو ينظر إليها كأم.

بعد أن غادر السيدة وارنز، راح يعلم الموسيقى ليكسب عيشه، وعمل كمعلم خصوصــي لــدى أسرة ثرية في مدينة ليون، بضعة أشهر، ثم ذهب إلى باريس، وبعــد مدة قصيرة غادرها إلى البندقية حيث حصل على وظيفة كاتب في السفارة الفرنسية. ولم يمكث إلا أشهراً في هذه الوظيفة.

وعــاد إلى باريس عام 1744، حيث كان عمله في الموسيقى مصدر عيشه واتصــل بالــنوادي الأدبيــة ، وساهم في موسوعة كان يعدها جماعة من الأدباء بمعرفــته في ميدان الموسيقى. وتعرف على امرأة أمية تعمل في الفندق الذي كان يقيــم فيــه وأنجــبت له خمسة أطفال أرسلهم إلى دار اللقطاء. وأخيراً تزوج هذه المــرأة، واسمها Thérése Levasseur فى عام 1768. وتبسم له الحظ فتمكن من أن يحصل على وظيفة كاتب لدى أسرة Duppin، وثبت فى هذا العمل من 1745 حتى 1752.

وبـدأ عمله الأدبي عندما طرحت أكاديمية DIJON جائزة لأحسن مقال عن موضوع "هل تقدم العلوم والفنون يؤدي إلى إصلاح الأخلاق أو إفسادها"؟ وحصل روسـو على الجائزة الأولى نال بها شهرة. واختار أن يعيش بين أحضان الطبيعة فعـاش خـلال الفترة 1756-1762 في منزلين بالقرب من باريس،وكرس وقته للكتابة فأنتج كتابيه المشهورين "إميل، أو التعليم"، و"العقد الاجتماعي"، نشر كليهما عـام 1752. ويركـز كتابه الأول على موضوع تعليم الأطفال، وأنه يجب أن يتم عـلى الأسس التي تمليها الطبيعة، وينبغي حفظهم من مضار الحضارة، كما نصح بأن يكون التعليم بأسلوب التعاون الحر بين المعلم والتلميذ.

أمـا "العقـد الاجتماعي" فلخص فيه آراءه السياسية التي تدور حول حرية الناس وتساويهم في الحقوق، وسيادة الشعب، وأن أسس المجتمع السليم ترتكز على عقـد اجـتماعي يـرعى المصالح المشتركة، ويحمي حقوق جميع السكان. وكتب روسـو كتبا ومقالات أخرى هاجم فيها أسس المجتمع ، وقال إن الملكية هي سبب الظلم وعدم المساواة. وانتقد البرلمان، والكنيسة وأصحاب السلطة. وقد تأثر زعماء الثورة الفرنسية بآرائه.

وأثارت آراؤه حول السياسة والديانات زوبعة كبيرة، فصادر برلمان باريس كتابيه "إميل" و"العقد الاجتماعي"، وثار السكان ضده، وطالب مسؤولون في جنيف بحـرق هذيـن الكتابين. واضطر روسو للفرار إلى سويسرا عام 1762، وعاش هـناك عيشـة غيـر راضية حتى عام 1765. وفي نهاية عام 1764 أرسل إليه منشورا يهاجمه هجوماً عنيفاً، وقد أزعجه كثيراً أن يكتشف أن كاتب هذا المنشور هو فولتير. وتحت تأثير هذه الصدمة بدأ يؤلف كتابه "الاعترافات".

ولـم يجـد الـراحة والاطمئنان في سويسرا، فرحل إلى إنكلترا في سبتمبر 1765، وعاش هناك في ضيافة الفيلسوف الإنكليزي David Hume، غير أن هذه الصـداقة لـم تـدم طويـلاً. ورجع روسو إلى فرنسا في العام التالي، فاتخذ اسماً مستعاراً وظل يتنقل من مدينة لأخرى، وتزوج السيدة Thérése كما سبق، وواصل

عمله في كتابه الضخم "الاعترافات"، وهو تسجيل لسيرته وقصة حياته. وعاش في الفقر والعزلة إلى أن مات في جويلية من عام 1778 ومن أقواله :

- ما لم يكن المرء مجنوناً، يمكن علاجه من أي داء، ما عدا الغرور.
- أسعد الناس أقلهم معاناة، وأشقاهم أقلهم قدرة على التمتع بالحياة.
- هناك كتاب يوفر ، في رأي ، أفضل وسيلة للتعليم الطبيعي. هل هو أرسطو؟ هل هو بلايني أم بوفون؟ كلا! إنه روبنسون كروسو.
- يولد المرء حراً ولكنه يعيش طول حياته في الأغلال.
- ما أصعب أن يكون المرء نبيلاً إذا كان كل همه أن يحصل على قوت يومه.
- شيء واحد يبرر احتلال بلد لبلد آخر هو منطق القوة.

◈ **ليسينغ :**

ولد ليسينغ إفرام عام 1720 في ساكسونيا، درس اللاهوت في مدينة لا يبزغ. غير أن اهتمامه كان منصباً على الأدب والفلسفة. وفي هذه المدينة انضم لفرقة مسرحية ساعدته على إصدار إحدى مسرحياته. ولم يرض والداه على نمط حياته في لا يبزغ فأقنعهما بأنه سيقى هناك لدراسة الطب. وبعد فترة اضطر لمغادرة المدينة لتراكم الديون عليه.

رحل إلى برلين حيث اشتغل في الصحافة، وأصدر نشرة دورية تحت عنوان "مكتبة المسرح"، كما صدرت بعض أعماله التي كتبها في لا يبزغ. بعد ذلك اهتم بالفن والنقد المسرحي في المسرح الوطني في هامبورغ، ودعا الكتاب إلى اقتفاء نماذج المسرحية الشكسبيرية، بدلاً من المسرحية الكلاسيكية. وفي عام 1770 قبل وظيفة في المكتبة لكسب قوته اليومي. تزوج ليسينغ عام 1776 بسيدة مطلقة أنجبت له طفلاً، غير أنها توفيت بعد سنتين، وقضى سنواته الأخيرة يعاني من الفقر والعزلة، وتوفي عام 1781.

ألف ليسينغ كتباً عديدة من بينها كتابه عن "قصة "فاوست" الشهيرة التي يعقد فيها هذا الرجل صفقة مع الشيطان لينال المعرفة ويحقق رغباته. غير أن هذا الكاتب حاول أن يبرر أعمال فاوست الشيطانية لكونه يسعى وراء المعرفة، مؤكداً أن الإله سيغفر له خطاياه. ومن مؤلفاته كتابه المعنون "نتان الحكيم". ومضمون هذه المسرحية هو أن المهم ليس أن ينتسب المرء إلى دين ما، بل الأهم هو السلوك الواقعي والعمل اليومي الذي يقوم به الإنسان، وهذا ما يرفع شأنه أو يخفضه أمام الإله.

◈ كازانوفا :

ولـــد كازانوفا عام 1725 في مدينة البندقية. تولى وظائف عديدة ومتنوعة. واشتهر بمغامراته وغرامياته الجريئة. ويذكر أنه كان محتالاً عالمياً، وأصبح يرمز للخلاعة والمغامرة. شغل وظائف كاتب، جندي، دبلوماسي، كاهن، جاسوس.. الخ فقد عمل في خدمة كاردنيال في روما؛ وعازفاً على الكمان في فنيسيا؛ وانخرط في الماسونية في ليون؛ واتهم بالسحر والشعوذة وسجن بسبب ذلك. عاش في باريس، براغ، دريسدن، وفيينا.

فـــي باريس أنشأ لعبة اليانصيب، ونجح في تكوين ثروة. وسافر إلى هولندا حيـــث مـــنح لقـــب "الفروســـية"؛ وزار سويسرا حيث التقى بفولتير، ثم تنقل بين فـــلورانس، رومـــا، لندن، برلين، وارسو، وأسبانيا. وعاد إلى البندقية حيث عمل كجاســـوس على مفتشي الدولة. ترجم الإلياذة، وكتب تاريخ حياته؛ وقضى الأعوام الأخيرة من حياته في بوهيميا.

جيسيبي باريني :

ولد باريني عام 1729، عندما بلغ سبع سنوات أرسله أبوه إلى مدينة ميلانو عند عمه لمواصلة دراسته. وقضى بقية حياته في هذه المدينة. وعندما أتم دراسته قـبل وظيفة قسّ، وكان هذا شرطاً لحصوله على ميراث تركته له العمة. وفي هذه الفـترة عيـن مربياً لأولاد أحد الدوقات، وقد ساعده هذا العمل على التعرف على مجـتمع النـبلاء ودخائل حياتهم، وبذلك تمكن من انتقادهم في كتابه IL Giorno "النهار".

وعـندما نشـر جزئين من هذا الكتاب "الصباح" و"الظهر"، أصبح مشهوراً، وعيـن مديرا لجريدة تصدر في ميلانو، ثم مشرفاً على المدارس العامة. وبعد أن رحـب بالثورة الفرنسية، انتقد ما صاحبها من رعب وما أراقته من دماء. وأشهر مؤلفاتـه هـو كـتابه "النهار"، وفيه يعرض الشاعر صوراً حيّة عن حياة النبلاء والأرسـتقراطية فـي عصره، ويتحدث بالتفصيل عن عاداتهم وسلوكهم بسخرية، فيذكـر "حديـث الثروة" الذي ينخدع بما ينهال عليه من مدح كاذب، والغني الذي اشـترى لقـب "نـبيل"؛ والآخـر الـذي يـبذر ماله في هوايته للخيل والعربات المزخرفة... الخ[1].

(1) نبذة عن هذه الحكاية في قسم: "حكايات ، قصص...".

◈ **جوتى :**

أهميـــة الشاعر جوتى في ألمانيا ومركزه الأدبي لا تقل عن أهمية شكسبير فـــي إنكلـــترا أو دانتي في إيطاليا. فقد كان عبقرياً متنوع الإنتاج غزيره. كتب في الشـــعر الغنائي والملحمي، وأنتج الروايات والمسرحيات والبحوث العلمية، وكتب فـــي الصحافة والسياسة والفلسفة ، واهتم بالرسم والموسيقى، فهو من أعلام الأدب العالمي.

ولـــد جوتي عام 1749 في مدينة فرانكفورت. وبعد التعليم الأولى، انتسب إلى جامعـــة لايبزغ لدراسة القانون، ثم أنهى دراسته في مدينة ستراسبورغ. ولكنه ظـــل هذه الفترة كلها يهتم بدراسة الأدب. وعندما عاد إلى فرانكفورت عام 1771 بـــدأت عبقرية هذا الشاعر العظيم تتفتح وتتبلور، فترك ممارسة القانون وتوجه إلى الإنتاج الأدبي. وفي 1775 استدعاه الدوق كارل أوغست ليعيش في دويلته وينضم إلى بلاطـــه (Weimar) ، فقبل ذلك وأسندت له وظائف هامة شغلته عن التأليف. وعاش في بلاط الدوق إلى آخر حياته.

وفـــي عـــام 1786 زار إيطاليا تحت اسم مستعار، ومكث فيها 22 شهراً، فـــأحدثت هـــذه الزيارة تغييراً إيجابياً في حياته، وعادت إليه نشوة التأليف. والتقى بالشـــاعر الألمـــاني شـــيلر الذي دعاه للمساهمة في جريدة كان بصدد إصدارها. وشـــجع جوتى شلير على كتابة عدد من المسرحيات التي أنتجها عندما كان مديراً لأحـــد المســـارح. كما شجع شيلر جوتى على إتمام القسم الأول من كتابه الشهير "فاوست"، ودامت صداقتهما إلى وفاة شيلر.

وفـــي عام 1792 رافق جوتى الدوق في حملته الحربية الفاشلة في فرنسا، وحضر معركة فالمى (Valmy)، وسجل حوادثها في كتابه "حملة فرنسا". ويحكي أنه عندما التقى بنابوليون في ERFURT قال نابليون "هذا رجل عظيم.

وزع جــوتي جهــوده بيــن الأعمـــال الأدبية والبحوث العلمية والوظائف الحكوميـــة. فقد قام بمحاولات علمية عديدة في مملكة النبات والحيوان، ووفّق في بعــض الاكتشـــافات. أمـــا عن إنتاجه الأدبي فيكفى القول أنه أصبح عميد الأدب الألماني عام 1817. ومن مؤلفاته الكثيرة "ألام فيرتر" وهي رواية في شكل رسائل يــتحدث فيها فيرتر لصديق له عن حبه الضائع. وكتابه Dichtung und Warheit (الشعر والحقيقة) وهو سيرة ذاتية للشاعر. وكتاب (TASSOT) تاسو، وفيه يعالج جــوتي الصـــراع بيــن الـــنزوع نحــو تحقيق رغبات الشاعر وطموحاته الفنية، والاستســـلام لظـــروف الحياة الواقعية وأعبائها، وهل من الممكن أن يحول الفنان المعانـــاة والآلام إلى إنـــتاج مـــبدع. وكان جوتي يصف في هذا الكتاب جزءاً من حياته.

ومــن مؤلفاته التي نالت شهرة عالمية مسرحيته الأسطورية "فاوست". وقد كتــبها في فترات متقطعة فظهر جزء صغير منها عام 1790؛ ونشر القسم الأول عام 1808؛ وأنهى جوتي المسرحية عام 1832، وهي السنة التي توفي فيها.

وقصة فاوست مستمدة من حياة رجل عاش بالفعل في القرن السادس عشر، فـــي ألمانيـــا، اســـمه FAUST (FAUSTUS). كان رجلاً مغامراً دجالاً محتالاً، منغمساً في الملذات، تعاطى فنون السحر وحاول كشف أسرار الطبيعة. وبعد وفاته عام 1540، شاعت الأقوال عن حياته وأنه باع روحه للشيطان مقابل حصوله على الســـلطة والمعـــرفة، أن يحقـــق له جميع رغباته، ويمتعه بجميع أصناف الملذات. وأصـــبح فـــي النهاية شخصية شبه أسطورية، أعجب به كثير من الناس، ومدحوا شجاعته وتحديه للتقاليد الدينية والاجتماعية التي كانت قاسية في ذلك العصر. وقد تـــناول موضوع فاوست كتاب آخرون منهم مارلو عام 1604 [1]، وLessing عام 1784، وتوماس مان عام 1947.

(1) راجع ذلك في قسم "حكايات، قصص، مسرحيات".

◈ **شيلر :**

ولـــد شـــيلر عام 1759 في Marnach، أجبر في بداية الأمر على دراسة القانون، ثم أذن له بدراسة الطب. وكان أبوه طبيباً في الجيش ثم عينه الدوق كارل أوقيـــن مشرفاً على الغابات في ممتلكاته في فورتنبيرغ. وعمل شيلر كذلك كطبيب في جيش الدوق. غير أنه كان مشمئزاً من استبداد المدرسة والدوق معاً، ولذلك بدأ يميل إلى الكتاب الثوريين المعاصرين له.

وعندما نجحت مسرحيته Die Rauber (اللصوص) (وهي مسرحية ثورية)، شرع في كتابة مسرحية أخرى. وعندما علم الدوق بذلك منعه من الكتابة ، فهرب شـــيلر من ممتلكات الدوق المستبد. وأقام فترة في لا يبزغ ودريسدن.. وفي 1787 ذهب إلى Weimar حيث درس التاريخ، وبعد عامين عين أستاذاً للتاريخ. وتعرّف على الشاعر جوتى الذي كان له تأثير كبير على حياته الفنية. وظل شيلر مقيماً في Weimar بجـــوار صـــديقه جوتى إلى أن وافته المنية عام 1805. ألف شيلر كتباً عديدة منها Die Rauber (اللصوص) وماري ستوارت، وفتاة أورليان، ومسرحية "وليام تال" وغيرها.

◈نيكولو أغو فوسكولو :

ولـد عـام 1778 فـي جزيـرة زانـتا (اليونانية) التي كانت آنئذ تخضع لجمهوريـة البـندقية. بعد موت أبيه، وعمره عشر سنين، انتقلت أمه إلى البندقية، وعاش مع أسرته في ظروف عسيرة. وانكب الشاب فوسكولو على قراءة المؤلفات الكلاسـيكية والإيطاليـة، كمـا اهـتم بالأفكار السياسية في عصره، وقرأ فولتير، وروسـو، وغيـرهما. وعـندما دخل نابليون جمهورية البندقية إلى النمسا، شعر فوسـكولو بخيـبة الأمـل، فـرحل إلى ميلانو، وعمل في مجال الصحافة منادياً باستقلال إيطاليا.

ومـع ذلك حارب إلى جانب الجيش الفرنسي عندما هجمت روسيا والنمسا عـلى إيطاليا عام 1799. وانخرط مرة أخرى في الفيلق الإيطالي الذي انضم إلى الجيـش الـذي أعده نابليون، وتجمع على ساحل بحر المانش لغزو إنكلترا. وأثناء إقامـته في فرنسا تعرف على فتاة إنكليزية أنجبت له طفلة. وعاد إلى ميلانو حيث أقـام حـتى سنة 1812. وعندما انهزم نابليون في معركة ليبسيا، ودخل الجيش النمسـاوي إلى لومبارديا، اختار الكاتب الالتجاء إلى سويسرا، بدلاً من التعاون مع الغزاة. بعد ذلك رحل إلى إنكلترا حيث عاش حتى وافته المنية عام 1827.

وأشـهر مؤلفات فوسكولو كتابه I SEPOLCRI (القبور). ويرجع اختياره لهـذا الموضـوع إلى الأوامر التي أصدرها نابليون التي تمنع أن يدفن الموتى في الكـنائس وداخـل المناطق السكنية . ويبدأ المؤلف بالحديث عن الموت الذي يدمر جميـع أشكال الحياة ويقهر جميع المخلوقات،ولهذا ليس للقبور معنى لأنها لا تغني عـن الأمـوات شيئاً. غير أن احترام الأموات يوجب احترام القبور لأنها ضرورة إنسـانية، ولأنهـا تحافظ على الشعور الودي المتبادل بين الأحياء والأموات، وأن القبور تعطي للأحياء الأمل ببقاء الروح.

ويـتحدث الكـاتب عن أهمية القبور "لأنها مؤسسة حضارية إنسانية، وأن الشعوب المنحلة هي التي لا تحترم المشاعر والمثل الإنسانية، وتعتبر القبور عملية

ملوثة، وتطالب بدفن الموتى بعيداً عن الأحياء"، مشيراً بذلك إلى أوامر نابليون. ثم يضـيف بـأن قـبور الأبطال وكبار رجال الدين والعلم تحفز الأجيال على إنجاز أعمـال جليـلة للوطن والإنسانية. ويورد الكاتب أمثلة منها معركة "ماراتونا" بين اليونان والفرس، وقد خلد تاريخ اليونان الأبطال الذين قتلوا في هذه المعركة دفاعاً عـن حريـته. وحتى عندما يحطم الزمن القبور، تظل ذكريات الأبطال خالدة في القصائد الشعرية التي ترددها الأجيال.

◈ اليسندرو مانزوني :

ولـد عـام 1785 في مدينة ميلانو. وعاش مع أبيه بعد أن رحلت أمه إلى بـاريس وهو صغير. والتحق بها بعد أن انتهى من دراسته فعاش معها حتى عام 1810. وفـي باريس تعرف على "فوريال" أحد ممثلي الحركة الرومانتكية، وكان لحياته الثقافية خلال هذه الفترة تأثير كبير على اتجاهاته الأدبية . بعد 1810 استقر مانـزونى فـي ميلانو حيث تبلورت أنشطته الأدبية والروحية والسياسية. وكان لا يتردد في المناسبات في التعبير بكتاباته عن مشاعره الدينية والوطنية.

وعـندما انهـزم نابـليون، واحتلت النمسا بلاده (جزءاً من إيطاليا)، رفض مانـزوني أن يتعاون مع المحتل. وكان لا يترك الفرص تفوت من غير أن يكتب مقـالاً أو قصـيدة ليعـبر عن آرائه الوطنية والسياسية، ويدعو فيها إلى استقلال إيطاليـا ووحدتها. وعندما مات نابليون عام 1821، كتب قصيدة أسماها "الخامس من ماي"، تتضمن أفكاراً دينية وحوادث تاريخية تظهر مدى تأثره بموت نابليون . وبعـد أن خـرج النمساويون من لومبارديا، حصل منزوني على منحة سنوية من المـلك، اعـترافاً بأعماله الوطنية، وعين سيناتوراً. توفي عام 1873، وعمره 88 سنة. وأشهر مؤلفاته رواية عنوانها "المخطوبان".

◈ ألكسندر بوشكين :

ولد بوشكين في موسكو عام 1799، لأب ينتمي لعائلات النبلاء وأم تنحدر مـــن أصل حبشي. دخل المعهد الملكي، وهناك بدأ نشاطه الأدبي. والتحق بوزارة الخارجية في سن مبكرة، ونشر قصيدته الشهيرة "إلى الحرية" ولم يتجاوز عشرين سنة، فنفي إلى الجنوب، حيث قضى ست سنوات في منطقة القوقاز. وعندما تولى الحكـــم نيكولا الأول طلب أن يعود الشاعر إلى موسكو، غير أنه ظل تحت مراقبة الشـــرطة. ومـــع ذلك فقط نشط بوشكين ضمن الجماعات التي قامت بانتفاضة عام 1825، غير أنه أسرع بإحراق جميع ما كتب من أفكار تحررية، فلم تثبت علاقته بهذه الجماعة.

وفـــي عام 1831 تزوج فتاة جميلة مقربة من القيصر ، وأعيد له عمله في وزارة الخارجية. واكتشف أن لصهره (زوج أخت زوجته) علاقة حميمة بزوجته، فـــأدى ذلك إلى المبارزة بين الرجلين، وأصيب الشاعر أثناء المبارزة بجرح توفي من جرائه سنة 1837.

يعتـــبر بوشكين أول شاعر قومي ، وقد كتب روايات ومسرحيات وقصصاً. ومن مؤلفاته سجين القوقاز؛ رسلان ولودميلا؛ ابنة القبطان؛ ورحلة إلى أرززوم.

◈ فيكتور هوجو :

شـــاعر وكـــاتب روايات ومسرحيات، رائد الحركة الرومانتيكية، ذو إنتاج متـــنوع غزير. كتب الشعر الملحمي والغنائي والاجتماعي. شارك في النضال ضد الاســتبداد، ودافـــع عن المنكوبين والمضطهدين في بلاده، وأصبح رمزاً للحركة الجمهورية.

ولـــد هوجـــو عـــام 1802 في مدينة بيزونسون، وكان أبوه أحد جنيرالات نابـــليون. وبـــرزّ في نظم الشعر منذ شبابه، إذ نال جائزة الشعر الكبرى في مدينة تولوز ولم يتجاوز عمره سبع عشرة سنة. وفي سن العشرين تزوج صديقة طفولته أديل فوش، وفي العام نفسه حصل على منحة معاشية من الملك لويس الثامن عشر تقديـــرا لأفكـــاره المناصـــرة للمـــلكية . وبـــدأ نجمه يتألق تدريجياً كرائد للحركة الرومانـــتيكية، وشـــاعر فرنســـا الكبير، ثم أصبح مسيطراً على الحياة الأدبية في فرنسا، في القرن التاسع عشر.

وأول تغيـــر هـــام فـــي حياته الأدبية واتجاهاته السياسية حدث عام 1827، عندما صدر كتابه (دراما) كروموبل. فقد رسمت مقدمة هذا الكتاب مناهج الحركة الرومانـــتيكية، كما تغيرت اتجاهاته السياسية من مؤيد للملكية إلى مناصر للأفكار الـــتحررية. وعندما حصلت ثورة 1830، وجلس الملك لويس فيليب على العرش، نال هوجو حظوة كبيرة في بلاطه. ومن الحوادث الهامة في حياته أنه تعرف على جولييـــت دروى الـــتي أصبحت عشيقته، وظلت مخلصة له مدة تزيد عن خمسين سنة. وفي عام 1841 انتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية.

وكـــانت ثـــورة 1848 التي جاءت بلويس نابليون إلى الحكم، من الحوادث الهامـــة في حياة هوجو، وخاصة حوادث القمع الذي واجهت به السلطات انتفاضة العمـــال. وشارك الكاتب في لجنة الثورة عام 1851، وعندما شعر بالخطر فر إلى بروكســـيل مخـــتفياً في زي فلاح. ومنعه لويس نابوليون من دخول فرنسا ثماني عشرة سنة ، قضى معظمها في جزيرة GUERNESEY.

وعندما قبض الألمان على نابليون عام 1870، وسقطت الإمبراطورية، عاد هوجـو إلى فرنسـا، وانتخب للجمعية الوطنية، غير أنه استقال منها بعد قليل. ثم انتخب عضواً في مجلس الشيوخ عام 1876. وعاش بقية حياته رمزاً للديمقراطية. توفيـت زوجته عام 1868، وتوفيت عشيقته الوفية عام 1883، والتحق هوجو بها في ماي من عام 1885.

وعلى الرغم من أنه اشتهر كشاعر عظيم فقد برز كذلك في كتابة الروايات مـثل رواية البؤساء ؛ Notre-Dame de Paris و Les Travailleurs de de la mer؛ وكذلك في المسرحيات مثل كروموبل؛ وهيرمان؛ le roi s'amuse. أما عن انتاجه الشعري فلا تتسع هذه النبذة لذكر جميع ما كتب.

◈ داروين :

ولــد عــام 1809، وكان أبوه طبيباً فوجهه لدراسة الطب. غير أن الشاب داروين لــم يبذل جهداً كبيراً في هذا المجال، فأرسله أبوه لدراسة العلوم الدينية؛ ولكــن داروين وجه اهتمامه لجمع الحشرات والمحار والخنافس. وفي عام 1831 اشــترك في رحلة إلى الجنوب على متن الباخرة The Beagle واستفاد من دراسة عــن مــبادئ الجيولوجيــا فسجل ملاحظاته عن بعض التركيبات الجيولوجية في المــناطق الــتي زارهــا. ويذكر داروين أن رحلته المذكورة كانت أهم حدث في حياته.

بعد عودته استقر في لندن بضع سنوات، وبدأ تنظيم ما جمع من ملاحظات، وتصــنيف معــلوماته عــن الحيوانــات والنــباتات؛ ونشر دراسة عن الشواطئ المرجانية. وبدأت حالته الصحية تسوء، فرحل مع أسرته إلى DOWN عام 1842 وهــناك عاش منعزلاً عن العالم، منكباً على بحوثه التي كانت تركز على موضوع تطور أصناف الحيوانات وأنماط حياتها عبر الزمن.

وبعــد الــبحث والتحليل توصل إلى أن عمليات الانتقاء الطبيعي حقيقة في الحيــاة، وأن هــذا "الانــتقاء" هو مفتاح النجاح لدى الإنسان، ذلك لأن كل مخلوق يكــافح مــن أجــل الــبقاء. ولكــن بقي عليه أن يفسر كيف يتم هذا الانتقاء لدى المخلوقات الأخرى، غير الإنسان.

وبيــنما كان ذات يوم يقرأ ما كتب مالثوس عما يحدث من صراع بين بني الإنسان من أجل الاستيلاء على الأرض والحصول على الغذاء، استخلص أن هناك هــناك تغييــرات تحــدث عــلى مر الزمن لدى جميع المخلوقات؛ فإذا كانت هذه الــتغييرات تســاعد الحيوانات (أو النباتات) على البقاء والتطوير والازدهار، فإنها تــبقى وتســتمر وتتأصل، وتؤدي في الأجل الطويل إلى خلق حيوان جديد. أما إذا كــانت هــذه الــتغييرات تعــرقل الحيوان في كفاحه من أجل البقاء فإنها تضمحل وتنقرض.

وفـــي عـــام 1859 صـــدر كـــتابه "نشوء الأنواع" فأثار ضجة كبيرة ولقى معارضـــة شديدة. ولكن كان هناك من العلماء والكتاب من ساند داروين ودافع عن أفكـــاره. ونظرا لتدهور حالته الصحية، حرصت زوجته على توفير جميع وسائل الراحة له، وحفظه مما يتعبه ويزعجه. وقضى داروين نحو أربعين عاماً في حياة بســيطة مــنظمة، يقضي يومه بين أداء تمارين رياضية خفيفة، والمطالعة المسلية قليلة كذلك، وخصص أربع ساعات للبحث والتجارب والكتابة في مجال تخصصه.
وتوفي عام 1882، ودفن في لندن إلى جوار قبر العالم الشهير إسحاق نيوتن.

ومن أقواله :

- أحب تجارب المجانين لأنني أقوم بها دائماً.
- مبدأ الانتقاء الطبيعي في نظري هو أن تحدث في الكائن الحي تغييرات مفيدة ومستمرّة.
- ... ثــم انقســمت أنــواع القردة إلى فرعين كبيرين: قردة العالم القديم وقــردة العــالم الحديث. ومن الفصيلة الأولى تطور الإنسان، أعجوبة العالم ومجده، منذ عصور بعيدة.
- يمكــن تــبرير إجــراء الــتجارب عــلى الحيوانــات إذا كانت تهدف لاستكشافات عليمة، وليس لمجرد إشباع فضول الإنسان.
- أعتقد أن الإنسان سيتطور ليصل إلى درجة من الكمال أعلى بكثير مما هــو عليه الآن، ولكن من المؤسف جداً أنه محكوم عليه بالفناء بعد أن يحقق كل هذا التقدم، ببطء شديد، على الكرة الأرضية.

كارل ماركس :

ولـــد ماركس عام 1818 في مقاطعة رايلاند؛ وكان أبوه محامياً ناجحاً، من أســرة يهودية، غير أنه اعتنق المذهب البروتستانتي. وكانت أمه امرأة بسيطة من أصـــل مجري، لم تتعلم أبداً أن تتكلم اللغة الألمانية. وعندما بلغ سن السابعة عشرة أرســله أبوه ليدرس القانون في جامعة بون. غير أن ماركس لم يول ذلك اهتماماً كـــبيراً. بعد ذلك أرسله أبوه إلى جامعة برلين. ولكن الفتى بدأ يهتم بالفلسفة ويقرأ المؤلفات الكلاسيكية. وحصل على شهادة الدكتوراه عام 1841.

اتجه ماركس إلى الصحافة فأنشأ جريدة في مدينة كولونيا، وحاول أن يدافع عـــلى صـــفحاتها عـــن حقـــوق منتجي الخمور من الفلاحين. ولما أغلقت مكاتب جـــريدته، بسبب آرائه "المتطرفة" علق على ذلك قائلاً: "لا تقهر القوة إلا بقوة أكبر مـــنها، وســـتتحول النظرية إلى قوة عندما تؤمن بها الجماهير". بعد ذلك ذهب إلى باريس حيث تعرف على عدد من الاشتراكيين مثل برودون؛ لويس بلان؛ وفوري؛ وكرس جهوده للعمل في مجلة راديكالية الاتجاه.

وفـــي باريس لقي فريدريك أنجلس، نشأت بينهما صداقة وتعاون داما حتى وفاة ماركس. وكان أنجلس أوفر حظاً من ماركس، لأنه كان يعمل في مصنع أبيه فـــي إنكلـــترا. وعـــندما طرد ماركس من باريس توجه إلى بروكسيل، والتحق به انجلس وأنشأ جريدة أسبوعية، وانضما إلى جمعية شيوعية كان لها فروع في عدد من العواصم الأوروبية.

وفـــي عـــام 1848 أصـــدر ماركس وأنجلس "البيان الشيوعي"، وطردا من بروكســيل، فانتقلا إلى كولونيا وأصدرا جريدة ليواصلا حملاتهما من أجل الثورة. ولما أغلقت الجريدة رحل ماركس إلى فرنسا، ثم استقر في النهاية في إنكلترا حيث قضى بقية حياته. ولم تكن حياته حياة راحة ومتعة وهناء؛ إذ فقد ثلاثة من أولاده، واصـــبح يعـــاني الفقر، ويعتمد على ما يقدمه له صديقه انجلس من مساعدة مادية، وأصيب بأمراض عديدة، وتوفي عام 1883، في لندن.

كـــان ماركس نشيطاً لا يتوقف عن العمل والبحث والكتابة ، وتأييد العمال ودعم نقاباتهم. وفي 1867 ظهر الجزء الأول من كتابه الشهير "رأس المال"، وفيه ينـــتقد النظام الرأسمالي الذي يستغل الطبقات الكادحة، ويجعل العمال في حالة فقر وتبعية. ويدعو ماركس إلى إلغاء الملكية الخاصة، وتوزيع الأملاك ووسائل الإنتاج عـــلى العمال، وتوفير وسائل المعيشة لهم . وقد أتم أنجلس الجزئين الثاني والثالث من كتاب "رأس المال" على أساس الوثائق التي تركها ماركس.

ومن أقوال ماركس :

- تاريخ المجتمعات حتى الآن، صراع بين الطبقات.
- الأفكار السائدة في كل عصر هي أفكار الطبقة الحاكمة.
- يجب تدمير النظم البرجوازية، وإقامة دكتاتورية العمال محلها.
- يجب على الطبقات الكادحة في العالم أن تتحد لتحقق النجاح النهائي.
- لا يوجد لدى الطبقات الكادحة شيء تخشى أن تفقده سوى أغلالها.
- عـــندما يحـــتل رأس المال التجاري مركز الهيمنة، يصبح وسيلة للنهب والسلب.
- ستضـــمحل جميـــع الطبقات في خضم تزاحم الصناعات العصرية، إلا طبقة البروليتاريا لأنها إنتاج هذه الصناعات.
- الديانات أفيون تخدر به الشعوب.

◈ دوستو يفسكي :

ولد فيودور دوستو يفسكي في موسكو عام 1821، مات أبوه مقتولاً وعمر الكاتب ثماني عشرة سنة. بعد أن تخرج من مدرسة الهندسة العسكرية برتبة ملازم حصل على وظيفة في الجيش. غير أنه سرعان ما تركها ليتفرغ للكتابة. وانضم إلى جماعة كانت تهتم بإصلاح الأوضاع الاجتماعية في روسيا، وكان أفرادها معجبين بأفكار الاشتراكيين المثاليين في فرنسا.

كان ذلك في عهد إمبراطور روسيا نيكولا الأول، فأمر بالقبض عليهم بتهمة التآمر، وحكم على دوستو يفسكي بالإعدام، غير أن الإمبراطور عدل الحكم إلى أربع سنوات أشغال شاقة. فأرسل إلى "أومسك" في سيبيريا حيث عانى من الجوع والبرد والعزلة، والقلق، ومرض الصرع الذي ظل يعاني منه طوال حياته. وفي السجن عكف قراءة الإنجيل (لأنه لم يجد غيره من الكتب) وبعد فترة السنوات الأربع، حول إلى الخدمة العسكرية الإجبارية ليتم أربع سنوات أخرى من مدة العقاب.

كانت إقامته في السجن نقطة تحول في حياته. أقلقه الشك والمرض والثورة على الأوضاع، فعاد إلى تعاليم المسيح ليجد راحة البال؛ وحاول الانسجام مع الأوضاع السائدة ليتفرغ للكتابة، ويكفيه أن اسمه اختفى من الساحة الأدبية مدة عشر سنوات. وأخيراً أطلق سراحه ليعود إلى مدينة سانت بيترسبورغ. وبدأ في إصدار جريدة VREMMYA بالتعاون مع أخيه وعلى صفحاتها بدأ ينشر عام 1861 كتابه "منزل الموتى" يقص فيه حوادث إقامته في السجن.

سافر دوستويفسكي إلى أوروبا عدة مرات، مرة لعلاج مرضه، وتارة ليجرب حظه في القمار عله يخفف من فقره، وحينا هروباً من أصحاب الديون. وكان يعود إلى روسيا وهو يجر أذيال الخيبة؛ فتعاون مرة أخرى مع أخيه لإصدار جريدة EPOKHA، بعد أن أوقفت السلطات الجريدة الأولى، أو يضطر تارة إلى الإسراع في كتابة رواية، أو إلى إنهاء ما قد بدأ؛ من أجل تسديد الديون وكسب

عيشه. وهذا ما حدث له عندما أسرع في كتابة روايته الشهيرة "الجريمة والعقاب" لأنه كان ميدناً لأحد الناشرين.

وبصـــدور هـــذه الرواية عام 1866، بدأت المرحلة التي أنتج فيها الأعمال الـــتي أكســـبته الشهرة في حياته، وخلدت ذكره. وتراكمت عليه الديون مرة أخرى ففـــر إلى أوروبا مع سكريتارته التي تزوجها بعد أن توفيت زوجته الأولى، ومكث هـــذه المرة في أوروبا عدة سنوات في ظروف يسودها الفقر وآلام المرض ووفاة طفـــلهما . وتحمـــلت هـــذه الزوجة (Anna Snitkina) الظروف العسيرة بصبر، وغمـــرته بـــالحب والحـــنان. وأثناء هذه الفترة كتب روايته الثانية الكبيرة "الأبله" (168-1869) بجـــنيف، وغيـــرها مـــن الروايات الأخرى مثل "المقامر"، و"الزوج الأبدي".

وعـــاش دوستويفسكي فترة أمن وهدوء عندما عين محرراً لجريدة محافظة "المواطـــن"، غيـــر أنه ما لبث أن ضاق ذرعاً بهذا العمل ولم يمكث فيه سوى سنة واحـــدة. وفـــي عـــام 1876 أنشأ صحيفة أسماها "مذكرة كاتب" عالج فيها بعض المشـــاكل الاجـــتماعية والسياسية والدينية، ونشر على صفحاتها عدداً من قصصه القصيرة. وأخيراً بدأ روايته المشهورة "الأخوة كرامازوف" التي أتمّها عام 1880، وكانت ختام إنتاج سنوات النضج.

كـــان دوستويفسكي قصاصاً ماهراً سبر أغوار التجربة الإنسانية ونجح في تحليل دقائق مشاعرها وخلجاتها، وعالج كثيراً من مشاكلها الأخلاقية والدينية. وقد عانى نفسه من مرارة الحياة وآلامها ما عانى. ولعب دوراً هاماً بأعماله الصحفية، ووصـــف مـــرة بأنـــه راديكالي ثائر وتارة بأنه رجعي . ولكنه حتى بعد أن هادن الســـلطات، بعـــد خروجه من السجن، ظل يحتفظ بمبادئ إنسانية واسعة. توفي في شهر جانفي من عام 1881.

◈ليو تولستوى :

ولـــد تولستوي عام 1828 في مقاطعة "تولا"، وتوفي أبواه ولم يتجاوز تسع ســنين. ترعــرع فـــي أحضان أقاربه، ودخل الجامعة غير أنه لم يحفل بدروسها كــثيراً. وبدأ يقرأ الإنجيل، وفولتير، وهيجل، وروسو، وقد تأثر بصفة خاصة بهذا الأخيــر. وبعد أن ترك الجامعة عمل في مزرعة أهله، ووجه اهتمامه إلى تحسين ظروف الرقيق الذين يعملون في الأرض.

تطـــوع لـــلعمل في الجيش الروسي، واشترك في حصار مدينة سيبا ستبول عـــام 1854، وأثناء هذه الفترة كتب "سكيتش سيبا ستبول" الذي يصف فيه تجاربه فـــي هذه الفترة. واكتشف أن مهنة الجندي لاتناسبه، فذهب إلى سانبتسبورغ حيث بدأ يهتم بحركة التقدم الشعبية.

فـــي عـــام 1857 سافر إلى أوروبا ليطلع على النظم التربوية، وبعد عودته فـــتح مدرســـة لتعليم أبناء الفلاحين، ونالت أساليب تعليمه نجاحاً كبيراً، فعاد مرة أخرى إلى أوروبا لتعميق تجاربه في هذا الميدان. وفي 1862 تزوج امرأة أصغر مـــنه ســـناً أنجبت له 13 طفلاً. وقد كرس تولستوى 15 سنة للحياة العائلية كانت مفعمـــة بالنشاط. وبدأ يعمل لإعداد كتابه المشهور "الحرب والسلم" الذي نشره في 1869، كمـــا نشر بعد ذلك كتابه "أنا كارينينا" Anna Karinina في شكل مسلسل بين 1875 و 1877.

وعلى الرغم ممّا حقق من شهرة بصدور هذين الكتابين، لم يكن راضياً عن حـــياته، كـــان يشعر بالقلق، بل يعاني من أزمة نفسية، حتى أنه فكر في الانتحار. وظـــل يبحث عن معنى الحياة ومغزاها، فقد قرأ كثيراً وبحث طويلاً ولم يعثر على الجـــواب. ورجع إلى الاهتمام بالديانة المسيحية (الارثودكسية)، وقرأ الإنجيل أولاً، ثم اتجه للبحث في الديانات الأخرى فخرج من ذلك بمبادئ شخصية أصبحت تقود أســـلوب حياتـــه، وإن لـــم تكن مما يرضى رجال الكنيسة. فراح يحيا حياة الفلاح البســـيطة، وكـــرس معظم وقته للعمل اليدوي، واتبع نظاماً غذائياً نباتياً، كما ركز

نشـــاطه عـــلى المشـــاكل الاجتماعية ومساعدة الفقراء. وأصبح له أتباع يتشيعون لمـــبادئه، وأســـلوب حياتـــه، فحـــرم تولستوي من عضوية الكنيسة، ولقي أتباعه مصاعب وأذى من السلطات الحكومية.

كـــانت زوجـــته قد رفضت أن تعيش معه حياة المزارع المتقشف، كما ثار أولاده عـــلى أســـلوب حياته ورفضوا أفكاره. واشتد عليه الضغط من أسرته فقسم أملاكـــه على الورثة. وذات يوم هرب من المنزل بحثاً عن الراحة في مكان آخر بمساعدة ابنته ألكسندرا التي ظلت وفية له. وبعد أيام قليلة أنهكه المرض في قطار فـــنقل إلى كوخ مسؤول محطة القطار في ASTOPOVO حيث توفي وعمره 82 سنة.

ومن أقواله :

- سعادة الإنسان تتمثل في الحياة، والحياة في العمل.
- الحرب عمل شنيع لا يحق لأي إنسان أن يتحمل مسؤولية إشعال نارها.
- ينـــبغي لـــلفن أن يـــنقل للآخرين أرقى وأنبل المشاعر التي يسمو إليها الإنسان.

◈ **أوسكار وايلد :**

ولـــد عام 1854 في دبلين، كان أبوه طبيباً ماهراً، غير أنه كان منغمساً في المـــلذات. أما أمه فكانت غير متوازنة عقلياً. وكانت ترغب في إنجاب طفلة، فلما ولـــد لهـــا أوسكار شعرت بالخيبة فألبسته وربته كما تلبس وتربي الفتاة. بدأ حياته مدللاً في طفولته، منعماً في شبابه، وانتهت بالسجن والكحول والنسيان. فقد وجهت لــــه اتهامـــات بعلاقات لا أخلاقية مع طفل، وسجن مدة سنتين. وبعد خروجه من السجن غير اسمه، ورحل إلى فرنسا. توفي بباريس عام 1900.

وكـــان أوســـكار يـــرغب في أن تكون الحياة من أجل الفن، والفن من أجل الحياة؛ ويقول بأن الفنّ لا ينبغي أن يخضع لضغوط أخلاقية أو دينية.

ألّـــف كتـــباً عديـــدة، مـــنها "الأمير السعيد"، SALOME و"الزوج المثالي" و"جريمة اللورد أ. صافيل"، و"دوريان غراي" وغيرها.

ومن أقواله :

- السبيل الوحيد للتخلص من المغريات هو الاستسلام لها.
- الضمير والخوف شيء واحد.
- إذا تزوجت المرأة مرة ثانية فذلك لأنها تكره زوجها الأول، وإذا تزوج الرجل ثانية فلأنه يحب زوجته الأولى.
- هناك مأساتان في الحياة : الأولى ألا ينال المرء ما يرغب فيه، والثانية أن يناله.
- يـــود الرجل أن يكون أول حب في حياة المرأة، وتودّ المرأة تكون آخر حب في حياته .
- لست أدري إذا كان القانون مصيباً أو مخطئاً، بل كل ما يعرفه السجين هـــو أن جدران السجن سميكة متينة، وأن اليوم في السجن مقداره سنة، وأن أيام السنة كثيرة.

◈ **فرويد :**

ولـد فرويد عام 1856 في مدينة فرايبورغ (مورافيا) لأسرة يهودية، وكان أبوه تاجراً. ولمّا بلغ أربع سنوات رحلت أسرته إلى مدينة فيينا. وأظهر فرويد منذ صغره اهتماماً بنظريات داروين، كما تأثر بمقال عن الطبيعة كتبه الشاعر جوتى، فمـال إلى دراسة العلوم وقرر أن يدرس الطب. وبعد أن أتمّ دراسته واصل بحوثه فـي موضـوع الأمراض العصبية، فذهب إلى جامعة السوربون في باريس حيث تتلمذ لخبير الأمراض العصبية شاركو.

عاد فرويد إلى فيينا، فتزوج، وبدأ يعمل في معالجة الأمراض العصبية عن طـريق التـنويم المغناطيسـي. غير أنه بعد فترة لجأ إلى أسلوب "التداعي الحر" لمعالجة المرضى. بعد ذلك أصبح يعتمد على تفسير الأحلام لنفس الغرض. وظلت نظـرياته تواجـه انـتقادات حادة من جانب الأوساط الطبية، واشتدت المعارضة لأفكـاره عندما نشر آراءه حول الحياة الجنسية لدى الأطفال، عام 1904. غير أن عـدداً من الأطباء الشباب بدأوا يهتمّون بأسلوب فرويد في مجال التحليل النفسي، كما بدأ صيته ينتشر خارج النمسا. وأخذ يطور نظرياته في ميدان التحليل النفسي؛ فنال الاعتراف في أوساط عديدة اعتبرته مؤسس أسلوب التحليل النفسي.

واهتم فرويد بالبحوث المتعلقة بالشعور واللاشعور وبالكبت، كما ركز على دراسـة تـاريخ الحضـارات والديانات وآثارها على سلوك الإنسان، ونال جائزة جوتى عام 1930. وعندما دخل النازيون النمسا عام 1938 أحرقت كتبه وصودر جـواز سـفره، فعـاش منعزلاً بعض الوقت، خاصة وأنه كان يعاني من مرض السـرطان فـي فمـه. ثم سمح له أن يغادر فيينا، فتركها في السنة نفسها، وتوجه بصحبة زوجته وابنته إلى لندن حيث كان يعيش ابنه. توفي فرويد في سبتمبر عام 1939.

كـــتب فـــرويد مؤلفـــات عديـــدة من ذلك بحوثه المتعلقة بالجهاز العصبي والأمراض العصبية؛ والبحوث الخاصة بمرض الهستيريا والتنويم المغناطيسي؛[1] ودراســـته في مجال الشعور واللاشعور وتطوير التحليل النفسي؛ وكتابه عن تفسير الأحلام؛ وكتابه عن موسى عليه السلام ووحدانية الإله وغير ذلك.

مـــن الآراء التي وردت في كتابه "تفسير الأحلام" أن الحلم يعبر عن إشباع رغـــبة مكبوتة، وأنه يمكن تفسير الأحلام عن طريق التحليل النفسي، وأن الأحلام فـــي نهايـــة الأمر ترتبط بحوادث جنسية في حياة الشخص، ومتى تعلمنا أن نفسر أحـــلام الإنسان المريض نفسياً، نكون قد عرفنا كيف نفسر أحلام الإنسان السوي. كما يقول فرويد بأن الأحلام "مفتاح" لتفسير ألغاز اللاشعور.

أمـــا كـــتابه عـــن سيدنا موسى (عليه السلام) ووحدانية الإله، فمما ورد فيه من "الافتراضـــات" أن ســـيدنا موسى كان كاهناً من كهنة الفرعون أخناتون الذي حكم مصـــر فـــي منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد. ومن المعروف أن أخناتون نادى بوحدانية الإله (الشمس).

ويستدل فرويد على كون موسى مصرياً، وليس يهودياً بأمور منها :

- أن مقطـــع الكـــلمة "mose" من اللغة المصرية، وقد أضيف للعديد من الأسماء المصرية مثل اسم الفرعون الشهير Tut-mose.
- أن عـــادة الخـــتان التي تقول التوراة أنها من خاصة الشعب اليهودي، كانت، قبل ذلك عادة متبعة في مصر.
- أن ســـيدنا موسى لم يكن قادراً على التعبير باللغة العبرية، وكان يحتاج إلى أخيـــه هارون لشرح كلامه للقبائل العبرية، ومعنى هذا عند فرويد أن لغة موسى الأصلية هي اللغة المصرية.

---

(1) بالتعاون مع العالم بروبار.

- ويزعم فرويد أن اليهود قتلوا موسى، وعانوا من الشعور بالذنب ولذلك ظلوا ينتظرون مجيء "مسيح يخلصهم من هذا الشعور. ويفترض فرويد في كتابه أن موسى المصري رغب في إتمام رسالة الفرعون أخناتون، بعد وفاته (رسالة التوحيد)، فاختار القبائل العبرية التي كانت تعيش في مصـــر تحت ظروف قاسية، ليحملوا هذه الرسالة، فأخرجهم من مصر وفــرض عليهم بعض التقاليد المصرية مثل عادة الختان وغيرها. غير أن اليهــود نسبوا هذه العادة، بعد ذلك، إلى سيدنا إبراهيم، ليخفوا كونهم أخذوها عن المصريين.

واشتهر فرويد بصفة خاصة بنظريته المتعلقة بدور الدوافع الجنسية وتأثيرها العميــق على حياة الإنسان. فهو يرى مثلاً أن إحساسات جميع الأطفال والمراهقين مفعمـــة بالصور الجنسية؛ وأن أعمال الإنسان وعاداته تنبع من دوافع جنسية؛ وأن معظـــم مشـــاكل الإنســـان هي أساساً رغبات جنسية لم يقدر على إشباعها فظلت مكبوتة، ويقول بأن الأطفال الذكور يرغبون، بصورة شعورية أو لا شعورية، في أن يـــتحدوا (يتزوجوا) بأمهاتهم، وأن يقتلوا آباءهم، كما ورد في أسطورة أوديب. أما الفتيات فعلى العكس من ذلك، يرغبن في الاتحاد مع آبائهن وقتل أمهاتهن.

لا شك في أن فرويد استطاع أن ينير الجوانب الغامضة من سلوك الإنسان، غيـــر أن كـــثيرا من آرائه ونظرياته واجهت انتقاداً عنيفاً من طرف عدد كبير من العـــلماء. فقـــال بعضهم عن أسلوبه في معالجة المشاكل النفسية، بواسطة التحليل النفســـي، بأنه أصبح استحواذاً مقلقاً يتحكم به في مصير المرضى؛ وانتقده آخرون بأنـــه اتـــبع فـــي كثير من مؤلفاته عن الإنسان والتاريخ والديانات منهجاً عشوائياً فوضوياً، وأصدر أحكاماً اعتباطية ودكتاتورية.


القسم الخامس
حكايات
قصص
مسرحيات

◈ سنوحي [1] :

أنا سنوحى، الخادم الوفي للفرعون العظيم، أمنمحات الأول، الذي أوكل إلى الإشـراف عـلى ابنته الأميرة وعلى حريم القصر الملكي. ومات سيدي الفرعون، فصـعدت روحه إلى السماء حيث اتحدت مع قرص الشمس. وساد القصر سكون رهيـب، وخيم الحزن فراح الناس يبكون رحيله في كل مكان. وكان الفرعون قد أرسـل ابـنه الكبير "سانو" في جيش عظيم ليخضع القبائل البربرية في الصحراء الليـبية، وصدر الأمر إلى جميع الأمراء في القصر ألا يفشوا خبر وفاة الفرعون. ولكنـني كنت ممن سمعوا هذا الأمر داخل القصر، فقلت لنفسي "أنت في خطر يا سنوحي، لأنه إذا انتشر الخبر الخطير سيظن الجميع أنني أنا الذي أفشيت السر".

شعرت بخوف شديد، فخرجت من القصر ورحت أفتش عن مكان أختبئ فيه مؤقـتاً. بـدأ قلبي يدق بسرعة، ورجلاي ترتجفان، والعرق يتصبب على جبيني. وتصورت أن الصراع قد بدأ داخل القصر بين من يتنافسون على عرش الفرعون، فقـررت ألا أعـود إلى القصـر. مشـيت ليلاً ونهاراً، وسافرت طويلا، ونال منى العطـش والجوع والتعب حتى كدت أموت. وذات يوم لقيت قبيلة بدوية ، فعرفني شيخها لأنه كان قد أقام عندنا في مصر. رحب بي بحرارة وسرت مع أفراد القبيلة كأنني واحد منهم حتى وصلت إلى سوريا فأقمت بها.

وذات يـوم استدعاني أمير البلاد ورحب بي، وكان بعض المصريين ممن يعيشون في دياره أبلغوه خبري. ورغب الأمير في أن يعرف ماذا حدث في قصر الفرعون، ومن خلفه في السلطة، ولماذا خرجت من مصر. فأخبرته بحقيقة الأمر، وهى أنـني سمعت خبرا لم يكن من حقي أن أسمعه، فخفت على حياتي وغادرت بلادي. كما حدثته عن "سانو" ابن الفرعون الذي سيتولى السلطة بعد أبيه، وأضفت أنـه رجـل صـالح وحليم، وأنني أود أن يسمع الفرعون الجديد أخبارا حسنة عن

(1) ملخص من قصة MARGUERITE DIVIN .

الأميـــر حـــتى إذا أرسل حملة إلى هذه البلاد سيعامل الأمير بما يستحق من تقدير واحترام.

لقيت معاملة حسنة من الأمير، فزوجني ابنته، وأقطع لي أرضاً على الحدود تـــتوافر فيهـــا جميع الخيرات من نخيل وعنب وتين وزيوت وخمور وأغنام وقمح وخيـــول، وجعلني رئيس القبيلة في تلك المنطقة. عشت في هذه الديار سنين عديدة حـــتى كـــبر أولادي وأصبح كلٌ منهم رئيس قبيلة. ولم أنس خلال إقامتي أن أطعم الجـــائع وأروي العطشان وأغيث التائه والمظلوم. ألم أخرج من بلادي خائفاً، تائهاً لا أمـــلك شـــيئاً؟! وكلّفني الأمير بالدفاع عن حدود بلاده ضد البدو المعتدين. ولا أخـــفى أنني كنت في كل حملة أخوضها برجالي أعود بالأسرى وقطعان الماشية، وكان الأمير يمدح حسن تدبيري ورباطة جأشي.

ومرت السنين وبدأت الشيخوخة تدب في جسمي. وزادت رغبتي في العودة إلى بـــلادي، فكتـــبت رســـالة إلى الفرعون أطلب عفوه وأستسمحه في العودة إلى مصـــر. وكـــم كان فرحي شديداً عندما وصلني جواب منه يأمرني بالعودة حتى لا أمـــوت في بلد أجنبي، ويعدني بأنني سأجد في مصر كل ما يسرني. نظمت حفلاً كـــبيراً لأســـلم أثناءه جميع ممتلكاتي لأولادي، وأصبح كبيرهم هو رئيس قبيلتي، وســـلمته عـــبيدي وقطعاني، ثم خرجت في جماعة من رجال قبيلتي رافقوني حتى الحدود.

أرســـل قـــائد حرس الحدود المصرية إلى الفرعون يخبره بوصولي، فبعث الفرعون سفينة محملة بالهدايا لتوزع على البدو الذين رافقوني؛ ثم ودعتهم وركبت السفينة والسعادة تغمر قلبي. وكان ربان السفينة رجلاً كريماً، يحضر لي الجعة كل يوم إلى أن وصلنا إلى مدينة تايتو. وهناك لقيني عشرة رجال قادوني إلى القصر، ثـــم صـــحبني رجـــال آخرون إلى قصر الفرعون. ولما لقيته رميت نفسي أمامه، فخاطبـــني بعبارات لطيفة. نطقت بكلمات التقدير واعتذرت عن غيابي، وقلت هذه إرادة الإله أمون رع، وفي يد جلالتكم الحياة والموت، وأنا خاضع لإرادتكم راض

بحكمكم. والتفت الفرعون إلى الملكة قائلاً : هو ذا سنوحي لقد أصبح أشبه بالبدوي منه بالمصري.

وحضر أطفال القصر فأنشدوا نشيداً في مدح الفرعون، وفيه عبارات تسأله أن يعفـــو عـــني. أمـــر الفـــرعون أن يصحبوني إلى القصر لأعيش بين الحكماء والمستشارين الذين يحيطون بالفرعون. حلقت ونظفت شعر رأسي، وتخلصت من الملابس القديمة وتعطرت، فشعرت كأن الشباب يعود لي وبعد مدة رحت أفكر في مـــثواي الأخيـــر الـــذي سيكون مقر خلودي، فبنوا لي هرماً لأدفن فيه، كما أعدوا صـــندوق الدفن، والتماثيل والأثاث والعطور وجميع الأدوات واللوازم التي توضع فـــي قـــبري عندما يحين الوقت. وعشت أنعم برعاية الفرعون ورضاه في انتظار اليوم الموعود.

◈كيسافوتامي (قصة بوذية) :

كيسافوتامي امرأة في مقتبل العمر، تزوجت رجلاً ثرياً، ورزقت بطفل. وما إن بلغ ابنها سنة من العمر حتى اختطفته يد المنون. ولم يكن سهلاً على الأم أن تقبل هذه الفاجعة بسهولة. حملت ابنها الميت بين ذراعيها، وراحت تطوف بالقرية وتسأل الناس أن يعطوها دواء يعيد الحياة لولدها الوحيد. أشفق عليها الناس، وظن بعضهم أنها جنت. لقيت الأم رجلاً حكيماً فطلبت منه أن يساعدها في مصابها، فنصحها بأن تذهب إلى غوتاما (بوذا) ليدلها على الدواء المطلوب.

حضرت الأم أمام بوذا الحكيم وحيته باحترام، وسألته عن دواء يعيد لها ولدها . ففكر بوذا قليلاً ثم قال لها : سأعد لك دواء بنفسي، اذهبي وائتني بحفنة من بذور الخردل، وليكن من منزل لم يدخله الموت. وراحت الأم تتنقل من منزل إلى آخر وكلما قدم لها أصحابه حفنة خردل، وطرحت عليهم سؤالها يجيب أحدهم بأنه قد فقد أمه، وآخر بأنه فقد أخته، وثالث ابنته.. وبعد جهد كبير أدركت الأم مغزى طلب بوذا، وأنه إذا كانت كل أسرة في القرية قد اختطف الموت أحد أفرادها فما عليها إلا أن تدفن ولدها وتصبر على ما ليس منه مفر.

. .

من حكايات بوكاتشو [1]
(إلديكاميرون)

◈ **الحكاية الأولى :**

كـــان يعيش في مدينة نابولي شاب ثري يدعى رتشاردو، وعلى الرغم من أنه قد تزوج امرأة جميلة صغيرة السن، وقع في غرام امرأة متزوجة تدعى كاتيلا، يقـــال إنهـــا أجمل امرأة في المدينة. ولما فشل في نيل حبها لجأ إلى الحيلة. وكان يعـــرف مـــدى غيرة كاتيلا على زوجها، فقرر أن يستغل هذا الجانب من سلوكها. فتظاهر لها أولاً بأنه لم يعد يحبها، لأنه وفي لزوجته التي يُحبها أكثر من أي امرأة أخرى.

وحـــدث أن اجـــتمع الأصدقاء والصديقات في إحدى المناسبات، وكان من بينهم رتشاردو وكاتيلا الجميلة. واستغل فرصة لقائه بها على انفراد فخاطبها قائلاً: لـــو كـــان حبي لك كما كان، ما حدثتك بما سأقول لكِ. يبدو أن زوجك ما زال في نفســـه حقد بسبب ما كان بيننا من حب قديم. ولذلك يحاول أن يلتقي بزوجتي لتقع بيـــن أحضـــانه وينتقم منّي. ولما أبلغتني أنه ضرب لها موعداً في أحد الحمامات، طلـــبت مـــنها أن توافـــق. وقد أسرعت لإبلاغك الخبر لعلك تودين أن تذهبي إلى الموعـــد مكان زوجتي، لتتأكدي بنفسك من خيانة زوجك لك. وقد أكد هو لزوجتي أن اللقاء سيكون في غرفة مظلمة في زاوية منعزلة من الحمام المعهود.

ولمـــا وافقت كاتيلا على اقتراح رتشاردو، ذهب إلى الحمام وأجر غرفة في زاويـــة مظلمة، وجلس داخلها ينتظر وصول كاتيلا الجميلة. وفعلاً وصلت كاتيلا في الموعد المحدد، وقادتها صاحبة الحمام إلى الغرفة المتفق عليها. وبما أن اللقاء كـــان فـــي ظلام دامس قررت كاتيلا ألا تكشف عن هويتها "لزوجها" إلا في آخر الأمر. وتمتع رتشاردو بالعناق والقبل وما يتلو ذلك طويلاً.

وجـــاءت اللحظة التي رأت كاتيلا أن تصرخ فيها في وجه "زوجها" الخائن اللئيم، ليعرف أنها زوجته وليست زوجة رتشاردو كما كان ينتظر. وبينما هي تلعن وتـــلكم، ضمها العاشق الولهان بقوة إلى صدره وهو يقول: حبيبتي الغالية لا تقلقي

(1) جميع الحكايات والقصص والمسرحيات في هذا القسم ملخصة.

أنـــا حبيــبك رتشـــاردو.. الخ ثم وضع يده على فمها ونصحها ألا تصرخ لتتجنب الفضـــيحة، مؤكداً لها أنه إنما فعل ما فعل لشدة حبه لها. وهدأ روعها فتذكرت أن قـــبلات العشيق وعناقه وما حصل بعد ذلك، كان ألذ وأعمق تأثيراً مما يحصل مع زوجها، فاستسلمت للواقع عن رضى، وأصبحت تأتي إلى ذلك الحمام كلما سنحت لها الفرصة.

◈ الحكاية الثانية :

كـــانت تعيش في مدينتنا امرأة جميلة ، لطيفة، صغيرة السن اسمها إزابيلا، وكان زوجها فارساً من كرام أهل المدينة. وأحبت هذه المرأة شاباً كانت تلقاه كلّما ســنحت لها الفرصة. ووقع في حبها فارس آخر اشتهر بعنفه، وهددها بأنه إذا لم تســتجب لرغــباته سيفضــحها أمـــام سكان المدينة. فاضطرت إزابيلا لملاطفته والاستجابة لطلبه خوفاً من شروره.

وحدث ذات يوم أن غاب زوجها وبقيت وحدها في منزل الأسرة في ضاحية المديـــنة، فأبلغت عشيقها الشاب بذلك، والتحق بها لقضاء وقت ممتع. وفي الوقت نفسه علم الفارس العاشق بغياب زوجها فهرع إليها على جواده لإشباع رغباته هو الآخـــر. وعندما دق هذا الأخير الباب فزعت إزابيلا، وطلبت من الشاب أن يختفي خلف السرير حتى تتخلص من الفارس. ودخل هذا الأخير فقبلها واحتضنها طويلاً؛ ثم اتجه نحو غرفة النوم لينزع ملابسه.

وبيـــنما إزابيلاً تلاطفه وتحاول أن تتخلص منه، عاد زوجها إلى المنزل في وقت غير متوقع أن يعود فيه. يا للمصيبة! ماذا تفعل وفي بيتها رجلان!؟ وحصان الفـــارس أمـــام المنزل. أعطت الفارس خنجراً كبيراً وقالت له اركض في المنزل واصرخ قائلاً : سأقبض عليك... سأقتلك.. واخرج دون أن تنطق بكلمة . ففعل ما قالت ، وخرج راكضاً فامتطى جواده، وانطلق وهو يردد "سأقتلك...".

دخـــل الزوج المنزل وهو مندهش ، فوجد زوجته "ترتعش خوفاً"، فقالت له: لـــم أعش لحظة رعب كهذه طوال حياتي؛ منذ قليل وصل إلى هذا المكان شاب لا أعـــرفه، وكان يلاحقه الفارس الذي شاهدته وهو يصيح: أين أنت "أيها الخائن..." ورأى الشـــاب باب المنزل مفتوحاً، ورجاني أن أنقذ حياته فوقفت أمام باب الغرفة

التي اختبأ فيها، ومنعت الفارس الغاضب من دخولها، فصاح هذا الأخير بالعبارات التي سمعتها، ثم خرج كما شاهدت.

شكر الزوج زوجته، وطلب من الشاب أن يخرج من مخبئه بأمان، وأقسم الشاب (الذي كان سمع كل شيء) أنه لا يعرف الفارس الذي حاول قتله، وأنه ربما اشتبه عليه بشخص آخر. وقال إنه مدين بحياته للزوجة الشجاعة. وطلب منه رب المنزل أن يبقى للعشاء؛ ثم أردفه على فرسه ورافقه حتى منزله.

وفي الليلة نفسها زار الشاب ذلك الفارس العاشق، وتحدثا طويلاً عن الحادث، واتفقا على كتمان سر إزابيلاً "الزوجة الذكية" حتى لا يعلم الزوج بحقيقة الأمر. وظل أهل المدينة يتحدثون عن الحادث وعن شجاعة الزوجة التى أنقذت حياة شاب، ولم يعلم أحد بالحيلة التي خدعت بها المرأة زوجها.

◈ الحكاية الثالثة :

كان يعيش في مدينتنا تاجر ثري تزوج امرأة صغيرة السن. ولم تكن راضية عن حياتها لأنه ككل التجار كان يسافر كثيرا، ولا يبقى معها إلا وقتاً قليلاً. وبعد مدة وقعت الزوجة في حب شاب اسمه روبارتو. وشعر الزوج بتغير في سلوك زوجته، وبدت الغيرة تعكر صفو حياته، فانقطع عن السفر، وراح يراقبها صباح مساء. وانزعجت الزوجة لكونها لم تعد تقدر على مقابلة عشيقها، ففكرت في حيلة تمكنها من ذلك.

لاحظت الزوجة أن زوجها ينام متأخّراً، ولكنه ينام نوماً عميقاً حتى الصباح. فقررت أن تلتقي بعشيقها ليلاً وأبلغته أنها ستربط خيطاً في أصبع رجلها وهي في فراشها، وتدلي طرفه من نافذة غرفة النوم. وأن عليه أن يأتي بعد منتصف الليل ويجذب الخيط، فإن كان زوجها نائماً حلّت عقدة الخيط من رجلها، وأرخته في يده، عندئذ تفتح باب المنزل ويقضيان معاً لحظات حب ومتعة. وظل العاشقان ينعمان بالملذات الجسدية مدة، إلى أن استيقظ الزوج ذات ليلة فلاحظ الخيط المربوط في رجل زوجته وهي نائمة، فظن أنها حيلة من حيل النساء؛ قطع الخيط بهدوء وربطه في رجله، وبقى ينتظر نهاية اللعبة.

وعندما جذب العشيق الخيط انقطع لأن الزوج لم يحكم ربطه. واتجه الزوج نحـو الـباب، وظـن روبارتو أن عشيقته بين أحضانه، غير أن الزوج فتح الباب بعـنف وصاح في وجهه، فهرب العاشق وركض الزوج وراءه، ولحق به، فاشتبكا وتـبادلا اللكمات واللعنات. واستيقظ بعض الجيران ففضل الزوج أن ينسحب، دون أن يعـرف مـن هـو عاشق زوجته، خوفاً من أن يجتمع الناس عليهما وتتكشف الفضيحة.، فهرع عائداً إلى المنزل لينتقم من زوجته الخائنة.

وأثـناء ذلك كانت الزوجة قد استيقظت وعلمت بانكشاف حيلتها، فركضت إلى خادمـتها وأقنعـتها بـأن تضـطجع في فراشها، مقابل مبلغ سخي من المال، شـريطة أن تصبر لما قد ينهال عليها من لكمات الزوج الغاضب، وألا تكشف له عـن هويـتها. وقصد الزوج غرفة النوم فانهال على الخادمة ضرباً وصب عليها لعنات الجن والإنس، ثم جاء بالمقص فقص شعرها، وخرج من المنزل وهو يقول: سأذهب إلى أمك وإخوتك لأبلغهم فعلتك الشنيعة.

وركضت الزوجة إلى الخادمة لتواسيها وتهدئ من روعها، ودفعت الزوجة لهـا المبلغ المتفق عليه، وقادتها إلى غرفة مجاورة، ثم رتبت السرير وغرفة النوم بحيـث تبدو وكأن لم ينم فيها أحد، وجلست في مدخل البيت تخيط ثوباً على ضوء مصباح صغير.

أمـا الـزوج فأبلغ أمها وإخوتها بالفعلة الشنيعة التي ارتكبتها زوجته، وأنه ضـربها وقص شعرها، وأقسم ألا تبقى في منزله يوماً آخر. وجاءت الأم والإخوة والـزوج فوجدوها جالسة هادئة، وليس على وجهها أي أثر يدل على أنها ضربت أو قـص شـعرها. وأخبروها بما قال زوجها فأجابت: ما هذا الذي قصصت على اخوتـي أيهـا الشقي؟ لماذا تسيء إلى سمعتي؟ وكيف تزعم أنك أتيت إلى المنزل ليلاً، وأنك ضربتني قصصت شعري؟!

واحـتار الـزوج في الأمر، ولم يجد للموقف تفسيراً. والتفتت الزوجة إلى اخوتهـا قائلة: هذا هو الزوج العربيد الذي اخترتموه لي، يقضي معظم الليل خارج المـنزل ويعـود إليّ سكرانا. ولعله أخطأ العنوان هذه الليلة فنام عند امرأة أخرى

وتشــاجر معها. ولكنني أرجوكم أن تسامحوه هذه المرة. واتجه الإخوة إلى الزوج فأنــبوه، وحــذروه بشدة من إيذاء أختهم أو الطعن في شرفها مرة أخرى، وأنه إذا فعــل ستكون نهايته على أيديهم . ثم خرجوا وتركوه مبلبل الفكر محتاراً في أمره، لا يدري هل ما حدث كان حقيقة أم حلماً مزعجاً. ومنذ ذلك اليوم أصبحت الزوجة تغتنم الفرص لتتمتع بلقاء عشيقها دون أن يجرؤ الزوج على مضايقتها.

◈ الحكاية الرابعة :

كــان يعيــش في مدينة اليونان قي قديم الزمان، رجل ثري له زوجة جميلة وذكيــة تــدعى ليديا. وكان في القصر عدد كبير من الخدم، من بينهم شاب وسيم يــدعى بيــرو يحظى بحب سيده وتقديره. وكانت ليديا تحب هذا الخادم الشاب حباً شــديداً. وذات يوم قالت لخادمتها الوفية: إنني امرأة فتية مازلت في مقتبل العمر، وقــد تقدمت السن بزوجي فلم أعد أنال منه المتعة الجسدية التي تنالها الفتيات في سني. وقد أحببت بيرو من كل قلبي غير أنه لا يستجيب لحبي. فإذا كنت تحرصين على سعادتي اذهبي إليه، واشرحي له حبي بالأسلوب الذي ترينه مناسباً.

توجهت الخادمة إلى الشاب بيرو، وحدثته بما تشعر به سيدتها نحوه، ولكنه خشــي أن تكون هذه القصة امتحاناً لولائه لسيده، فأجابها بأنه لا يستطيع أن يخدع مــولاه الذي وضع فيه ثقته. وأبلغت الخادمة سيدتها جواب بيرو، فطلبت منها أن تعــود إليــه لتقنعه بجميع ما تملك من فنون الكلام بأن سيدتها صادقة في حبها له. واقتــنع الخــادم هذه المرة وقال للخادمة إنه سيستجيب لرغبة سيدة القصر بشروط ثلاثــة: أن تقتل العُقاب الذي يملكه زوجها ويستخدمه للصيد؛ وأن ترسل له خصلة من لحية زوجها؛ وأن تبعث إليه بسن سليمة تقتلعها من فم زوجها.

بدت هذه الشروط عسيرة في أول الأمر، غير أن الزوجة عزمت على تنفيذ شــروط بيرو. وذات يوم بينما كانت ليديا وزوجها يستضيفان عدداً من الأصدقاء والصــديقات، أخــذت العُقــاب وضربته بشدة حتى قتلته ، ثم وقفت أمام الضيوف وقــالت: لقــد كان زوجي العزيز يخصص جزءاً كبيراً من وقته لهذا الطائر،وكان يتركــني وحدي ويذهب صباحاً بصحبة العقاب للصيد. وأبدى الحاضرون تعاطفاً

مـــع الـــزوجة وعذروهـــا في التخلص من الطائر. وبعد أيام قلائل ، وبينما كانت تداعــب زوجهـــا فـــي الفراش قصت خصلة من لحيته، وأرسلتها إلى بيرو. وبقي عليها أن تنتزع السن من فم زوجها العزيز.

اخـــتارت ليديـــا المقـــام المناسب وخاطبت زوجها قائلة: زوجى العزيز لقد لاحظـــت أن فى فمـــك رائحة كريهة، وهذا لا يليق برجل في مكانتك يجالس كبار القـــوم وســـيدات المدينة. ولاحظت أن سبب هذه الرائحة سن فاسدة في فمك، وما عـــليك إلا أن تنتزعها لتتخلص من الرائحة الكريهة . تردد الزوج في أول وهلة، وفكـــر ملياً، ثم قال لها بأنه سيدعو الطبيب على الفور. ولكن الزوجة أقنعته بأنها ســـتقوم هى باقـــتلاع الســـن الفاسدة بعناية ولباقة، وراحت تعانقه وتقبله وتلاعبه. وجـــاءت حـــالاً بـــالمعدات فانتزعت أحسن سن في فمه، وأرت زوجها سناً فاسدة كـــانت تخفيهـــا في يديها. وفرح الزوج بانتهاء العملية بسلام. وأرسلت السن إلى الشـــاب بيـــرو. وبقـــي عليها أن تعد خطة لكسب ثقة زوجها من أجل التمتع بلقاء عشيقها.

تظاهرت ذات يوم بالمرض وطلبت من زوجها ومن الخادم بيرو أن ينقلاها إلى الحديقـــة تحـــت شجرة الأجاص، وطلبت من الخادم أن يتسلق الشجرة ليأتيها بـــبعض فاكهـــتها. وبينما هو على الشجرة قال: إنني لا أصدق ما أرى، ما هذا يا ســـيدى؟ مـــاذا تفعلان؟ لا يجدر بك يا سيدي أن تضاجع زوجتك أمام الناس، لا، إذهـــبا إلى غـــرفة النوم! واحتج الزوج على كلام الخادم غير أن هذا الأخير نزل مـــن الشـــجرة وهو يقول: إنني لا أحلم ولم أفقد عقلي، لقد شاهدتكما في وضع لا يليق في هذا المكان . وتعجب السيد من قول خادمه الذي يثق به، وظن أن الشجرة مسحورة وأن من يتسلقها يرى أموراً غريبة.

وأراد أن يختـــبر الأمـــر بنفسه ، فتسلق بصعوبة الشجرة إلى قمتها، وأثناء ذلـــك تعـــانق الشاب والزوجة واضطجع أحدهما فوق الآخر. وهال المنظر الزوج فـــراح يشـــتم ويلعن ويزمجر. وما كاد يلمس الأرض برجليه حتى كان كل منهما جالســـاً في مكانه، وقال بيرو لسيده: كيف تشك يا مولاي في زوجتك الوفية؟ وهل يعقل لسيدة مثلها أن تقرب خادمها؟! أو أن تأتي فعلاً مخجلاً شنيعاً على مرأى من

زوجهـــا؟! أما أنا خادمك المخلص، فأفضل لي أن أقطع إرباً، مّن أن أخون سيدي الذي أنعم علي بفضله وكرمه، وغمرني بحبه وثقته. إن التفسير الوحيد لهذا التوهم هــو بســبب الشــجرة ، إنها شجرة غريبة مسحورة. ونهضت الزوجة تحتّج على زوجها، وتوبخه على سوء ظنه بها وشكه في وفائها وإخلاصها وحبها له.

وانقلــبت حيــرة سيد القصر إلى اقتناع بأن الشجرة مسحورة، وأن كل ما شــاهده هــو والخــادم إنمــا كــان معجزة أو أوهاماً لا يفسرها إلا كون الشجرة مســحورة. وعــادت الــزوجة الوفية، تحتج على زوجها لإهانته لها أمام الخادم، وطلبت من هذا الأخير أن يقطع جذور هذه الشجرة اللعينة حتى لا تتسبب في شقاء امــرأة أخرى، إذا تسلقها زوجها. وعانق الزوج المسكين زوجته الوفية، وسامحته هــي الأخرى من كل قلبها على ألا يشك في إخلاصها بعد ذلك. وبعد هذه الخديعة المحكمــة، تمكنت الزوجة من مضاجعة الخادم بيرو كلما سنحت لها الفرصة دون أن يشك في وفائها لسيد القصر أحد..

◈ من حكايات كانتربري للشاعر الإنكليزي تشوسر

الحكاية التي يقصها القسيس :

كانت أرملة فقيرة تعيش مع ابنتيها في كوخ صغير، وكان لها عدد من الحيوانات في حظيرتها، من بينها ديك له صوت جميل، يعيش وسط سبع دجاجات. وذات صباح ، بينما كان يتجول بجوار الكوخ وجد نفسه فجأة أمام ثعلب كان يرصد حركاته. وفكر الديك في الفرار غير أن الثعلب بادره. قائلاً : ما أحلى نغمات صوتك أيها الديك الجميل، أرجوك أن تمتعني بصوتك لحظة. ومدّ الديك عنقه وأغمض عينيه ليطلق أنغامه، ولكن الثعلب انقض على رقبته وفر به. ساد الحظيرة ضجيج كبير إذ صاحت الدجاجات بأعلى صوتها، وصاحت معها بقية الحيوانات، وخرجت الأرملة وابنتاها فركضن وراء الثعلب وركض معهنّ الجيران.

طلب الديك من الثعلب، وقد عاد أن يختفي وراء الأشجار، أن يبلغ من يركضون وراءه بأنهم لن يستطيعوا أن ينقذوا الديك، وفتح الثعلب فاه ليتحداهم فقفز الديك إلى شجرة قريبة. وحاول الثعلب أن يخدع الديك مرة أخرى بمزيد من الثناء، غير أن الديك تعلم أن الغرور يهلك صاحبه، كما تعلم الثعلب أن الكلام في غير وقته خسارة تجلب الندامة.

◈ **مقدمة حكاية امرأة من "باث" :**

لقــد تزوجتُ مرات عديدة، وتمتعتُ بذلك كثيراً، غير أنني مازلت أتساءل: كــم مرة يجوز للمرأة أن تتزوج؟ يروى أن المسيح لم يحضر حفل زواج إلاّ مرّة واحــدة، فهــل معــنى هذا أنه لا يجوز للمرأة المسيحية مثلى أن تتزوج إلاّ مرّة واحــدة!؟ وإلا فما هو عدد الأزواج الذي تسمح به شريعتنا للمرأة؟ وبكل صراحة إنــي لا أرغــب بــأن أبقى بدون زوج. وسأرحب بزوج آخر إذا تقدم إلى الرجل المناســب. ألا تنصحنا الشرائع بأنه أفضل للمرء أن يتزوج من أن يقع في مستنقع الخطيئة؟

وهــذا ســيدنا إبراهيم تزوج أكثر من امرأة ؛ وكذلك فعل سليمان ويعقوب وغيــرهم من أنبياء الله. ولذلك فإنني لم أحفل بكلام الناس، وكنت كلما توفي زوج فتشت عن زوج آخر. قولوا لي أيها الناس لماذا خلقت أعضاء التناسل؟ فهل خلقت للتــبول فقــط؟! كلا! لقد خلقت للتناسل والمتعة. أو لم يرد في الكتاب المقدس أنه يجب على الزوج أن يقوم بواجبه الجسدي نحو زوجته؟!

وهنــا أنــا أقــص عــليكم حكاية زواجي بكل صدق وصراحة؛ وأرجو ألا تشــمئزوا مــن صراحتي فقصدي هو الترفيه عليكم كذلك. كان ثلاثة من أزواجي مســنين، ولكــنهم كانوا أثرياء ومواطنين صالحين. وكان اثنان منهم قساة أشراراً. وكــان الــثلاثة الأوائل لا يقدرون على أداء واجبهم نحوي إلا بمشقة لكبر سنهم. وكانوا يشعرون بإنهاك طوال الليل لما يبذلون من جهد عند مضاجعتي. ومن حق زوجــي أن يتمــتع بجســدي، ولكنه يجب أن يكون مطيعاً، وأن ينفذ مطالبي ولو أزعجه ذلك وأتعسه.

والحق أقول إنه بعد أن منحنى الثلاثة الأوائل أموالهم وعقاراتهم، لم أعد في حاجة للتودد إليهم ولا لبذل أي جهد لإرضائهم . وكانوا يشعرون بالغبطة والسعادة إذا عاملتهم بلطف، ويجلبون لي مزيداً من الهدايا. أيتها الزوجات التعسات، اسمعن نصيحتي، وتعلمن كيف تلجأن للحيلة والمخادعة للسيطرة على أزواجكن. إن المرأة

تــتقن الكذب والمراوغة وأساليب القسم والتذمر والتحسر أحسن من الرجل، وهذا يساعدها على نيل ما تريد لأنه ينكد حياة زوجها.

لقــد سيطرتُ على أزواجي الثلاثة المسنين، وكنت أوجههم، حسب الحاجة، بالأســلوب المناســب. أســتعمل الــلين والملاطفة حيناً، والحيلة والمراوغة تارة، والجرأة والشدة والعناد أحياناً أخرى. كنت أبدأ بالشكوى ولو كنت مخطئة، وأتهمهم بــأنهم يحــبون غيــري ويسهرون مع [illegible] مع علمي أنهم منهكون بسبب الشيخوخة ومضاجعتي.

وقد منحني الله دهاء فطرياً؛ والقدرة على الكذب والمراوغة، فساعدني على امــتلاك قــلوب هؤلاء الأشقياء الثلاثة وأموالهم. وكنت أتظاهر بالمتعة معهم في الفــراش، وألاطفهــم ولو كانت نفسي تشمئز من مضاجعتهم. ولكنني كنت أستغل فرصة العناق في الفراش فأرفض لهم بقية المتعة حتى أحصل على ما أريد. وكان مــنهم مــن يظهــر بمظهر الأسد في البداية، ولا يستسلم لطلبي بسهولة، غير أن رغبته الشديدة في التمتع بجسمي الجميل تجعله يستسلم مثل الخروف.

أمــا الــزوج الرابع فكانت له عشيقة يلتمس المتعة معها. فلجأت إلى إثارة الغيــرة فــي قلــبه، ورحت أنتهز فرص لقائنا مع أصدقائه، وأعاملهم بلطف زائد وإغــراء يلهب مشاعرهم؛ وأقسم إنني لم أضاجع واحداً منهم. وكان زوجي التعس يشــتاط غيظاً من شدة الغيرة. ولا أنسى أن دفنه كلفني غالياً لأنه كان يحب البذخ. فليــنزل الــرب الرحمة على روحه. وكان زوجي الخامس قاسياً في معاملتي ومع ذلــك كنت أحبه حباً شديداً. وحتى عندما يضربني كان يحظى برضائي بعد قليل. ومــن الغــريب أن النساء يحببن الرجل الذي يصعب إرضاؤه ، لأن ذلك يخولهن اللجوء إلى الإغراء والحيلة لإرضائه أو السيطرة عليه.

ولــم يكــن الزوج السادس يتجاوز العشرين، بينما كنت قد بلغت الأربعين. غيــر أن جسمي كان جميلاً وشهواتي عارمة. ولم يكن هذا الزوج غنياً، بل طالبا فــي جامعة أكسفورد. وكان شاباً لطيفاً ومؤدباً، وكنت قد جمعت ثروة لا بأس بها مــن أزواجــي الســابقين. وقــد أصــبحت ذات خبرة، متمرّسة بشؤون الرجال.

واستسلمت بكل جوارحي لهذا الشاب القوي، وسلمته جميع أموالي وعقاراتي. غير أن حكايتي معه كانت حزينة.

فقد جلس ذات ليلة كعادته يقرأ كتاباً يروى حكايات كثيرة عن نساء شهيرات تسببن في شقاء أزواجهن وهلاكهم. منها قصة حواء التي أغرت آدم وأخرجته من الجنة إلى دار العناء والشقاء، وتسببت في تعاسة ذريته حتى يومنا؛ وقصة شمشون الذي قصت عشيقته شعر رأسه، ففقد قوته وبصره؛ وقصة هيركول (هرقل) الذي تسببت زوجته في هلاكه؛ وسقراط العظيم الذي سكبت زوجته البول على رأسه؛ وليفيا التي سممت زوجها؛ ولوسيا التي سقت زوجها شراباً مثيراً للشهوات كي يبقى معها طول الوقت، فمات بسبب هذا الشراب.

وحكاية لاتوميوس الذي ذكر لصديقه آريون أن ثلاثا من زوجاته شنقن أنفسهن في شجرة في حديقته، فقال صديقه "أرجوك أن تعطيني غصناً من هذه الشجرة أغرسه في حديقتي".

واستمر زوجي الشاب يتحدث عن غدر الزوجات وخيانتهن، مستشهداً بأمثال كثيرة. وساءني جداً أن يذكر كل هذه الأخبار السيئة عن النساء، فأخذت الكتاب المشؤوم ومزقت منه ثلاث صفحات . وفاجأني الشقي بضربة قوية على رأسي فوقعت على الأرض، وبسببها فقدت السمع بإحدى الأذنين. وأسرع فاعتذر عما فعل، فلطمته بقوة على وجهه. وفي النهاية وافق على أن يحرق ذلك الكتاب اللعين، وأن يسلم لي سلطة إدارة المنزل والأراضي التي كنت أملكها. ولما نجحت في السيطرة على الأمور بقيت مخلصة له. وأسأل الرب أن ينزل مزيداً من الرحمة على روحه.

◈ الحكاية التي تقصها المرأة من "باث"

تبدأ حوادث هذه القصة في قصر الملك آرثر؛ حيث اغتصب أحد الفرسان امرأة فحكم عليه بالإعدام. وطلبت الملكة من الملك أن يعفو عنه، فوضع هذا الأخير حياة الفارس بين يديها. وأبلغت الملكة هذا الفارس بأنها ستعفو عنه إذا أجاب على السؤال: "ما هو الأمر الذي ترغب فيه المرأة أكثر من أي شيء آخر". وأمهلته مدة عام ويوم ليعود إليها بالجواب.

وزار الفارس أقطاراً كثيرة، وجال شرقاً وغرباً، ولكنه لم يجد شخصين متفقين على جواب واحد على السؤال المذكور. وفي طريق عودته إلى قصر الملك آرثر، شاهد ذات يوم مجموعة من النساء يرقصن في غابة؛ ولما اقترب منهن ليسألهن السؤال نفسه، اختفين جميعاً فجأة، وظهرت له عجوز شمطاء. طرح عليها الفارس السؤال فقالت بأنها ستعطيه الجواب إذا عاهدها بأن ينجز ما تطلب منه. وافق على طلبها فأسرت له بكلمة في أذنه وواصل طريقه.

وفي القصر أعلن الفارس، أمام الملكة والمجتمعين، بأن الشيء الذي ترغب فيه المرأة دائماً هو أن تسيطر على زوجها. وافقت النساء على أن هذا هو الجواب السليم، ونال الفارس حريته. وفجأة ظهرت له العجوز الشمطاء وطلبت منه أن يفي بوعده ويتزوجها. عبثاً حاول أن يرضيها بأي حل آخر، ولكنها أصرت على الزواج. تزوجها الفارس وفاء بوعده؛ وعندما اختلى بها سألته ما إذا كان يرضى بها كما هي عجوز قبيحة ولكن وفية، أم يريدها صغيرة السن جميلة ولكنها مستهترة. فكر الفارس ملياً ثم قال إنه يضع أمره بين يديها ويترك لها الاختيار. وفجأة تحولت إلى فتاة رائعة الجمال، وأقسمت له إنها ستكون زوجة وفية مخلصة، لأنه ترك لها الاختيار ولم يفرض إرادته عليها. وعاشا سعيدين إلى آخر حياتهما.

◈ الحكاية التي يقصها بائع شهادات الغفران :

كـــانت مجموعـــة مـــن الشـــبان في إحدى مدن فلاندرز (FLANDERS) منغمســـين فـــي شـــرب الخمـــر ولعب القمار ومعاشرة العاهرات، متنافسين على ارتكـــاب المعاصـــي. وذات يوم سمعوا بموت صديق لهم، فأقسموا أن ينتقموا من المـــوت وراحـــوا يبحثون عنه. وفي طريقهم عثروا على رجل مسن أخبرهم بأن المـــوت يوجد تحت شجرة في غابة مجاورة. فسخروا منه، وقصدوا تلك الشجرة. وجدوا عند الشجرة كنزاً من الذهب ألهاهم عن هدفهم. اتفقوا على أن يتركوا الكنز حـــتى يـــأتي الليل لكي لا يثيروا شكوك الناس. وأرسلوا أحدهم إلى المدينة ليأتيهم بقليل من الأكل والشراب.

أثـــناء غيابـــه اتفق رفيقاه على قتله عند رجوعه لينفردا باقتسام الكنز دونه. وفكـــر صاحبهما كذلك في أن يقتلهما لينفرد بالكنز، فوضع سمّا في زجاجتين من الخمـــر وعـــاد إلى رفيقيه. وما إن حضر حتى هجما عليه وقتلاه، ثم جلسا للأكل والشراب مبتهجين بكنزهما. ولكن الموت كان لهم جميعاً بالمرصاد تحت الشجرة، كما قال الرجل.

◈ الحكاية التي يقصها ناظر الضيعة :

كـــان طحـــان يعيش قرب مدينة كمبردج، وكان عمله ناجحاً لأنه اعتاد أن يسرق من الحبوب التي يجلبها الزبائن إلى طاحونته. وكان له ابنة عمرها عشرون ســنة وطفــل لــم يــتجاوز ستة أشهر من عمره. وذات يوم حضر إلى الطاحونة طالــبان، جون وألان، وقررا أن يلتزما الحذر لكي لا يسرق الطحان من دقيقهما. وفكر هذا الأخير في حيلة يخدعهما بها، ففك رباط حصانهما وعاد إلى عمله. ولما خـــرج الطالبان ليفتشا عن الحصان، سرق الطحان بعض الدقيق وطلب من زوجته أن تصنع منه خبزاً.

وكـــان الليل قد خيم على القرية عندما عاد جون وألان بالحصان مرهقين، وطلــبا مـــن الطحـــان أن يأويهما حتى الصباح. وأرسل هذا الأخير ابنته لتأتيهما بـــبعض الطعام، وآوى كل إلى فراشه. ولما تعالى شخير الزوجين تسلل ألان إلى فراش الفتاة وتمتع بها إلى آخر الليل، أما رفيقه جون فقد لجأ إلى الحيلة. لاحظ أن مهـــد الطفـــل أمام سرير أبويه فجذبه بالقرب من فراشه وبقي منتظراً. أثناء الليل قـــامت زوجة الطحان وذهبت إلى المرحاض، وعند عودتها راحت تفتش عن مهد الطفل الذي كان قريباً من سريرها. كان الظلام دامساً، ولم يخطر ببالها أن الطالب وضـــعه بالقـــرب من سريره. واضطجعت في فراش جون الذي قضى معها وقتاً ممتعاً، ولا شك أنها سعدت هي الأخرى بين أحضان الضيف الشاب.

نهـــض ألان ليهمس في أذن رفيقه جون عن مغامرته مع الفتاة، ولما لمس مهد الطفل أمام سريره ظن أنه سرير رب المنزل، فتسلل إلى السرير الآخر وراح يهمـــس في أذن رب البيت (وهو لا يدري) بما فعله مع ابنة الطحان طوال الليل. وهجم عليه هذا الأخير واشتد العراك ، واختلط الحابل بالنابل في ظلام الليل. وفي النهاية نجح الطالبان في الفرار بالدقيق والخبز وهما معجبان بمغامرتهما.

❖ الحكاية التي يقصها التاجر :

كــان يعيش في مدينة بافيا بولاية لومبارديا (إيطاليا) تاجر غني. عاش حياة اللّهو والمتعة ولم يتزوج حتى بلغ الستين من عمره. عندئذ بدأ يفكر في البحث عن امــرأة تسـعده ويقضـي برفقتها بقية حياته. وشجعه على الزواج ما سمع من أن الــزوجة الطيــبة الصالحة تجعل حياة زوجها مفعمة بالراحة والهناء. وجاء اليوم المنــتظر، وحضــر الأصــدقاء حفل زواج التاجر، وتمنوا له حياة زوجية حافلة بالمسرات.

كــان للتاجر غلام يخدمه ويرعى مصالح منزله ويسهر على راحته، شاب عــرف فيه الوفاء والإخلاص. غير أن الغلام، واسمه دميان، سرعان ما وقع في حــب الزوجة الفتية الجميلة، فأصبح يتحين الفرص ليتحدث إليها، ويعرب لها عن حــبه لها وإعجابه بها. ولما علمت الزوجة "مايو" بذلك امتلأ قلبها عطفاً على هذا الشــاب الــلطيف وأبلغته أنها ترغب في لقائه سرّاً. وازداد الشاب تفانياً في خدمة ســيده حــتى لا يشعر بأي تغير في سيرته. وكان للتاجر حديقة عالية أسوارها لا يمــلك مفتاح بابها غيره. وكان يتجول فيها صيفاً برفقة زوجته، ويقضيان لحظات ممتعة بين الأشجار والحشائش والزهور.

أصــيب التاجر بمرض عضال فقد بصره على إثره، فساءت حالته النفسية، وأصــبح يغــار على زوجته، ويخشى أن يلعب بقلبها رجل آخر. وقد كانت مايو صــغيرة السن، رشيقة القد، ذات جمال ساحر. وفي يوم من أيام الصيف الجميلة، دخل التاجر مع زوجته إلى الحديقة ليقضيا لحظات سعيدة على انفراد. وكانت مايو قــد احــتالت على زوجها وصنعت مفتاحاً لباب الحديقة سلمته للخادم دميان. وفي ذلــك اليــوم أشارت إليه بأن يدخل الحديقة قبلها. ودخلت مايو تقود زوجها خلال ممــرات الحديقة، تحدثه عما تشاهد من زهور وأشجار. وراح هو يعرب لها عن حــبّه، ويطمئنها على مستقبلها. وشاهدت مايو دميان وراء شجرة فأومأت إليه أن يتسلق شجرة الكمثرى.

حـــدث في ذلك اليوم أن نزل "بلوتو"؛ ملك الجن، وزوجه إلى حديقة التاجر ليشـــاهدا مـــا يجري فيها. فاغتاظ بلوتو من خيانة مايو لزوجها الأعمى المسكين، وقال لزوجه إنه سيعيد له بصره ليعرف ما يجري حوله. فردت زوجة الجن مهددة بأنـــه إذا فعل ذلك ستمنح زوجة التاجر، وجميع النساء بعدها، القدرة على اختلاق الأعذار واللجوء للحيل للدفاع عن أنفسهن.

أمـــا مايو فقد جلست وزوجها تحت شجرة الكمثرى، وطلبت من زوجها أن يساعدها على تسلقها لقطف بعض الثمار. فانحنى التاجر، وقفزت مايو على ظهره فتسـلقت الشجرة. وبينما كان دميان يعانقها ويقبلها بحرارة ولكن بهدوء، ظلت هي تحدث زوجها وتنشد له أناشيد الحب. وبين أغصان شجرة الكمثرى وثمارها أشبع دميان ومايو رغبتهما.

وأشــفق بلوتو على التاجر فأعاد إليه بصره. وما إن شاهد منظر العاشقين حـــتى صـــاح وشتم ولعن وتوعد. غير أن زوجته طلبت ألا يستعجل في تفسير ما شهد حتى تشرح له حقيقة الأمر. ولما نزلت أكدت له أن ملكة الجن طلبت منها أن تتصـــارع مع شاب فوق رأس زوجها لتعيد إليه بصره. وأضافت أن ما شاهده إنما هـــو مـــن خداع البصر، لأنه لا يمكن أن يرى الأشياء على حقيقتها إلا بعد مرور فـــترة عـــلى اســـترجاع بصره. وقالت له "إن ما شاهدته وهم، فاصبر قليلاً، فكر بعقلك، ولا تسئ الظن بزوجتك التي تحبك، دع بصرك ينال قسطاً من الراحة، فقد تعـــبت وقاســـيت مدة طويلة، والآن ستعود المياه إلى مجاريها". ومدت يديها نحوه فضـــمّها إلى صـــدره، وأغمـــض عينيه وهو يقبلها ويلمس كل عضو من جسدها الغض برفق وحنان.

◈ الحكاية التي يقصها البحار :

كان يعيش في قرية من سان دينى، بالقرب من باريس، تاجر غني. وكانت له زوجة فتية ذات جمال. وكان يتردد على منزل التاجر صديق شاب اسمه جون، وسيم الطلعة، يقول إنه من أقرباء التاجر. وكان هذا الأخير يقدر صداقته ويرحب به في منزله. وذات يوم عزم التاجر على السفر، فطلب من الصديق جون أن يزوره ليقضيا معاً بعض الوقت. وفي الصباح الباكر دخل التاجر مكتبه ليراجع حساباته، ويعد قائمة بضاعته. ونزل الصديق ليتجول في البستان، فلحقته الزوجة ودار بينهما الحديث التالي :

الصديق : أنا سعيد لوجودي في منزلكم. أرى أن صديقي يبذل قصارى جهده لإسعادك. غير أنني ألاحظ مسحة حزن على وجهك الجميل.

الصديق : ليس من حقي أن أشكو من زوجي، بل يجب أن أرضى بنصيبي.

الصديق : كأن لك سراً يزعجك يا ابنة العم. تعالي، صارحيني بمشكلتك، فأنا لست غريباً، أعدك أني سأحفظ سرك حتى الموت.

الزوجة : لا أدري كيف أبوح لك بالسر، وهو يتعلق بحياتي الخاصة مع زوجي. وأكثر ما يمكن أن أقوله لك هو أنه بخيل جداً. ولعلك تعرف أن المرأة ترغب في أن يعطيها زوجها ويكرمها بالهدايا، وأن يكون نشطاً في الفراش. وأقسم لك إنني اقترضت مائة فرنك، وعلي أن أردها يوم الأحد القادم؛ ولكن من أين لي هذا المبلغ. ولو علم زوجي بهذا لكانت الفضيحة. ولذلك أرجو أن تقرضني مائة فرنك لأردّ ديني ، وأعدك بأنني سأجازيك أحسن الجزاء، وسأقدم لك أي خدمة ترغب فيها.

حان موعد سفر الزوج، فانفرد به صديقه الصديق وراح ينصحه، ويدعو له بالتوفيق في تجارته، مؤكداً أنه مستعد أن يقوم بأي خدمة يوصيه بها. وفي النهاية سأله أن يقرضه مائة فرنك يعيدها له عند رجوعه سالماً إن شاء الله. وفي اليوم التالي عاد الصديق من باريس إلى القرية، وقد تزين ولبس أحسن لباسه. ورحبت

بـــه الزوجة، فقبلها وقدم إليها مائة فرنك ، فعانقته وسمحت له أن يقضي الليل في فراشها.

وبعـــد أن رجـــع التاجر من رحلته التقى بصديقه الصديق جون في باريس، فـــرحب بـــه وشكر الله على عودته سالماً، ثم أخبره أنه أعاد مبلغ المائة فرنك إلى زوجـــته أثناء غيابه. ولما وصل الزوج إلى منزله لقيته زوجته مرحبة به فلاطفها وداعبها، ثم عاتبها لكونها لم تخبره بأن جون أعاد إليها المائة فرنك التي اقترضها منه.

احـــتفظت الزوجة بهدوئها وقالت: أليس السيد جون من أقاربك؟ لقد ظننت أنـــه قـــدم لي ذلك المبلغ إكراماً لك لكي أشتري لي وللمنزل ما يبهج نفسك ويزيد راحـــتك. وعـــلى أيّ حال اعتبر هذا المبلغ دينا على ذمتي سأرده لك بالتقسيط في الفـــراش، ولك أن تتمتع بجسدي متى تشاء وكيفما تشاء. ورأى الزوج أنه لا فائدة مـــن الـــنزاع وقد أنفقت المبلغ كله، فأوصاها أن تكون حذرة في المستقبل وصفح عنها.

◈ أورلاندو العاشق (للكاتب الإيطالي ماتيو ماريا بوياردو)

تحضـــر الفـــتاة الفاتنة أنجليكا إلى بلاط الملك شارلمان في فرنسا، يرافقها أخوها أرغاليا. يقع في غرامها كل من الفارسين أورلاندو، وابن عمه رانالدو. بعد موت أخيها ترحل الفتاة نحو الشرق، فيترك الفارسان الجيش ويلتحقان بها. يشرب رانـــالدو من نبع مسحور فيتحول حبه لانجيليكا إلى كراهية. بينما تشرب الفتاة من نبع الحب فتزداد حبا له وشغفاً به. ويظل الفارس الآخر، اورلاندو، على حبه لها، ويسارع للدفاع عنها عندما يجدها محاصرة في إحدى الثكنات.

وبعـــد مغامـــرات عديدة تعود أنجليكا والفارس اورلاندو إلى فرنسا لتكون بالقـــرب مـــن الفارس الذي تحبه رانالدو. وفي طريق العودة تنقلب الأوضاع، إذ تشـــرب الفتاة من نبع الكراهية فتكره هذا الأخير، بينما يشرب هو من نبع الحب، فيحبها حباً شديداً، ويتبارز مع ابن عمه اورلاندو من أجلها.

أما الملك شارلمان فيفكر في الآثار السلبية التي قد يحدثها النزاع بين هذين الفارســين عـــلى حـــربه ضد المسلمين. ولذلك يقرر أن يحجز الفتاة أنجيليكا في قصره، ويعد بها من الفارسين من يبلى أحسن البلاء في المعركة ضد المسلمين[1].

(1) توفي الكاتب قبل أن يتم القصة.

◈ دون كيشوت (للكاتب الأسباني سيرفا نتيس)

دون كيشوت رجل فقير طيب القلب كريم الأخلاق. اختل تفكيره بعد أن قرأ قصصاً عن حياة الفرسان وإنجازاتهم ومغامراتهم، فخيل إليه أنه مدعو كذلك لمساعدة المظلومين.ومحاربة الجبابرة، ونصرة الحق. فلبس درعاً قديماً، وامتطى جواداً نحيلاً، واتخذ امرأة من قرية مجاورة، اسماها دولشينا، لتكون سيدة قلبه ومصدر إلهامه. كما اختار رفيقاً اسمه سانشو جمع بين السذاجة والدهاء، يغريه دون كيشوت بأن يجعله حاكماً لإحدى الجزر. وأثناء رحلته يخيل لعقله المختل أن الأشياء الماثلة أمامه أشباح مخيفة أو فرسان أشرار يجب قتلهم. ويرمي دون كيشوت بنفسه في مغامرات تنتهي بعواقب وخيمة على شخصه.

ومن المواقف الشهيرة في القصة لقاء بطل القصة مع الطاحونة التي يرى فيها عملاقاً طاغية يجب القضاء عليه. ويحاول رفيقه سانشو أن يقنعه بعكس ذلك؛ ولكن دون كيشوت يهجم على الطاحونة.

وأخيراً، بعد أن يواجه البطل مغامرات عديدة مؤلمة ، يشفق عليه أحد أصدقائه فيواجهه في شكل فارس ينازله ويتغلب عليه، ويطلب منه أن يمتنع مدة سنة عن مغامراته. عندئذ يقرر دون كيشوت أن يعيش حياة الرعاة، غير أنه يصاب بمرض في طريق عودته إلى قريته، ويموت.

◈ الدكتور فاوستس (للكاتب الإنكليزي مارلو)

الدكـــتور فاوســـتس جـــالس فـــي مكتبه يحدث نفسه عما حصّل من علوم، ويتســـاءل عـــن جدواها: "المنطق"؟ لا تزيد فائدته عن كونه يعلم الإنسان أساليب الجـــدال. وما فائدة "الطب"؟ قد يشفى المريض وقد يقتله، وعلى كل حال لا ينجيه مـــن الموت. أما "القانون" فغايته أن يعالج مسائل تافهة دون أن يرضى الطرفين. ومـــا فـــائدة تعاليم الديانة؟ فها هو ذا الإنجيل يعلمنا أننا جميعاً مذنبون، وأن الذنب جزاؤه الموت. يا للخسارة! إن كل ما تعلمته لا يفيدني شيئا. فلم لا أجازف في علم السحر؟ أجل علم السحر والشعوذة قد يخلق العجائب.

وفـــي هذه اللحظة يدخل عليه ملك الخير وملك الشر، ويحاول كل منهما أن يؤثـــر على قراره. ويقرر الدكتور فاوستس أن يتمسك بطموحه ويحقق مشروعاته الشـــيطانية. يـــنكب على قراءة أوراق تحتوي ألغازاً وعبارات سحرية، فيظهر له الشـــيطان فـــي صـــورة راهب. يعرض فاوستس عليه أن يبيعه روحه، إذا وافق الشـــيطان على أن يشبع جميع رغباته. ويعود ملك الخير وملك الشر إلى فاوستس فيسعى كل منهما جهده ليسيطر على قراراته.

يرجع إليه الشيطان فيبلغه أنه موافق على طلبه، وأنه سيسهر شخصياً على تلـــبية رغـــباته، إذا وافـــق على التوقيع بدمه على اتفاق يعقد بينهما. وأول رغبة يطلبها فاوستس من الشيطان هي أن يأتيه بامرأة جميلة. بعد ذلك يعلمه كيف يدعو شـــياطين أخرى لخدمته، وكيف يصنع البرق ويخلق العواصف والأعاصير. وكلما ظهر ملك الخير يدعوه للتوبة، يسارع إليه الشيطان ليذكره بالاتفاق الذي وقع عليه بدمه، وبأنه لم يبق له أمل في دخول الجنة.

يذهـــب الدكـــتور فاوســـتس في رحلة عبر العالم ، ويطلب من الشيطان أن يجعلـــه غير مرئي. وأثناء زيارته لروما ينزل ضرباً على بعض الرهبان، ويدخل على البابا (وهو لا يراه) فيسرق طعامه. ويعرب للشيطان عن رغبته في أن يشاهد

هيــلين الجميلة التي اشتعلت حرب طروادة بسببها، فيعجب بجمالها، ويصيح "أهذا هو الوجه الذي جند ألف سفينة؟!".

وعندما لم يبق له من حياة المتعة والسلطة سوى أربع عشرة ساعة، قبل أن يزهق الشيطان روحه، ندم على أفعاله وحاول أن يتوب، وتمنى أن يفعل أيّ شيء ليخرج في النهاية من قبضة الشيطان، ولكن لات حين مناص.

◈ من مسرحيات شكسبير روميو وجوليت :

روميــو شـــاب مـــن عائـــلة مونتاغو ، يحضر مقنعاً حفلة في منزل عائلة كابوليت، وبين الأسرتين عداوة قديمة وحقد شديد. يلتقي بجوليت فيتحابان من أول نظـــرة. وتقســـم جوليت إنها لن تتزوج غيره، رغم علمها بأنه من أسرة مونتاغو. يذهب روميو إلى صديقه الراهب لورانس، ويطلب منه أن يساعده على الزواج من جوليـــت. يوافـــق الـــراهب آمـــلاً أن يســـاعد هذا الزواج على إنهاء العداوة بين الأســـرتين. وتذهب مربية جوليت خفية إلى روميو لترتيب اللقاء بين الحبيبين في غرفة الراهب الذي يزوجهما في اليوم نفسه.

يضـــطر روميـــو لمبارزة تيبالت (من أسرة كابوليت)، ويقتله؛ ويجبر على مغـــادرة المديـــنة (فيـــرونا) لأن الأمير حكم بذلك. أثناء ذلك قرر أهل جوليت أن يزوجوها باريس. واتفقت جوليت مع الراهب على أن تتناول مشروباً يجعلها تبدو وكأنها ميتة لمدة أربعين ساعة، ثم يحملها إلى سرداب الموتى، ويخبر روميو بذلك ليأخذهـــا. غيـــر أن رســـول الراهب لا يبلغ الرسالة. ويأتي الخبر إلى روميو بأن جوليـــت ماتت ودفنت، فيسرع إلى قبرها ويتناول جرعة من السم ويسقط ميتاً على صدرها.

يسرع الراهب لورانس لينقذ جوليت في انتظار وصول روميو، ولكنه يجده ميـــتاً. وتســـتفيق جوليـــت، ويحاول الراهب إخراجها من المقبرة فترفض. يهرب الـــراهب من هذا الموقف الحرج، وتنتحر جوليت بخنجر روميو. تصل الأسرتان فتشـــاهدان مغـــبة الحقد والعداوة، وتتعاهدان على الصداقة، ويبنيان نصباً تذكارياً للحبيبين[1].

---

(1) مغزى هذه القطعة هو أن العداوة والحقد يحطمان حياة الأبرياء، وأن الحب ينتصر ولو بالموت.

◈ تاجر البندقية :

يضطر أنطونيو لاقتراض مبلغ من المال من عدوه شايلوك اليهودي، لمساعدة صديقه بوسانيو. يشترط شايلوك على انطونيو أنه في حالة عدم الوفاء بدفع المبلغ في التاريخ المحدد، يقتطع رطل لحم من جسده؛ ويكتبان بذلك عقداً.

تحدث ظروف تمنع أنطونيو من الوفاء بوعده، فيطالب شايلوك القضاء بتنفيذ الشرط المتفق عليه، وقطع رطلٍ من لحم أنطونيو. وتتنكر بورشا، وهي حبيبة الصديق الذي ساعده أنطونيو، في لباس القاضي الذي يحاكم هذا الأخير، وتصدر حكماً ضد شايلوك، وتنجح في إنقاذ الرجل الذي أحسن لصديقها[1].

---

(1) مغزى هذه القطعة هو أن الرجل الشرير لا يمكنه أن يتغلب على الرجل الصالح الذي قدم خدمات عديدة لأصدقائه.

◈ يوليوس قيصر

يوليوس قيصر رجل طموح، حقق بانتصاره في الحروب شعبية كبيرة، وأصبح ذا سلطة عظيمة في روما. وخشى مجموعة من النبلاء أن يصبح دكتاتوراً، ويقضى على حرية الشعب الروماني فتآمروا عليه ليتخلصوا منه. ومن هؤلاء بروتوس، وهو رجل وطني، ظل متردداً بين حبه للقيصر وانضمامه للمتآمرين. وأخيراً يقنعه كاسيوس، وهو رجل أناني طموح.

وفي قاعة مجلس الشيوخ أحاط المتآمرون بيوليوس قيصر، متظاهرين في البداية بأنهم يريدون أن يعرضوا عليه مشروعاً. ثم نزلوا عليه طعناً بالخناجر. بعد قتل القيصر، يخطب بروتوس في الناس فيقنعهم بأن التخلص من القيصر كان من أجل المصلحة العامة. ثم يخطب بعده مارك أنطونيو فيقنع الناس بأن القيصر كان صديق الشعب، ويثيرهم ضد المتآمرين.

يوحد أنطونيو قواته العسكرية مع جيش أكتافيوس، القيصر الشاب، لمحاربة جيش المتآمرين الذي ينهزم في المعركة. وينتحر بروتوس وكاسيوس خشية أن يقبض عليهما[1].

---

(1) مغزي هذه المسرحية هو أن الثورة الدموية ليست السبيل الوحيد لإصلاح أمور الدولة.

◈ عطيل :

عطيل لواء في جيش دولة البندقية، يتزوج ديسدمونيا سرّا بسبب معارضة أبيها. يرسل عطيل إلى قبرص، قائداً للجيش لمحاربة الأتراك، وترافقه زوجته. يرقى عطيل الشاب كاسيو إلى رتبة ملازم أول، ولكن ياغو يعتقد أنه أولى بهذه الترقية، ويبدأ في التخطيط للانتقام من عطيل، يبدأ بتشكيكه في وفاء زوجته له، ويستخدم جميع الحيل لإقناعه بخيانتها له.

أولاً يوقع كاسيو في عمل يجعل عطيل يجرده من رتبة الملازم، وفي الوقت نفسه ينصحه بأن يستنجد بزوجة عطيل لتتدخل لدى زوجها كي يعيد له رتبته، فتوافق. ثانياً يطلب ياغو من زوجته أن تسرق من زوجة عطيل منديلا ثميناً كان أهداه لها، ويدبر المناسبة لكي يشاهد عطيل منديل زوجته لدى كاسيو. ثم يدبر موقفاً آخر يمكن فيه عطيلاً من أن يسمع (من وراء الحجاب) كاسيو يفتخر بحب "هذه المرأة وشغفها به". ولم يكن في الواقع يتحدث عن زوجة عطيل.

يتأكد عطيل من خيانة زوجته فيطلب من ياغو "الوفي" أن يقتل كاسيو، ويتجه هو نحو منزله فيقتل زوجته، ويخرج للناس فيبلغهم بسبب قتله لها. تسمع زوجة ياغو الخبر المؤلم فتفضح مناورات زوجها. يصاب عطيل بصدمة عندما يكتشف أنه قتل زوجته البريئة فينتحر بخنجره.

◈ الملك لير :

يقرر الملك لير المسن تقسيم مملكته على بناته الثلاث، فيسألهن: "من منكن أشــد حــباً لــي؟" تجيبه الكبرى "أحبك أكثر من ثروة العالم كله، أكثر من عيني". فيعطيهــا المــلك ثــلث المملكة. وتجيب الوسطى أن حبها أشد وأعمق مما ذكرته أختها، فيعطيها ثلث مملكته. يأتي دور البنت الصغرى، كورديليا، وهي أقربهن إلى قلب أبيها وأعزهن عليه، فتجيب، وقد أغضبها ما سمعت من نفاق أختيها "ليس لي جواب على سؤالك يا أبي". ويتعجب الملك ويكرر سؤاله، فترد عليه بنفس المعنى.

يشــتد غضــب المــلك فيوزع الثلث الباقي على ابنتيه، ويشترط عليهما أن يحــتفظ لنفســه بمائة فارس، وبلقب الملك، وأن يقيم وفرسانه مع ابنتيه، بالتناوب. يعجــب مــلك فرنسا بكورديليا ويتزوجها. وتمر الأيام، وسرعان ما تضيق البنتان ذرعا بأبيهما "الملك"، فتختلقان الأعذار للتخلص من فرسانه أولاً، ثم منه بعد ذلك ، وأصبح الملك يطوف في الخلاء لا يجد من يأويه.

وتأتي كورديليا من فرنسا بجيش لإنقاذ أبيها الذي أصبح مجنوناً. وتعتني به وتلبسه لباس الملك، وتوصي طبيبها بمعالجته. يعود الملك إلى وعيه، وينحني على ركبــتيه ليطلب من ابنته أن تسامحه، فتلاطفه وتمنعه من الانحناء أمامها. غير أن الجيــش الإنجليزي يكسب المعركة، وتقع كورديليا والملك في الأسر. وفي النهاية تشــنق كورديليا ويموت أبوها وهو يبكي عليها. وتسمم إحدى الأختين الأخرى، ثم تنتحر[1].

---

(1) مغزى هذه القطعة هو أن نكران الجميل شر شنيع يعود بالوبال على صاحبه.

◈ مكبث :

مكبث وبانكو هما لواءان في جيش الملك دنكان، ملك اسكتلندا، يعودان بعد تحقيـــق انتصار كبير في معركة ضد الثوار، ويلتقيان بثلاث عرافات تتنبأن لمكبث بأنـــه سيصـــبح حاكم كودور ثم ملك اسكتلندا، وتتبئن بانكو بأن أولاده سيصبحون مـــلوكاً. بعد ذلك بقليل يُعَيِّنُ الملك مكبث حاكماً لمقاطعة كودورّ، فيتحقق أول تنبؤ من تنبؤات العرافات الثلاث، وهذا يشجع اللواء مكبث على التخطيط ليصبح ملكاً.

ذات يـــوم يـــزور المـــلك مكـــبث في حصنه. وكانت لمكبث زوجة شديدة الطموح، تحرضه على اغتنام الفرصة وقتل الملك، فيفعل ذلك، وينصب نفسه ملكاً عـــلى اســـكتلندا. غيـــر أن للملك ولدين ينجوان من القتل. ويستأجر مكبث رجالاً للقضاء على القائد بانكو لكي لا ينافسه على الملك، فيقتلونه، ويهرب ابنه.

ويشـــتد انزعاج مكبث عندما يمثل أمامه شبح القائد بانكو أثناء مأدبة عشاء أعدهـــا لكـــبار النـــبلاء. ويحيط به اليأس فيعود إلى العرافات مستهديا بتنبؤاتهن، فيبلغنه بأنه سوف لا يصيبه أي أذى من ابن امرأة. أما زوجته فسيتولي عليها الندم ويقض مضجعها إراقة الدماء، فتسوء صحتها ويقضى نحبها.

وأثـــناء ذلك يحاصر القصر (قصر مكبث) الجيش الإنكليزي الذي يقوده ابن المـــلك المقـــتول دانكـــان، وقائد آخر اسمه مكدف. وينشب القتال بين هذا الجيش وجـــنود مكبث الذي يقاتل بشجاعة. ويلتقي أثناء المعركة بالقائد مكدف الذي يبلغه بأنـــه لـــم يولد من امرأة عادية ، فيفقد مكبث عزمه وشجاعته، ويقتله مكدف الذي ينصب ابن الملك المقتول ملكاً على اسكتلندا[1].

---

(1) مغزى هذه القطعة هو أن الطموح المفرط قد يجر البلاء على صاحبه.

◈ هملت :

كلاوديوس، عم هملت، يقتل أخاه ملك الدانمرك (أبا هملت)، ويتزوج بالملكة (أم هملت) ويستولى على التاج. يأتي شبح يؤكد الخبر لهملت، ويطلب منه أن ينتقم لأبيه من عمه. وتستولي الشكوك والتردد على هملت. ويتساءل عما إذا كان قول الشبح صادقاً. ويخاف الملك على نفسه فيرسل ابن أخيه هملت إلى إنكلترا ويوصي بقتله. ولكن هملت ينجو، ويعود إلى الدانمرك.

يخطط الملك لقتل هملت بسيف مسموم في يد رجل يبارزه، ويعد مشروباً مسموماً ليسقيه إياه إذا فشلت خطة المبارزة. تتناول الملكة المشروب خطأ فتموت. أثناء المبارزة يجرح المتبارزان كل منهما الآخر بالسيف المسموم، ويعترف مبارز هملت بالجرم الذي ارتكبه الملك. عندئذ يتأكد هملت من الحقيقة، ويطعن الملك عمه بالسيف المسموم(1).

(1) مغزى هذه القطعة هو أن الرجل الحساس المتردد لا يمكنه أن يقوم بعبء هام مثل الانتقام بالقتل.

◈ الفردوس المفقود (للكاتب الإنكليزي ملتون)

الشيطان ومن اتبعه من الملائكة في الجحيم، بعد أن خسروا معركة السماء. وهو يطلب من أتباعه أن يكونوا مجلساً لمناقشة خوض معركة أخرى. يبلغ الشيطان جنوده أنه علم أن الله خلق عالماً جديداً ومخلوقاً آخر. يوافق المجلس على الانتقام لأنفسهم بغواية المخلوق الجديد.

يذهب الشيطان للبحث عن آدم، يجد أمام أبواب الجحيم "الإثم" وابنته "الموت". يشاهد الله متجهاً نحو العالم الجديد، فيعرفه على (ابنه) المسيح الذي يقدم نفسه ضحية لإنقاذ بني الإنسان [1]. يصل الشيطان إلى الجنة، ويسمع حديث آدم وحواء عن شجرة المعرفة التي حرم الله فاكهتها عليهما. ويأتي الملك رفائيل فيحذر آدم من عدوه الشيطان.

يكلم الشيطان حواء من داخل الأفعى، ويقودها إلى شجرة المعرفة (معرفة الخير والشر)، ويقنعها بأن تأكل من ثمرتها. وتحدث حواء آدم، فيحتار ويتردد، ثم يفعل مثلها. عندئذ يفقدان براءتهما، ويغطيان عورتهما، ويحكم الله بإخراجهما من الجنة. ويرسل "ابنه" المسيح ليحكم على بني الإنسان. ويأتي الملك ميكائيل فيشرح لآدم بعض الحوادث التي تنتظر سلالته مثل الطوفان، وتجسيد المسيح[2]، وموته وبعثه.

---

(1) حسب اعتقاد المسيحيين.

(2) أى أن الله تجسد فى يسوع، وهى العقيدة المسيحية القائلة بأن الله حل فى يسوع.

◈ الفردوس المسترد :

بيـــنما المسيح سائحاً في الصحراء، وقد مضى عليه أربعون يوماً دون أكل، يأتيـــه الشيطان ويقول له: إذا كنت ابن الله حقاً، حوّل هذه الحجرة إلى قطعة خبز. فيرد المسيح : "أن الإنسان لا يعيش بالخبز وحده". يقوده الشيطان إلى جبل ويريه ممـــالك الأرض، ويعــده بها إن هو عبده، فيرفض المسيح. يأتي الشيطان بالمسيح إلى بيــت المقــدس ويقــوده إلى قمة المعبد، ويقول له: إذا كنت ابن الله حقاً فارم بنفســك من هنا، لن تصاب بضرر، لأن أباك سيحفظك من الأذى. ويجيب المسيح "لا ينـــبغي للإنسان أن يمتحن الله". هنا يعترف الشيطان بفشله في إغراء المسيح، ويختفي.

◈ من حكايات لافونتان :

◈ **الفلاح وأولاده** : شعر الفلاح بدنو أجله، فجمع أولاده وقال لهم لا تبيعوا قطعة الأرض الـتي ورثناها عن أجدادنا، لأن في جوفها كنزاً ثميناً لا أعرف مكانه، ولابـدّ أن تجدوه إذا بحثتم عنه. ولما توفي الأب راح الأولاد يحفرون الأرض ويحـرثونها مـرة تلو الأخرى، بحثاً عن الكنز. ولما يئسوا من العثور عليها، زرعـوا الأرض فجـاءت غلالهـا أضعاف ما كانت تغله. وفطن الأولاد إلى مغزى وصية أبيهم: العمل كنز.

◈ **عربة الخيل والذبابة** : توقفت الخيل في طريق وعر، ولم تقدر الخيول الستة على جرها، فنزل الركاب ليساعدوا على دفعها. وجاءت ذبابة فراحت تقفز من حصان إلى آخر، وهي تعتقد أن طنينها سينشط الخيل. وبعد جهد كبير اجتازت العربة الطريق الوعر، فطلبت الذبابة من الخيل أن يدفعوا لها أجر تعبها.

◈ **الحذاء ورجل الأعمال** : كـان الحـذاء فقيراً راضياً بنصيبه سعيداً مرتاح البال، يعمل ويغنّى طوال النهار في دكانه الصغير. وكان له جار، رجل أعمال ثري، يقضي نهاره قلقاً متوتراً، ولا يسعد بلذة النوم ليلاً. فجاء يوماً إلى الحذاء وسـأله : كم تربح في السنة ؟ أجاب الحذاء : لا أعرف، إنني أفكر في رزق يومي فقط. فأهداه مبلغاً كبيراً من المال وطلب منه أن يخفيه في مكان مأمون، لينفقه عند الحاجة.

لـم يصدق الحذاء أنه أصبح غنياً فأخفى ثروته، وراح يتفقدها كل يوم بل كان ينهض أحياناً ليلاً كلما سمع حركة مريبة . وبعد مدة بدأت تظهر عليه علامات القـلق والـتوتر، وجفاه النوم وراحة البال. وذات يوم ذهب إلى رجل الأعمال وقـال لـه: خذ مالك، وأعد إليّ راحة البال، أريد أن أغني كما كنت أفعل في دكاني الصغير.

◈ **الأسد والذبابة** : سخر أسد من ذبابة واحتقرها، فهجمت عليه تلدغه في الأماكن الحساسة، في عينيه ومنخريه وأذنيه. ولم تُجدِ الأسد أنيابه ومخالبه، فراح يضرب بذيله ويدور حول نفسه دون جدوى. أعلنت الذبابة انتصارها، وراحت تنتقل مسرورة من مكان إلى آخر فوقعت في بيت عنكبوت ولقيت حَتْفَهَا.

ومغزى الحكاية هو أنه ينبغي للمرء ألا يستخف بالخصم الضعيف ، وأنه قد ينجو من خطر عظيم ليلقى حتفه في حادث بسيط.

◈ **الأبله والحكيم** : كان رجل أبله يشتم رجلاً حكيماً ويرميه بالحجارة، فناداه الحكيم وقال له خذ هذه القروش مقابل تعبك ، ليس لي غيرها. ولكن انظر إلى ذلك الرجل الثري، لو رميته بالحجارة لنلت منه أضعاف ما حصلت عليه مني. فركض الأبله إلى الرجل الغني يشتمه ويرميه بالحجارة، ولكن سرعان ما هجم عليه الخدم وضربوه ضرباً مبرحاً.

المغزى : إذا لم تقدر على معاقبة من أساء إليك، حاول أن توقعه في حبال من يستطيع ذلك.

◈ **الأسد والذئب والثعلب** : مرض الأسد فجاءته الحيوانات تتمنى له الشفاء وتقدم النصائح لعلاجه، إلا الثعلب لم يمثل بين يديه. فقال الذئب للأسد: لا أرى الثعلب بين زوار ملك الغابة، وإنّي أتساءل ما الذي أخره؟ فأرسل الأسد من يأتي بالثعلب، وعلم هذا الأخير أن الذئب وشى به. قدم الثعلب اعتذاره للأسد قائلاً: أرجو أن يعذرني ملكنا، شفاه الله، إذا تأخرت عن زيارته. لقد ذهبت إلى الحج وكنت أدعو لكم بالشفاء كل يوم. وأثناء سفري التقيت بالعلماء والأطباء، فأخبرتهم بمرض جلالتكم، وأشاروا بأن أفضل علاج هو أن تأكلوا لحم الذئب وترتدوا جلده ليلاً وقاية من البرد. فأمر الأسد بأن يقتل الذئب حالاً لتنفيذ نصيحة الثعلب.

ومغزى القصة أنه على من يعاشر ذوي السلطة أن يحفظ لسانه، لأن من حفر حفرة لأخيه قد يقع فيها.

◈ **صاحبة الحليب** : بينما كانت فلاحة تحمل قدر حليب على رأسها، وهي في طـريقها إلى المديـنة لتـبيع حليبها، راحت تتخيل كيف أنها ستشتري بمبلغ الحـليب، مائة بيضة فتعتني بحضنها لتنتج مائة دجاجة؛ فتبيعها وتشتري أنثى خـنزير تنتج لها خنازير كثيرة؛ فتبيعها وتشتري بقرة تلد لها كل سنة عجلاً.. إلـخ فسرت بمنظر الأبقار في حقلها، وبدأت ترقص فرحاً فسقط قدر الحليب من على رأسها، وذهبت أحلامها مع الحليب المسكوب.

◈ **الغراب والثعلب** : بينما كان غراب فوق غصن يمسك في منقاره قطعة جبن، رآه ثعلب فدنا منه وحياه قائلاً : ما أجمل منظرك وألطف هندامك أيها الطائر الجميـل. ولـو كان صوتك جميلاً مثل منظرك لكنت حقاً سيد الطيور. وفتح الغـراب فاه ليسمعه صوته فسقطت قطعة الجبن. أكلها الثعلب وقال للغراب : اعلم يا سيدي أن المادح يعيش على حساب ممدوحه.

◈ **الذئب والحمل** : بينما كان حمل يشرب من جدول، جاءه ذئب وقال له: كيف تتجرأ على تعكير الماء الذي أشرب منه؟ فأجابه الحمل كيف أعكر ماءك وهو يـنحدر من الجهة التي تشرب منها نحو مكاني هذا ؟ فرد عليه الذئب: وزيادة عـلى ذلـك فقد شتمتني في العام الماضي! فأجاب الحمل: كيف يكون ذلك يا سـيدي، وأنا لم أولد إلا في هذه السنة!؟ فقال الذئب بصوت غاضب: على أي حال إن لم تكن أنت فقد شتمني أحد أقاربك؟ وهجم عليه فافترسه.

ومغزى هذه الحكاية : قانون القوي هو الصحيح دائماً.

◈ **الحمامة والنملة** : بيـنما كـانت حمامة تشرب من جدول إذ شاهدت نملة تتخـبط في الماء فرمت إليها قشة لتساعدها على الوصول إلى حافة الجدول. وطـارت الحمامـة إلى غصن شجرة مجاورة فرآها صياد، وبينما هو يستعد

لــرميها بســـهمه عضته تلك النملة في رجله، فطأطأ رأسه ليبعد الحشرة. في هذه اللحظة شعرت الحمامة بحركة الصياد ونجت بنفسها.

◈ **الثعلب والذئب والحصان** : شاهد ثعلب وذئب حصاناً لأول مرة، فاقتربا منه ليــتعرفا عــليه. حيــاه الثعــلب قائلاً: ما اسمك أيها الحيوان الجميل؟ أجاب الحصـــان: لقــد كــتب الحذاء اسمي على حافري يمكنك أن تقرأه يا سيدي. فاعتذر الثعلب لكونه لم يتعلم القراءة، قائلاً إنه يترك قراءة الاسم لرفيقه الذئب لأنـــه مخــلوق مثقف جداً. ابتهج الذئب بهذا المدح، وتقدم إلى حافر الحصان ليقــرأ اســمه، فركله الحصان ركلة حطمت أسنانه وألقته على الأرض يعوي مــن الألــم. فاقترب منه الثعلب وهمس في أذنه: ألم تسمع بالحكمة القائلة "لا تثق بمن لا تعرف".

◈ **الحيوانات مريضة بالطاعون** : أصاب الطاعون الحيوانات، فجمعها الأسد وخطــب فيها قائلاً : لا شك أن الله سلط علينا هذا المرض العضال لينتقم منا بســبب مـــا ارتكبنا من أعمال شريرة. فليعترف كل منّا بذنوبه لعل الله يعفو عــنا. وأبــدأ بنفسي فأعترف بأنني كنت قاسياً أحياناً، فافترست بعض الأغنام وعــدداً مــن الرعاة. وتقدم الثعلب فقال : أيها السيد النبيل ما أطيب قلبك، إنه لشرف كبير للحيوانات أن تفترسها، فصفق الحاضرون.

واعــترفت الحيوانـــات المفترسة الأخرى مثل النمر والدب...، بما فعلت، فلم يجد أحد أعمالها ذنباً. وفي النهاية تقدم الحمار فاعترف بأنه أكل الحشيش من أحد المروج، وأنه الآن يأسف حقاً لما فعل. فصاح الحاضرون إنه جرم كبير، ليحـــاكم الحمار. وتكلم الذئب فأكد أن أكل حشيش المروج ذنب لا يغفر، وأنه سبب هذا الطاعون الذي سلطه الله علينا، ولا يمحو جريمة الحمار إلا القتل.

ومغــزى الحكايـــة أنك بريء ما دمت ذا قوة وسلطان، ومذنب إذ كنت فقيراً ضعيفاً.

◈ رحلات جاليفار (للكاتب الإنكليزي ج. سويفت) :

◈ القسم الأول :

تتحطم الباخرة التي يسافر عليها بطل القصة جاليفار في بحار الجنوب، فيجد نفسه في أرض سكانها أقزام تدعى "ليليبوت". يظهر جاليفار كأنه جبل وسط هؤلاء القوم الذين لا تتجاوز قامة الواحد منهم بضع بوصات. يعاني سكان ليليبوت من مشاكل عديدة منها النزاع الشديد بين الحزبين حول ما إذا كان يجب أن تكسر البيضة من الجهة الصغرى أو الجهة الكبرى. كما أن المعايير المتبعة في توزيع الوظائف الهامة لا تعتمد على المعرفة والخبرة، بل على المهارة في القفز على الحبل ، أو القدرة على الزحف تحت عصى توضع قريباً من سطح الأرض.

وكانت ليليبوت في حرب مع جارتها بليفيسكو . ولذلك عندما رغب جاليفار في مغادرة البلاد ، اشترط عليه الملك أن يساعدهم على الانتصار على عدوهم. وانتصرت ليليبوت على جارتها بمساعدة الرجل العملاق، وحاول الملك أن يفرض نظام بلاده على بليفيسكو، وأن يستعبد أهلها. فاعترض جاليفار على ذلك لأنه من أنصار حرية الشعوب. غضب الملك ودبر مؤامرة لتحطيم جاليفار، فهرب هذا الأخير إلى بليفيسكو، ولم يرق له المقام فغادرها عائداً إلى بلاده.

◈ القسم الثاني :

يجد جاليفار نفسه هذه المرة في أرض العمالقة، حيث مقاييس المخلوقات عكس ما شاهد في رحلته الأولى. والتقطه فلاح واصطحبه إلى منزله، فتولت ابنته رعايته. كانت قامتها نحو 12 متراً ولو أن عمرها لم يتجاوز التاسعة. أصبح جاليفار بحجمه القزم وسيلة لتسلية السكان، ومخلوقاً غريباً يتطلع الناس لمشاهدته. إن حجم الفأر في هذه البلاد أكبر من حجم الأسد في بريطانيا، والذبابة في حجم القبرة، والقرد في حجم الفيل.

أعجب الملك بالمخلوق جاليفار فاشتراه من الفلاح ليكون موضوع دراسة من طرف العلماء. وكان الملك يدعوه للعشاء كل يوم أربعاء، ويطلب منه أن

يحدثـه عـن بـلاده، وفسـاد رجال السياسة فيها، ومناورات الأحزاب، ونزوات أصحاب النفوذ، وتوزيع المراكز وآثار الرشوة، وسلطة رجال الدين وتواطئهم مع أصحاب النفوذ، وعن مدى معرفة زعماء البلاد بالقوانين الاجتماعية والإنسانية..

ويحـدث جاليفـار الملك وحاشيته عن نظام الحكم في بلاده، وما ينتشر بين ساستها من فساد، وعن تنازع أحزابها من أجل الحكم، وعن حروبها المدمرة.

ويـتعجب الملك من كون هذه المخلوقات التعسة الصغيرة تضيع وقتها في المنازعات والحروب، ويستغرب لما ينتشر بين أفرادها من أنانية وفساد ووحشية . ويسـتنتج أن المخلوقات التي ينتمي إليها ضيفه ما هي إلا حشرات جشعة لا يجدر بها أن تتحدث عن عظمة الإنسان.

◈ **القسم الثالث :**

في إحدى رحلاته إلى المناطق النائية، يهاجم قرصان الباخرة، وينقذ جاليفار سـكانُ جزيرةٍ متحركة اسمها لابوتا، يسكنها العلماء والحكماء. غير أن رؤوسهم تتحـني نحـو اليمين أو الشمال، ولكل فرد منهم عين تنظر إلى السماء والأخرى مـتجهة نحو الداخل. وهم مندمجون في مناقشات وافتراضات علمية لا علاقة لها بالحيـاة الواقعيـة. وبما أنهم فقدوا الذاكرة فإن لكل منهم خادماً يذكره بما قال وما فعل.

وأهـم مشـكلة في حياة سكان هذه الجزيرة هي خوفهم من أن تبتلع الشمس الأرض، أو تصـطدم الأرض بمذنـب. ويـزور جاليفار مدينة لاغادو، فيجد أحد علمائها منهمكاً في تجارب طويلة ومضنية لإنتاج أشعة الشمس من القثاء، وعالماً آخر يحاول أن يبني بيوتاً مبتدئاً من السقف، وأحدهم يجرب أسلوباً جديداً للزراعة باستخدام عدد كبير من الخنازير لقلب التربة وتسميدها في الوقت نفسه.

ويـزور جاليفـار جزيرة السحرة والمشعوذين حيث ينادي أرواح الأموات العظمـاء، فيكتشـف أن التاريخ كان مفعماً بما خيب آمالهم. ثم يرحل إلى جزيرة رُزِقَ سـكانها الخلود، ولكنهم غير سعداء لأن حياتهم أصبحت غير ممتعة بعد أن

فقدوا الذاكرة، وصار من العسير عليهم أن يتفاهموا مع غيرهم، بسبب تطور اللغة. ويشعر البطل بالحزن والمرارة لما شاهد وسمع أثناء رحلته هذه.

◈ القسم الرابع :

بعد رحلة طويلة يجد جاليفار نفسه في حقل وسط "حيوانات بشرية" غريبة. ويزداد عجبه عندما يكتشف أن البلاد تحكمها خيول عاقلة، لها لغتها الخاصة التي تتخاطب بها. ويخبر جاليفار مضيفه الفرس، ومن برفقته، أن البشر مثله هم الذين يسيطرون على الأمور في بلاده، وأنهم يستخدمون الخيول ليركبوها أو لإنجاز الأعباء الشاقة. ويتعجب الفرس المضيف وينزعج لما يسمع، لأنه لا يدرك كيف تسمح مخلوقات تافهة مثل الإنسان لنفسها باستغلال مخلوقات نبيلة مثل الخيول.

يحدث جالفيار مضيفه عن الحروب والمجاعات والآلام التي يجر إليها الملوك والزعماء شعوبهم في بلاده، من أجل فرض سلطانهم وأفكارهم على شعوب أخرى؛ كما يروي له ما يجري بين الأفراد من نزاع وتطاحن واعتداءات بسبب الجشع والمال وحب النفوذ. ويحدث جاليفار مضيفه عن وجود طبقة من الناس في بلاده يدعون رجال القانون، مهمتهم أن يجعلوا الأبيض أسود، والأسود أبيض لصالح من يدفع أكبر مبلغ.

ويشرح له كيف يكد الفقير ويكدح ليزداد صاحب الثروة ثراء ، ويبقى الفقير فقيراً، وأن كثيراً من السكان مضطرون للتسول أو السرقة لنيل معيشتهم ، بينما تعيش فئة أخرى من السكان في بحر من الخيرات والكماليات. وبدأ يحدثه عن فئة الأطباء فلاحظ أن سكان هذه البلاد لا يعرفون معنى الطبيب، لأنهم لا يعرفون المرض. فاختصر شرحه قائلاً إن الطبيب عندنا، عندما لا يشفي الإنسان من مرضه، على الأقل يتنبأ له بتاريخ وفاته.

واعترف جاليفار لمضيفه بأنه منذ أن عاش وسط جنس الخيول في هذه الديار أصبح يشعر بالطمأنينة ويفضل أن يبقى معهم، لأنه لا يجد بينهم لصوصاً وقطاع الطرق ومحامين وأطباء يبتزون أمواله؛ ولا نبلاء وزعماء يلجأون إلى التحايل ويخلقون الأزمات للوصول إلى أهدافهم. وذات يوم عقد زعماء الخيل

اجـتماعاً عاماً لمناقشة مسألة التخلص من بني الإنسان فوق أرضهم، لأنهم وجدوا أنـــه مـــن السهل تدريب الحمير واستخدامهم بدل البشر. واقترح أحدهم أن يخصى بني الإنسان لمنع تكاثرهم.

وفـــي النهاية أعرب الحاضرون عن قلقهم لما فعله الفرس مضيف جاليفار، إذ إنـــه عامل أحد البشر بإحسان وإكرام تماماً كما يعامل الفرس. ويضطر جاليفار لمغادرة بلاد الخيل بعد أن قضى فيها فترة سعيدة.

ويعـــود جاليفـــار إلى بـــلاده، غيـــر أنه يصبح غير قادر على الحياة وسط أســـرته، بعد التجارب التي عاشها ، فقرر أن يشتري فرسين ويعيش بجوارهما في اصطبل، عيشة هادئة هنيئة راضية.

◈ أسفار سكارمنتادو (للكاتب الفرنسي فولتير)

ولدتُ عام 1600 في مدينة كانديا، وعندما بلغتُ الخامسة عشرة من العمر أرسلني أبي إلى روما لأتزود بالعلم والمعرفة. وهناك شاهدت، من بين ما شاهدت، مواكب الناس وتجمعاتهم حول القساوسة الذين يلجأون إلى التعاويذ والرقى لمعالجة من أصابهم مس من الشياطين؛ وشاهدت أعمال السلب والاغتصاب. وتعرفت على امرأة كانت عشيقة لاثنين من القساوسة الموقرين؛ وأوصتهما هذه السيدة بمساعدتي ورعايتي، غير أنني شعرت أن حياتي معرضة للخطر، فنجوت بنفسي وذهبت إلى فرنسا. كان هذا البلد عرضة للحروب الأهلية بسبب منازعات دينية، وكان أول سؤال طرح علي هو : هل تريد في طعامك قطعة من جسد المارشال دانكر الذي كان لحمه يوزع مشوياً على من يرغب في ذلك.

رحلت إلى إنكلترا ، فعلمت عند وصولي أن الكاثوليك عمدوا إلى تدمير الأسرة المالكة والبرلمان من أجل خدمة الكنيسة، وإنقاذ البلد من الملحدين. وقادني بعضهم إلى المكان الذي أحرقت فيه الملكة ماري (ابنة هنري الثامن) أكثر من 500 شخص. وأكد لي الكهنة أن ذلك كان عملاً صالحاً تستحق عليه الملكة الشجاعة أن يسجل اسمها في عداد القديسين. سافرت بعد ذلك إلى هولندا، وعندما وصلت إلى مدينة لاهاي، قيل لي إن الوزير الأول قطع رأسه. وسألت الناس هل ارتكب الخيانة العظمى، قيل لي بل أسوأ من ذلك. فقد كان يقول بأنه بإمكان الإنسان أن ينال رضا الله بالأعمال الصالحة، مثلما يناله بالإيمان.

اتجهت نحو أسبانيا، فنزلت باشبيليا، وهنا حضرت حفلاً حضره الملك وأسرته وحاشيته. وبعد أن قام رئيس محاكم التحقيق فبارك الملك أسرته والشعب، مرّت أمام الحشد مجموعة من الكهان، يتبعهم جلادون، وراءهم نحو 40 شخصاً من اليهود والنصارى الذين حكم عليهم بالموت حرقاً، لارتكابهم خطايا دينية ، على أن يجري حرقهم ببطء ليطول عذابهم. وفي تلك الليلة جاءني اثنان من رجال محاكم التحقيق ساقاني إلى السجن. وبعد ستة أسابيع دفعت مبلغاً من المال فأطلق

سراحي؛ وغادرت أسبانيا مع بعض الرفاق، أخبرني أحدهم أنه قرأ مذكرات الأسقف كيابا التي تحدث فيها عن قتل وحرق نحو عشرة ملايين من الهنود "الكفار" في أمريكا لأنهم رفضوا أن يعتنقوا المسيحية.

رحلت إلى تركيا، وقررت أن أحفظ لساني لعلمي أن الأتراك "الكفار" سيكونون أشد قسوة من محاكم التحقيق في أسبانيا. وكانت دهشتي كبيرة عندما شاهدت عدد الكنائس في هذا البلد، وشاهدت مجموعات الرهبان وهو يؤدون صلواتهم بكل حرية، وكانوا أثناء ذلك يشتمون "محمداً". واتهمني البطريرك اليوناني بأنني تناولت العشاء عند البطريرك اللاتيني، فحكم عليّ بمائة جلدة على أخمص القدمين، أو بدفع مبلغ من المال. وكانت العداوة الدينية شديدة بين المسيحيين اليونانيين والمسيحيين اللاتينيين. وتوفي الوزير الذي كان يحمي المجموعة اليونانية، وجاء محله وزير يرعى المجموعة اللاتينية، فحكم علي بدفع غرامة، هذه المرة لأنني تناولت العشاء عند البطريرك اليوناني[1].

قررت أن أزور بلاد الفرس، وعندما وصلت إلى مدينة اصفهان سئلت هل أنا من من أنصار الكبش الأسود أو الكبش الأبيض. فأجبت بأنه لا يهمني اللون إذا كان لحمه طرياً. فظنوا أنني أسخر من الحزبين، وفرضوا على دفع غرامة كبيرة.

واصلت سفري حتى بلاد الصين، وهناك وجدت القساوسة اليسوعيين في نزاع مرير مع القساوسة الدومنيكان، كل يحاول إدخال الناس في مذهبه. وظن الآباء اليسوعيون أنني من جماعة الدومنيكان، فأبلغوا السلطات بأنني جاسوس للبابا في روما، فطردوني من البلاد فقررت العودة إلى أوروبا.

عندما وصلنا إلى سواحل غولكوندا (الهند) رغبت في أن أزور بلاط الإمبراطور "أورانزاب"، وكان يوجد في دلهي. وافقت زيارتي يوم الاحتفال بوصول مكنسة يقال إنها كانت تكنس بها الكعبة، وبذلك أصبحت رمزاً لتطهير

(1) تدل هذه الحكاية على مدى سماحة المسلمين الأتراك مع أهل الديانات الأخرى، لا سيما المسيحية؛ مع أن الطوائف المسيحية نفسها فى تركيا غير متسامحة مع بعضها البعض، وغير متسامحة مع الأديان الأخرى.

أوســاخ الروم وذنوبها. والواقع أن الإمبراطور لم يكن في حاجة إلى هذا التطهير، فكل ما فعل أنه قتل أخاه، وسمم أباه وعددا آخر من الرجال.

وبيــنما نحــن في طريقنا نحو أوروبا هاجم سفينتنا قراصنة سود. وعندما احــتج ربــان الســفينة عــلى ذلك أجاب رئيس العصابة : "أُنُوفُكم طويلة وأنوفنا مفــلطحة، شــعركم مســتقيم وشــعرنا مجعد، تشترون إخواننا في أسواق العبيد، وتسومونهم ألوان الإهانة والعذاب، فمن حقنا اليوم أن نأسركم لتعملوا في حقولنا أو نقطع آذانكم وأنوفكم. وساقوني لأعمل في حقل امرأة عجوز إلى أن افتداني أهلي.

◈ ممنون (فولتير)

في قديم الزمان كان يعيش في مدينة نينوى رجل اسمه ممنون. قرر ممنون ذات يـوم أن يكــون حكيماً في حياته، فقال لنفسه "سأتجنب الشهوات، وأخفف من رغــباتي، ســأبتعد عــن النساء، وأتجنب الإفراط في الأكل والشرب، وأتبع سبيل الاعتدال لأحتفظ بصحتي؛ وسأكون قنوعاً وأعيش بما لدي من مال. وبعد أن حدد مبادئ سلوكه ليصبح حكيماً، وقف قرب النافذة ينظر إلى الناس وهم منهمكون في شــؤون الحياة. شاهد امرأتين، إحداهما عجوز والأخرى في عنفوان الشباب. كانت الفتاة مهمومة حزينة، تتنهد وتندب حظها التعس.

نــزل ممنون الحكيم إلى الشارع، فاقترب من الفتاة وسألها عن سبب بكائها، مشــفقاً عــليها راغــباً في مواساتها. فقالت إن لها عما ظلمها وأخذ منها جميع ما تمــلك. وســألت ممنوناً بلطف وبراءة أن يصحبها إلى منزلها، لتشرح له قصتها، عســى أن تســتفيد مــن نصائحه وتجاربه. وفي المنزل أدخلت ممنوناً الحكيم إلى غــرفة مزخرفة معطرة، وجلست إلى جانبه والدموع تملأ عينيها الجميلتين. وفجأة دخــل "عمهــا" (الــذي لم يكن عمها في الواقع)، فشهر سيفه وهدد الفتاة وضيفها بالقتل. وبعد التهديد والوعيد، وافق العم المزعوم على أن يخلي سبيل ممنون ويعفو عن الفتاة، مقابل مبلغ كبير من المال.

عــاد ممــنون إلى منزله وهو يتحسر على ما حدث. وفي اليوم نفسه دعاه بعض أصدقائه إلى العشاء، فقرر أن يذهب ليزيل الحسرة عن نفسه، فأكل وشرب حــتى ثمــل، واســتفزه الطرب وأغراه الأصدقاء بمشاركتهم في لعبة القمار التي اعــتادوها، فانتهى به اللعب إلى أن يخسر مبالغ كبيرة، وعدهم بتسديدها في اليوم الــتالي. وسرعان ما ثار نزاع وشجار بين الحاضرين، فرماه أحدهم ببوق أصابه فــي إحــدى عينيه. وفي الغد أرسل أحد رجاله إلى المكتب الذي أودع فيه أمواله ليأتي بمبلغ يسدد به ديونه، فأبلغ بأن الشركة قد أعلنت إفلاسها، وأن عائلات كثيرة فقدت أموالها.

وهكذا فبعد أن قرر معخون في الصباح أن يعيش حياة الحكمة والفضيلة، لم ينـته به النهار حتى كانت قد خدعته فتاة وسرقت ماله، وشرب مع أصدقائه حتى ثمل، وخسر مالاً كبيراً في القمار، ودخل شجاراً فَقَدَ فيه إحدى عينيه، ورفع قضية ضد الجهة التي أفلست ، وأضاعت بإفلاسها مدخراته، وسخر منه بعض الناس لما حل به في يوم واحد.

◈ رسالة رجل تركي (فولتير)

زرت مديــنة بناريس (الهند) ونزلت ضيفاً على صديق اسمه عمرى. كان رجــلاً كــريم الأخلاق، حسن السيرة، على دين البرهمان الهندوس. لم نتنازع أبداً بشــأن الأمور الدينية، بل كان كل واحد يحترم تعاليم دين صديقه. وذهبنا ذات يوم لــزيارة معــبد غافاني، حيث شاهدنا مجموعة من الدراويش والناس منهمكين في نشاطات وتأملات مختلفة . كان أحدهم يقرأ كتاباً مقدساً في صمت وخشوع، وآخر يركــز بصــره على أنفه مستغرقاً في التأمل ، ومنهم من يرقص على يديه، ومن يقفز على حبل.. الخ.

وقــادني صــديقي إلى بيت درويش شهير، اسمه بابابيك، كان يجلس عارياً عــلى كرســي مطرز بالمسامير، وكأنه جالس على القطن والحرير. وكان يحمل حــول عــنقه سلسلة ثقيلة لا يقل وزنها عن 30 كيلو غراماً. وكانت النساء تأتين للتبرك به واستشارته في أمور الحياة. ودار بينه وبين صديقي الحوار التالي:

صديقي : إنني مواطن صالح، زوج صالح، وصديق وفي. أحترم جيراني، وأتصدق على الفقراء. فهل تظن أنني سأبلغ الدرجات العليا في الجنة؟

الدرويش : وهل تجلس على المسامير أحياناً؟

صديقي : لا أفعل ذلك.

الدرويــش: هــذا شــيء مؤســف، سوف لا تتجاوز السماء 19 في حياتك الأخرى.

صــديقي : وأنت ، أيها الناسك المحترم ، في أي سماء ستكون مع كل هذه السلاسل؟

الدرويش : أعتقد أنني سأكون أقرب إلى الذات العليا، في السماء 35.

صــديقي: ليــس هذا عدلاً، وأنت ترفض المجد في هذه الدار فلم تطلبه في الأخــرى؟ وبأي حق تنال معاملة أفضل مني في الآخرة؟ إني أفضل رجلاً يزرع

الأرض ويغــرس الأشــجار، على زملائك الذين يقضون جلّ حياتهم ينظرون إلى أنوفهم.

وراح الصــديق يكــلم الدرويش بلطف واحترام، ويطلب منه أن يأتي معه ليعيــش فــي منزله حياة مريحة كريمة. وفي النهاية قبل الدرويش هذا الاقتراح. وقضى هذا الدرويش الناسك 15 يوماً في منزل صديقي في راحة وهناء، واعترفَ بأنه أسعد بكثير في حياته الجديدة. غير أنه ما لبث أن حنّ إلى ما كان يوليه الناس من ثقة واعتبار، فغادر منزل صديقي، وعاد للجلوس على المسامير.

◈ البرهماني [1] (فولتير) :

التقيت ذات يوم برجل حكيم فقال لي: ليت أمي لم تلدني. وسألته لماذا يقول ذلــك، فأجابــني إنني أدرس وأبحث عن الحقيقة منذ أربعين عاماً، وكل ذلك وقت ضائع. إنني أعلّم الآخرين وأنا أجهل كل شيء. أعيش في الزمن، ولا أعرف ما هــو الــزمن. أنــا مكون من مادة ولكني أفكر. فما هو التفكير!؟ والحقيقة أنني لا أعرف معنى وجودي.

ولقيــت امرأة عجوزاً، فسألتها: هل أنت محتارة لأنك تعرفين معنى الروح ومغــزى الوجود؟ فأجابت أنها لم تفكر أبداً في الأمور المعقدة. وأعجبت بما تشعر بــه العجــوز من طمأنينة ورضا، فقلت للرجل الحكيم: ألا تشعر بالخجل لحيرتك وشــقائك، وبقرب منزلك عجوز سعيدة لأنها لا تفكر في شيء ؟ فأجابني: لقد قلت لنفســي ألــف مرة "لا شك أنني أكون سعيداً لو كنت جاهلاً غبياً". وظللت أرفض الســعادة الــتي أساســها الجهل . ولكن بعد تفكير طويل بدا لي أن تفضيل التفكير والعقل على الطمأنينة والسعادة أمر لا جدوى منه.

(1) أحد أفراد طبقة الكهنوت عند الهندوس.

◈ **النهار (للكاتب الإيطالي باريني) :**

◈ **الصباح** : يستيقظ الأرستقراطي قبيل منتصف النهار، ويحتار هل يتناول في فطوره مشروب البنّ أم الشكولاطة. ثم يستقبل معلمي اللغة الفرنسية والرقص والموسيقى وهو لا يزال في فراشه. بعد ذلك يستغرق في عمليات التزيين وارتداء الثياب ببطء وعناية فائقة. وبينما يرتب الحلاق شعره، يلقي الأرستقراطي نظرة خاطفة على بعض المقالات حول "المواد" وما شابه ذلك. يقف أمام المرآة ليلقي نظرة على شعره وملابسه، ثم يركب عربته، ويتجه نحو قصر العشيقة، ويطلب من السائق أن يسرع، وألا يبالي كثيراً بسلامة المارة.

◈ **منتصف النهار** : يصل السيد النبيل إلى قصر العشيقة حيث يستقبله زوجها بلطف وترحاب، وتكون هي قد تزينت وتزخرفت، فتلقاه ترفل في غرور وغنج. وعندما يحين وقت الغداء يجلس إلى جانبها ليعبر لها عن اهتمامه، ويظهر لها جميع دلائل الكياسة واللياقة والمودة. ويحضر مائدة الغداء شخصيات هامة من النبلاء ورجال التجارة والصناعة وغيرهم، منهم من هو متغطرس، ومنهم النهم الأكول من الشخصيات البارزة.

وبعد الغداء يدور الحديث عادة عن موضوعات سطحية من الثقافة الفرنسية أو الإنكليزية. بعد ذلك ينتقلون إلى الصالون ليتناولوا مشروب البنّ والحلويات، بينما يتجمع خارج القصر الفقراء ليستنشقوا من بعيد روائح الأكلات اللذيذة.

◈ **المساء** : بعد ذلك يعتذر السيد الأرستقراطي والسيدة عشيقته لضيوفهم، ويختلقان الأعذار ليغادرا المنزل. فهما مثلاً سيذهبان لزيارة صديق مريض، أو ليباركا لصديقة مولودها إلخ... وتنطلق العربة بهما في الشوارع المزدحمة بالناس من مختلف الطبقات.

◈ **الليل** : تدور الحوادث أثناء الليل في قصر إحدى النبيلات المسنة، وهنا يتحدث الكاتب بسخرية عن سلوك بعض الشخصيات الأرستقراطية مثل النبيل الذي يفتخر ببراعته في فرقعة السياط، وآخر ببراعته في النفخ في البوق، ويتحدث الثالث عن عادته المرضية التي تدفعه إلى تنسيل النسيج. ويقضي الضيوف النبلاء أمسيتهم في احتساء المشروبات، والتمتع بألعاب التمبولا، ولعبة التاروت، والأحاديث التي تشبع غرورهم.

◈ فاوست (للكاتب الألماني جوتى) :

تبدأ هذه المسرحية بحوار في السماء بين الإله والشيطان حول السيطرة على روح فاوست. في النهاية يسمح الإله للشيطان بأن يغري هذا الرجل، متأكدا من أن الشيطان سيفشل في مهمته. ويظهر فاوست محتارا يائساً، لأنه على الرغم من جميع الجهود التي بذلها لم يعثر على الحقيقة، ولم يكتشف كنه الأشياء، ولم يشعر بالسعادة. عندئذ يأتيه الشيطان في شكل رجل متشرد، ثم في هيئة طالب، ويعرض عليه أن يحقق له جميع رغباته مقابل أن يسلمه روحه في النهاية. يوافق فاوست على الصفقة، فيعيد له الشيطان الشباب ويجعله غنيا.. الخ.

يلتقي فاوست بفتاة تمثل البساطة والفضيلة فيقع في حبها، ويستخدم الشيطان حيَلَهُ ليمكن فاوست منها، فتصبح حبلى، ثم تقتل طفلها. وعندما يستيقظ ضميره ويحاول إنقاذها من السجن والإعدام، يجد أنها أصيبت بالجنون، وتموت.

وفي القسم الثاني يعيش فاوست (رمزيا) بمساعدة الشيطان في عصور مختلفة. فيجد نفسه في اليونان القديمة حيث يلتقي بـ "هيلينا" الجميلة[1] ويتزوجها، فتنجب له طفلاً. وعندما يكبر هذا الطفل يحاول أن يجرب الطيران فيموت، كما تموت أمه. ويقوم فاوست بأعمال عديدة، وفي النهاية يشعر أنه تجاوز الحدود في أنانيته، فيحاول أن يعمل شيئاً لمصلحة الإنسانية والأجيال القادمة فيحول قطعة من البحر إلى أرض بمساعدة الشيطان. ويموت فاوست، فيعتقد الشيطان أنه سيدمر روحه في نار جهنم، غير أن الملائكة تسبقه، فتصعد بروحه إلى الجنة حيث يلتقى بالفتاة التي أحبها، والتي تمثل الفضيلة.

(1) هيلينا الشهيرة في حرب طرواده.

◈ وليام تال (للكاتب الألماني شيلر)

تـــدور حـــوادث هذه المسرحية في سويسرا، في أواخر القرن الثالث عشر ومطـــلع القـــرن الرابع عشر، عندما كانت سويسرا مستعمرة نمساوية. ووليام تال الذي أصبح شخصية شبه أسطورية، كان فلاحاً يعيش في مقاطعة URI التى كانت النمســا تســيطر عــليها، وكـــان من أمهر رماة السهم. وذات يوم نصب الحاكم النمســاوي قبعـــته على عمود في ساحة المدينة، رمزاً للسلطة النمساوية، وأصدر أمراً بأن كل من يمر بالساحة يجب أن ينحني للقبعة.

وحـــدث أن مر الفلاح وليام تال بالساحة، ولكنه أبى أن ينحني أمام القبعة. فأمـــر الحاكم أن يؤتى به وبابنه الصغير، ووضعت تفاحة فوق رأس ابنه، وطلب منه الحاكم أن يرميها بسهم.

ونجـــح وليم في إصابة التفاحة دون أن يؤذي ولده. ولكنه اقتيد للسجن لأنه قبل أم يصوب سهمه نحو التفاحة قال: إذا أخطأت التفاحة سأوجه السهم الثاني إلى قلب الحاكم. ونجا وليام من السجن، وقتل الحاكم النمساوي المستبد، وحدثت وقائع أخرى شجعت على الثورة التي انتهت باستقلال سويسرا.

◈ المخطوبان (للكاتب الإيطالي ألسندرو مانزوني)

دون رودريغو، رجل طاغية شرير، يطلب من رجال عصابته أن يمنعوا قس القرية من إنجاز شعائر زواج الفتى رينزو من خطيبته لوسيا. ويحاول أحد رجال الكنيسة أن يتدخل لدى الطاغية دفاعاً عن الشابين بدون جدوى . يلجأ الشاب رينزو إلى أحد المحامين لمساعدته في قضية عقد قرانه على لوسيا، فلا يلقى منه إلا الطرد والإهانة لأنه صديق الطاغية. وتشير أم الفتاة على الشابين أن يتزوجا سرّا ولكن الفتاة تتردد وتخاف، فلا تنطق بالعبارة التي يتم بها عقد الزواج.

يضطر الشابان رينزو وخطيبته لوسيا، إلى مغادرة القرية، فيذهب الشاب إلى ميلانو وتذهب الفتاة إلى أحد الأديرة. وهنا توضع تحت رعاية راهبة شريرة. وتساعد هذه الراهبة عصابة على اختطاف الفتاة من الدير، ويسلمونها في النهاية إلى الطاغية دون رودريغو الذي يسجنها في قصره.

وذات ليلة انتابت الطاغية أزمة نفسية وأصابه قلق شديد، فذهب في الصباح إلىالكاردينال بوروميو، وهنا حصلت مواجهة بين الخير في شخص الكاردينال، والشر الذي يمثله دون رودريغو. وينتصر الخير، فيندم هذا الأخير على سلوكه، ويطلق سراح لوسيا فتلتحق بأمها. وفي النهاية يموت الطاغية إثر إصابته بالوباء الذي غمر مدينة ميلانو. ويلتقي الشاب رينزو بخطيبته لوسيا فيتزوجان وينجبان أولاداً، وتغمر حياتهما السعادة[1].

(1) يتناول الكاتب في هذه الرواية بعض حوادث الثلاثين سنة، وعدداً من الشخصيات التاريخية. وتدور حوادث القصة بين 1628-1630.

◈ النساك الثلاثة (للكاتب الروسي ليو تولستوي) :

"إذا صليتم فلا تكرروا الكلام عبثاً مثل الوثنيين، فهم يظنون أنهم إذا أكثروا الكلام يستجاب لهم. فلا تتشبهوا بهم، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه". (إصحاح متى)

ركب أسقف باخرة تنقل الناس لزيارة أحد الأديرة، وبينما هو يتجول على ظهر الباخرة، سمع رجلاً يحدث جماعة من الركاب عن جزيرة صغيرة يعيش فيها ثلاثة نساك، انعزلوا عن العالم منذ عشرات السنين لعبادة الله، والابتعاد عن فتن الحياة. فقصد الأسقف ربان السفينة وأعرب له عن رغبته في زيارة هذه الجزيرة، والحديث مع النساك. فأخبره الربان بأنه سمع عن هؤلاء النساك، وأنهم لا يفهمون شيئاً ولا يكادون يحسنون الكلام لشدة انعزالهم وكثرة صمتهم . وحاول إقناعه بعدم جدوى هذه الزيارة التي تتطلب تغيير اتجاه الباخرة. غير أن الأسقف ألح وجدّ في طلبه، فأمر الربان بالاتجاه نحو تلك الجزيرة الصغيرة.

عندما اقتربوا من الشاطئ أنزل قارب صغير وبحارة لمرافقة الأسقف. كان النساك الثلاثة واقفين على الشاطئ، فحياهم الأسقف، وردوا التحية باحترام. وقال لهم الأسقف : سمعت أنكم فضلتم العزلة بحثاً عن الخلاص، ولتكرسوا حياتكم لعبادة الله، فكيف تناجون الإله؟ وماذا تقولون في صلواتكم؟ تردد النساك والتفت كل منهم إلى صاحبيه، ثم ابتسم أكبرهم سناً وقال: أيها الأسقف المحترم إننا لا نملك المعرفة الكافية لعبادة الله، وإنما نطلب منه أن يعطينا قوتنا اليومي، وكل ما نقول هو : "أيها الثلاثة في السماء[1]. ارحموا الثلاثة في هذه الجزيرة".

ابتسم الأسقف وقال : تعنون الثلاثي المقدس، ولكن الصلاة للرب لا تكون بهذه العبارة. فاستمعوا جيدا لأعلمكم العبارات التي أمرنا الرب أن نقولها في صلاتنا، أعيدوا ما أقول: "أبونا الذي في السماوات، ليقدس اسمك، ليأت ملكوتك، وليكن ما تشاء في الأرض كما في السماء..." وراح يكرر ذلك مرة تلو الأخرى. ثم حياهم وأوصاهم أن يحفظوا تلك العبارات، وعاد إلى الباخرة.

---

(1) إشارة إلى الثلاثي الأب والابن وروح القدس عند المسيحيين.

أقــبل الليل ونام الركاب وساد السكون؛ غير أن الأسقف بقي يتأمل وينظر فـــي اتجاه الجزيرة الصغيرة، يحمد الله الذي هداه إلى النساك ليعلمهم كيف يصلون بــتلاوة الكــلمات التي جاء بها الإنجيل. وبينما هو كذلك، شاهد شبحاً ينيره ضوء القمر يتجه بسرعة نحو الباخرة. وراح يمعن النظر فيبدو له الشبح حيناً كأنه طائر ضـــخم، وحيناً كأنه مركب سريع أو حوت ضخم. اتجه نحو قائد الباخرة ليستفسر عن الأمر، ولكن سرعان ما شاهد بعينيه أن الشبح المنطلق وراء الباخرة إنما هو النســـاك الثلاثة يسرعون نحو الباخرة يدا في يد كأنهم طيور، ولحاهم الطويلة تلمع تحت ضوء القمر.

اســـتفاق الـــركاب من نومهم وصعد النساك إلى ظهر الباخرة وهم يقولون للأســـقف بصـــوت واحد : "نسينا ما علمتنا، نرجوك أن تكرر ذلك على مسامعنا". حـــرك الأســـقف يده في إشارة الصليب، وانحنى بخشوع تقديراً لإخلاص النساك الـــثلاثة، وقـــال لهـــم: ليس لي أن أعلمكم شيئاً ، صلوا كما كنتم تصلون من قبل، وادعـــوا الله أن يغفـــر لـــنا ذنوبـــنا. وانحنى ثانية أمام النساك، وعاد هؤلاء إلى جزيـــرتهم الصـــغيرة ليكـــرروا "أنـــتم الثلاثة في السماء، ارحموا الثلاثة في هذه الجزيرة". وظل خيط من نور يلمع في اتجاه الجزيرة حتى مطلع الفجر.

◈ السيد شابر وأكل المحار (للكاتب الفرنسي إميل زولا)

كان السيد شابر يتاجر في الحبوب، وكرس جميع وقته وجهوده لجمع ثروة كبيرة. وما إن تجاوز الأربعين بقليل حتى كان قد تحقق له ذلك، غير أنه بدأ يشعر بالتعب والوهن، فاعتزل التجارة، وقرر أن يتزوج وينجب أولاداً وينعم بالحياة الأسرية. ومنذ أربع سنوات تزوج فتاة جميلة، شقراء فارعة القد، ولكنه حتى الآن لم ينجب ولداً. وقد تردد مراراً على طبيب الأسرة بدون جدوى.

وذات يوم نصحه الطبيب أن يصحب زوجه ويذهبا إلى إحدى القرى الشاطئية، ليسبح في ماء البحر ويكثر من أكل المحار. نعم، نصحه بأن يأكل جميع أصناف المحار، كل يوم، بلح البحر، جراد البحر، توتياء البحر، سرطان البحر، وكل ما ينتمي لجنس المحار. وأكد له أنه علاج ناجع لمن لا ينجب الأولاد.

وسافر السيد شابر وزوجه استيل إلى البحر، وبعد رحلة متعبة توقفت عربة الخيل أمام فندق. وتقدمت إستيل لتشاهد سكان القرية يخرجون من كنيسة بالقرب من الفندق، فشاهدت شاباً وسيم الطلعة قوي البنية فارع الطول يرافق عجوزاً. حدقت فيه استيل معجبة بوسامته وقوة عضلاته. ولاحظ زوجها ذلك فقال إنه شاب يصلح للعمل في قوة الدرك. وعلقت خادمة في الفندق قائلة إنه السيد هكتور يرافق أمه.

وبينما كانت السيدة شابر، ذات يوم، تتجول وزوجها على الشاطئ، سمعت شاباً يناديها "سيدتي، سيدتي وقع منك رباط مظلتك". وكان هذا الفتى هو هكتور الذي شاهدته أمام الكنيسة. شكره الزوج على لطفه؛ وبدأ يسأله عن المنطقة وشواطئها وآثارها. فقدم له معلومات عن المنطقة ونصحه أن يذهب إلى شاطئ آخر قرب بيرياك، مؤكداً بأنه يعرف المنطقة لأن له عما يسكن هناك. والواقع أن السيد شابر لا يحب البحر ولا السباحة، ولكنه عمل بنصيحة طبيبه فأتى إلى البحر ليأكل أصناف المحار الطازجة. أما زوجته إستيل فكانت تجيد السباحة وتنعم بماء

البحر، وإن كانت تشعر بشيء من الملل لرتابة الحياة. لذلك كان زوجها يصحبها كل يوم، ويراقبها وهي تتقلب في البحر مثل سمكة كبيرة.

وتوغلت ذات يوم في البحر فابتعدت حتى كادت تختفي عن عين زوجها. وفي عرض البحر التقت فجأة بالشاب هكتور؛ فتحدثا طويلاً ثم عادا معاً إلى السيد شابر الذي اطمأن عند رؤيته، وشكره لأنه دله على هذا الشاطئ الجميل حيث تكثر أصناف المحار. وحرص الزوج على تنفيذ نصيحة الطبيب بدقة فراح يأكل المحار في كل وجبة، وسعدت إستيل برفقة هكتور، هذا الشاب اللطيف الذي خفف من رتابة حياتها في هذه القرية. وكان الشاب لا ينفك يقدم لهما معلومات مفصلة عن الأماكن المهمة ويقودهما لزيارتها. أصبح السيد شابر ينظر إليه كصديق، فطلب منه أن يكرر زيارته، وعرف الشاب ولع الزوج بأكل المحار فكان يجلب له من أصنافه ما يرضيه في كل زيارة.

وذات مساء اقترح هكتور أن يقود الزوجين لزيارة صخور Castelli الشامخة المحاذية للشاطئ فلم ترق هذه الجولة الزوج الذي كان يخشى تسلق الأماكن الوعرة، غير أنه في النهاية أذعن لإلحاح زوجه. كان الطريق وعرا، وتعب الزوج فلم يرغب في القفز فوق الصخور، فاقترح على الشابين أن يواصلا الرحلة بينما يصعد هو إلى مكان آمن ليراقبهما من بعيد. قاد هكتور استيل في ممرات ضيقة بين الصخور لزيارة عدد من المغارات، ومالت الشمس نحو الغروب، وبدأت حركة المد فأخذت المياه ترتفع ببطء، والزوج ينادي من بعيد ناصحاً الشابين بالرجوع، ولكنهما واصلا السير وتغلغلا داخل إحدى المغارات الجميلة أطالا فيها التأمل، وجلست استيل لتستريح قليلاً.

وبعد مدة صاح هكتور قائلاً يا إلهي لقد حبستنا مياه المد في هذه المغارة. ونادى الزوج فأخبره بما حصل، وأنه لا خطر عليهما وسيخرجان بمجرد أن تنسحب المياه قليلاً. ونادت زوجها قائلة: "أنا في أمان مع هكتور، سأكون معك بعد قليل، أحبك" وفي هذه المغارة الهادئة، على رملها الرطب، ضم هكتور استيل إلى

صـــدره معرباً لها عن حبه، وقبلها بحرارة، فاستلقت على الأرض. أثناء ذلك كان الزوج يأكل المحار في قمة الربوة.

وبعد تسعة أشهر من عودة الزوجين إلى باريس وضعت إستيل ولداً جميلاً، وذهـــب الزوج إلى الطبيب ليشكره على نصيحته، ويؤكد له أن المحار علاج ناجح حقاً لمن يعجز عن الإنجاب.

موت أوليفيي بيكاي (للكاتب الفرنسي إميل زولا) :

"توفيتُ" يوم السبت الساعة الحادية عشرة صباحاً، بعد مرض دام ثلاثة أيام. واعتقدت زوجتي أن نوبة إغماء قضت على حياتي فانحنت عليّ تلمس يدي وتحدق في وجهي، ثم فجأة أخذها الرعب، وبدأت تنتحب وتصرخ: "لقد مات، يا إلهي لقد مات"! أما أنا فعلى الرغم من أن نوبة الإغماء عطلت أعصابي وجمدت كل عضو في جسمي، وشلت حركتي، فقد بقي تفكيري واضحاً وإن كان بطيئاً، كما ظل بصيص نور ينفذ من عيني اليسرى.

وكانت نوبات عصبية عميقة تصيبني منذ صغر سنّي، وكنت أخرج من هذه الإصابات سليماً. ولذلك عندما وصلنا إلى باريس، بعد سفر متعب، طلبت من زوجي ما رغريت ألا تطلب الطبيب إذا أصبت بأزمة عصبية، ونمت طلباً للراحة. وهكذا ظنت مارغريت أنني مت، وجلست إلى جانبي تبكيني وتصيح: "لا تتركني، أجبني، يا إلهي ماذا أفعل؟!" أما أنا فشعرت بقلق وحزن عميق، ولكنني أعرف أنني سأفيق من إغمائي، سأنهض لأن الموت لم يأت بعد. أجل سأفيق وأقبل مارغريت وأهدئ روعها، وأؤكد لها أنني أحبها.

وفجأة فتح الباب ودخلت امرأة عرفت صوتها. إنها السيدة غابين، جارتنا في الفندق الذي نزلنا فيه. ولما عرفت ما حدث، بدأت تواسي زوجتي قائلة "مسكينة أنت، ماذا ستفعلين الآن، كان الله في عونك. ولكن لا تيأسي، فعندما توفي زوجي بقيت ثلاثة أيام بدون أكل ولا شراب. وما جدوى ذلك! خذي اشربي فنجانا من القهوة". وفجأة اختفى بصيص النور من عيني اليسرى، لأن العجوز أغلقت عيني، ثم قالت لزوجتي "يجب أن تفكر في إجراءات الدفن. أنت جارتي ولا يعقل أن أتركك وحدك في هذه الأزمة، سأبحث عن السيد سيمون ليساعدنا في الأمر".

انزعجت كثيراً أن يصل الأمر إلى الحديث عن الدفن، كما أقلقني ذكر سيمون، لقد كرهته منذ أن لقيته لأول مرة. إنه شاب وسيم الطلعة قوي البنية، وهي سمات لا توجد عندي، وأخذتني الغيرة فخفت على زوجتي. يا إلهي لماذا الكلام على إجراءات الدفن! أنا في سبات عميق، أصابني شلل مؤقت وسأفيق،

وأعـود للحياة وأدافع عن مارغريت. وفي المساء جاءت العجوز لتبلغ مارغريت أن النعش سينقل غداً صباحاً على الساعة الحادية عشرة. وكان كل أملي أن يحضر الطبيب ليعلم أنني لم أمت. فقد وقعت عبارة "الدفن" كالصاعقة على مسمعي. لا شك أن الطبيب سيعمل على إيقاظي، وأعود إلى مارغريت المسكينة.

حضر الطبيب في ساعة متأخرة، لاهثاً متعباً مستعجلاً ، فاقترب مني بخطى سريعة. ولست أدري هل لمس يدي أو جس نبضي أو ماذا فعل. ثم سأل الحاضرين: "على أي ساعة وافته المنية؟!" وددت أن أصرخ في وجهه، أن ألعنه، أن أنتقم، أن أصفعه..، ولكن أنّى للميت أن ينتقم! وغادر الغرفة فذهبت معه حياتي، وتأكدت أنني إذا لم أستيقظ قبل الحادية عشرة صباحاً، سيدفنونني حياً. وفي الصباح حضر رجال بالنعش ووضعوني داخله، فوضعوا الغطاء ودقوا المسامير بسرعة، وشعرت الآن أنها النهاية، ونقل الصندوق إلى المقبرة ففقدت وعيي ولا أدري كم من الوقت دامت هذه الحالة.

حلمت حلماً مزعجاً اشتد فيه الضجيج والصراخ، فأعاد هذا إلى وعيي، وزالت حالة الإغماء والشلل، فعدت إلى الحياة، وعرفت الحقيقة المفزعة عندما وجدت جدران التابوت تحيط بجسمي النحيل، فأطلقت صيحات يائسة، ولكن ما جدوى ذلك وأنا أرزح تحت أطنان التراب. بذلت كل جهدي لأهدئ روعي، وكان النعش واسعاً فحركت أصابعي طول زاوية الغطاء، فجرحني مسمار طويل خارج اللوحة. نزعته بعد جهد وأردت أن أحفر به شقاً طولياً وسط الغطاء، ثم أنقلب لأرفع الغطاء بظهري. ولكنني تأكدت أنني سأموت اختناقاً إذا انهال عليّ التراب. وفجأة تذكرت أن عمال الدفن في الخنادق العامة يتركون جهة الرجلين من النعش بارزة ليضعوا نعشاً آخر بقربها. فإذا كان هذا هو حالي، يكفي أن أكسر اللوحة جهة الرجلين لأنجو بنفسي.

بدأت أعاني من ضيق التنفس، ومن البرد ومن الجوع، وأخذني الرعب من جديد ولكن إرادة الحياة تغلبت مرة أخرى، فبدأت أدفع اللوحة جهة الرجلين بكل ما بقي لي من قوة؛ إذ بهذه الخشبة تنزلق فجأة فوجدت رجلي في الهواء. كان توقعي سليماً، فقد ترك عمال الدفن الخندق مفتوحاً جهة الرجلين لدفن توابيت أخرى. لم

أصـــدق أنني بين الأحياء أتنفس وأنعم بالنور والدفء، إلهي ما أوحش ظلمة القبر، وما أجمل الهواء والدفء والنور.

كـــان عمال الحفر قد تركوا بعض أدواتهم في الخندق ، فاستعنت بها لإعادة اللوحة إلى مكانها، وأعدت الوضع كما كان عليه لكي لا يعلم أحد بأنني عدت إلى الحياة. خرجت من الخندق وسرت في طريق عام، ثم وقعت على الرصيف مغمى عـــلي. وعـــندما عاد إلى الوعي، وجدت نفسي في منزل طبيب متقاعد قال لي إنه لاحـــظ أن حالتي غريبة فأراد أن يدرسها. واستأذنته ذات يوم لزيارة الفندق الذي نزلنا فيه في شارع دوفين. وخشيت إن مثلت فجأة أمام مارغريت أن تفقد صوابها أو يصـــيبها مكروه، فآثرت أن أدخل إلى مطعم في أسفل الفندق، ولم يكن يستطيع أحـــد أن يعرفني فقد نمت لحيتي وتغيرت ملامح وجهي. وما إن جلست إلى طاولة حـــتى دخلت العجوز غابين لتشتري فنجاناً من القهوة. نشرت جريدة أمام وجهي، وأصغيت باهتمام، فسمعت الحديث التالي بينها وبين عاملة :

– وماذا عن الأرملة الشابة يا مدام غابين؟

– لن تجد فرصة أفضل ، فالسيد سيمون رجل غني ورث ثروة كبيرة؛ وقد عـــرض عـــليها أن تصـــحبه إلى مدينـــته لتعيش مع عمته. هزت العاملة رأسها وابتسمت، وكأنها لا تود أن تعلق على الموضوع، فأضافت العجوز غابين :

– لا شـــك أن العلاقة ستنتهي بالزواج، لقد تركا باريس، ولعلها ستعيش مع ســـيمون حياة سعيدة. أما المرحوم زوجها فلم يكن يكسب شيئاً، بالإضافة إلى ذلك فقد كان نحيلاً عليلاً.

خـــرجت من المطعم أسير ببطء ورجلاي لا تكاد تحملاني. وشاهدت ظلي الهـــزيل فابتســـمت. جلست في حديقة لو كسنبورغ وتخيلت مارغريت سعيدة في حياتها الجديدة، وقد أصبح لها أولاد... فقررت ألا أبحث عنها وألا أقلق حياتها. أنا ميت الآن، والموتى لا يغارون. إذا من الأفضل أن أظل ميتاً بالنسبة لها.

◈ الأمير السعيد (للكاتب الإنجليزي أوسكار وايلد)

يقــف تمثال الأمير السعيد على منصة عالية، في موقع مرتفع يشرف على المديــنة. طــلي تمثاله بأوراق ذهبية، صنعت عيناه من ياقوتاتين براقتين، وعلى مقــبض سيفه ياقوتة حمراء. وكان الناس معجبين بتمثال الأمير الجميل وهو يطل مــن عــلوه على المدينة. وذات مساء كان طائر السنونو يحلق بين المباني، ولما شــاهد تمثال الأمير حط بين رجليه لينام. وما إن أغمض عينيه حتى سقطت قطرة مــاء على رأسه، ثم سقطت قطرة ثانية وثالثة. رفع السنونو رأسه فلم ير سحبا بل كــانت السماء مزينة بالنجوم. وحول نظره نحو التمثال فشاهد عيني الأمير السعيد مغرورقتين بالموع، فسأله :

لمــاذا تــبكي أيهــا الأمير؟ فقال الأمير : إنني أشاهد في منزل بعيد امرأة فقيرة، وبجانبها ابنها المريض يبكي ويطلب منها برتقالة. إنها حزينة ومتعبة. فهل لــك أيها الطائر أن تأخذ الياقوتة الموجودة على مقبض سيفي، وتسلمها لتلك المرأة المســكينة؟ فعل السنونو ذلك، ولما رجع طلب منه الأمير أن يبقى إلى جانبيه ليلة أخرى.

وفــي المســاء شــاهد الأمير شاباً فقيراً في حجرة صغيرة يحاول أن يتمم مســرحية مستعجلة ليبيعها... غير أن الجوع والبرد لم يتركا له قدرة على الكتابة. فقــال الأميــر للســنونو هل لك أيها الطائر أن تأخذ إليه ياقوتة من عيني ليبيعها ويصــلح حاله. فتردد السنونو برهة ثم نزع من عين الأمير ياقوتة وسلمها للشاب. عــزم الســنونو مرة أخرى على السفر نحو الجنوب، نحو المناطق الدافئة، ولكن الأمير سأله أن يبقى معه ليلة أخرى.

قال الأمير للسنونو إنى أرى طفلة تبيع علب الثقاب، وقد وقعت جميع علب الثقاب فى الميزاب. إنها حزينة، تمشى حافية، وهى تبكى خوفاً من أبيها إذا لم تعد إلى المنزل بثمن علب الثقاب. خذ أيها السنونو ياقوتة العين الأخرى وسلمها للفتاة. فعــل الطائــر ذلك، وعاد إلى مكانه بين رجلي الأمير، فقال له هذا الأخير: الآن بوســعك أيها الطائر الحنون أن ترحل نحو الجنوب فقد اشتدّ البرد فى هذه المدينة.

فأجاب السنونو كلا ياسيدى لا أفارقك وقد أصبحت أعمى، سأبقى معك لترى الدنيا بعيني. ونام بين رجلي الأمير.

في اليوم التالي طلب الأمير من الطائر أن يحلق فوق المدينة ويقص عليه ما يرى. قال الطائر إنه شاهد الأثرياء ينعمون بالأكل والدفء في منازلهم الجميلة، بينما يقف الشحاذون أمام الأبواب، وشاهد أطفالاً شحبت وجوههم من الجوع، وشاهد كثيراً من علامات الفقر والبؤس والحرمان. قال الأمير إن بدني مغطى بأوراق ذهبية رقيقة، فعليك أن تأخذها ورقة ورقة، وتوزعها على المعوزين.

أنجز السنونو هذه المهمة على أحسن ما يرام، وأصابه التعب وهجم الشتاء واشتدّ البرد ووهنت قواه. حلق مرة أخيرة حول الأمير وقبله، وسقط ميتاً بين رجليه. في تلك اللحظة حدثت فرقعة كبيرة داخل تمثال الأمير، لقد انفجر قلبه الرصاصي إلى شطرين. وفى اليوم التالى لاحظ رئيس البلدية أن تمثال الأمير فقد رونقه ولم يعد لائقاً بذلك الميدان، فأمر بإذابته. وعندما وضع في الفرن لاحظ العمال أن قلب التمثال لا يذوب مثل بقية التمثال؛ فأخرجوه ورموه في كومة قمامة حيث كانت ملقاة جثة السنونو.

قال الإله لأحد ملائكته "إئتني بأثمن شيء في المدينة"! طاف الملك بالمدينة وعاد إلى ربه بالقلب الرصاصي وجثة السنونو. فبارك الله اختيار الملك وقال "سيصدح هذا السنونو فى جنتى، وسيحمدنى الأمير السعيد فى مدينتى الذهبية".

◈ الزوج الساذج (حكاية هندية) :

علم رجل أن زوجته تخونه مع رجل آخر ، ففكر طويلاً ثم قال لها ذات يوم "سأسافر غداً إلى قرية بعيدة، وسأعود بعد بضعة أيام. ولما غادر المنزل أسرعت الزوجة فأبلغت عشيقها الخبر. اختفى الزوج في غابة مجاورة طوال النهار، ودخل خفية بعد الغروب، واختفى تحت السرير. وحضر العشيق ليلاً؛ فاستشاط الزوج غضباً، غير أنه رأى أن يصبر حتى يعرف سلوك زوجته. وأغلقت الزوجة باب الغرفة، وبينما هي ترتب السرير لتنام مع عشيقها ارتطمت رجلها بجسم زوجها. فعرفت أن زوجها لم يسافر، وأنه لجأ إلى الحيلة ليكشف أمرها.

غمزت عشيقها واضعة يدا على فمه مشيرة بالأخرى إلى أسفل السرير، وقالت بصوت مرتفع : اسمع جيداً أيها السيد النبيل، لقد ذهبت هذا الصباح إلى المعبد لأستنجد بالإلهة، فسمعتها تقول لي: أعرف مدى تفانيك في خدمتي، ولكن كل ما أقول لك هو أنك ستصبحين أرملة بعد ستة أشهر. فانحنيت أمامها وطلبت منها أن تساعدني، وقلت: أنت تعرفين كم أحب زوجي، وإنني مستعدة لأضحى بنفسي لإنقاذ حياته. ساعديني أيتها الإلهة العظيمة ليعيش زوجي مائة عام. فأجابتني: هناك حل واحد، فهل أنت مستعدة للتضحية من أجل زوجك؟ قلت نعم، أفديه بحياتي. فقالت الإلهة إذاً الحل الوحيد هو أن تنامي مع رجل آخر لكي يأخذ الموت هذا الرجل ويعيش زوجك مائة عام.

هذا هو السبب الذي دعوتك من أجله أيها الرجل النبيل، أرجوك أن تسامحني، وها أنا بين يديك فافعل ما تشاء، إذ علينا أن ننفذ أمر الإلهة. وبعد حين خرج الزوج من تحت السرير، وراح يعانق زوجته ويشكرها على هذه التضحية التي أنقذت حياته.

◈ زوجة الفلاح (حكاية هندية) :

كان لفلاح مسن زوجة جميله. وشاهدها ذات يوم شاب فأعجب بها، وأظهر حــبه لها قائلاً "كيف تعيش فتاة مثلك مع هذا العجوز؟ ألا ترغبين في الزواج من شــاب فقير مثلي؟". فكرت الفتاة مليّا ثم قالت: زوجي غني وأنا أعرف أين يخفي أموالــه، إنــه بوســعنا أن نبتعد عن هذا المكان ونعيش سعيدين في رخاء وهناء. وعندما نام زوجها أخذت المال والتحقت بصديقها الجديد.

أردفهــا عــلى بغلته وسافرا حتى وصلا إلى نهر كبير، فقال لها: أخاف إذا عــبرنا الــنهر معاً أن يضيع المال في هذا التيار السريع، فهل تفضلين أن تعبري الــنهر أولاً، أم أعبر أنا لأضع المال في مكان آمن، وأعود إليك لأصطحبك عبر الــنهر. فقــالت الفــتاة: المهم أن لا يضيع منا المال، فاذهب أنت أولاً، وعد إلي. وعــبر الشــاب الــنهر عــلى بلغته دون رجعة، فلم تنعم الفتاة بالمال ولا بالشاب الوسيم.

◈ من يملك الحقيقة ؟

ما من أحد يمكنه أن يدعى أنه يملك الحقيقة وحده. وتساق الحكاية التالية للتدليل على ذلك. جيء بستة عميان أمام فيل ضخم، وطلب من كل واحد منهم أن يصف هذا الحيوان. لمس أولهم جانبه وقال إنه يشبه الجدار؛ ولمس الثاني أحد نابيه وقال إن هذا الحيوان أشبه بالسيف؛ ولمس الثالث خرطومه وقال إنه يشبه أفعى كبيرة، ولمس الرابع ساقه وقال إنه يشبه جذع الشجرة؛ ولمس الخامس أذنه وقال إنه أشبه بالمروحة؛ ولمس آخرهم ذيله فقال كلا، إنه يشبه الحبل.

وسأل رجل أعمى عن الشمس فقيل له إنها تشبه طبقاً نحاسياً، وضرب الطبق النحاسي وسمع زينه، ثم سمع صوت الجرس فظن أن الشمس تشبه الجرس.

وقال له رجل آخر إنّ الشمس تشبه الشمعة. فلمس الشمعة ليعرف شكل الشمس. وبعد مدة لمس قبضة مفتاح خشبي فظن أن ذلك هو شكل الشمس. وهكذا نجد معظم الناس يتصورون الحقيقة في حدودها الضيقة حسبما يمليه عليهم خيالهم وظروفهم وتجاربهم.

من هي الأم ؟ (حكاية صينية) :

كـــان أخـــوان يعيشـــان فـــي منزل واحد، فتزوجاً في شهر واحد، وكانت الزوجـــتان تـــتوقعان أن يولد لهما طفل. غير أن الزوجة الكبرى فقدت حملها قبل الولادة بقليل، فحزنت على ذلك ولكنها أخفت الأمر على الجميع.

ولدت الزوجة الصغرى طفلها، فسرقته منها الزوجة الأخرى ليلاً، وزعمت أنـــه طفلها. ورفعت القضية إلى القاضي، فأمر بأن يوضع الطفل على بعد بضعة أمتار، وأن تسرع كل منهما لأخذه عندما يعطي الإشارة.

وصـــلت الأمـــان إلى الطفل في وقت واحد، وراحت كل منهما تجذبه إليها بقـــوة، غيـــر أن إحداهما أرخت قبضتها خشية أن يلحق ضرر بالمولود. ابتهجت الأخـــرى باســـتيلائها عـــلى الطفل، ولكن القاضي قرر أن الأم الحقيقية هي الأم الصغرى التي توقفت عن جذبه بقوة رأفة به.

الشمعة المنطفئة (S. GILLIAN)

كـــان لرجل ابنة واحدة فأحسن تربيتها، وبذل كل جهده لرعايتها. غير أنها مرضت وماتت ولم تتجاوز العاشرة. حزن على فراقها حزناً شديداً، واعتزل الناس وأصبحت حياته شقاء ودموعاً. وذات ليلة رأى في منامه كأنه في الجنة، وكأن تلك الليلة كانت ليلة احتفال بالبنات اللواتي فارقن الحياة في سن العاشرة. كانت الفتيات يحملن شموعاً، يمشين في صفوف منتظمة وقد لبسن أجمل الملابس.

ولاحـــظ أن طفـــلة من بينهن تحمل شمعة منطفئة، فاقترب منها وحدق فيها فـــإذا هـــي ابنـــته. ضمها إلى صدره والدموع تنهمر من عينيه، وسألها : لماذا يا حبيبتي جميع الشموع مضاءة وشمعتك منطفئة؟

فعانقته بحرارة وشوق وقالت : لقد أطفأتها دموعك يا أبي.

◈ هدية عيد الميلاد (O. HENRY)

لـــم يـــبق لعيـــد ميلاد سيدنا المسيح إلا يوم واحد. ولم يشتر جيم بعد هدية لزوجـــته ديلا ليعبر عن حبه لها، وسعادته بوجودها إلى جانبه. إن مرتبه لا يكفي حـــتى لشراء الاحتياجات الأساسية. ولا يمكن لهذا العيد أن يمر كذلك دون أن تقدم ديـــلا هدية لزوجها العزيز. ولكن كيف؟ ومن أين؟ كان لديلا شعر طويل وجميل، فذهـــبت صـــباحاً بعد خروج زوجها، إلى دكان حلاق السيدات وعرضت عليه أن يشتري شعرها. وأعجب الحلاق بشعرها فعرض عليها مبلغاً لم تتردد في قبوله.

ذهبت ديلا إلى محل لبيع الساعات، واشترت بذلك المبلغ سلسلة فضية كان زوجهـــا يحـــلم بشرائها ليعلق فيها ساعته الثمينة. أما جيم فقصد، قبل عودته إلى المنزل، محلاً للساعات حيث باع ساعته، لأنه لم يجد حلاً آخر لشراء هدية جميلة كانت زوجته تفكر في اقتنائها. ودهش جيم عندما عاد إلى المنزل ورأى أن زوجته قصـــت شـــعرها. غير انها أسرعت نحوه فعانقته، وأكدت له أنها كانت ترغب في قص شعرها منذ مدة، وأن شعرها سينمو بسرعة.

وأخـــرج جيـــم مـــن جيـــب معطفه علبة فقدمها لها وهو يقول "لا عليك يا حبيبـــتي، فأنا أحبك ومعجب بك سواء كان شعرك طويلاً أم قصيراً". وفتحت ديلا الهديـــة فوجدت مجموعة من الأمشاط المزخرفة، فقبلت زوجها وهي تقول: "شكراً يـــا حبيـــبي، كم أنا فخورة بك وسعيدة بحبك". ثم ركضت إلى غرفة النوم وعادت بهديـــتها، وحاولت أن تعلق الساعة على صدره بيدها. ولكن سرعان ما أدركت ما حصـــل، فاحتضنته ودموع السعادة تلمع في عينيها. وقضى الزوجان عيداً سعيداً، مبتهجين بالحب العميق الذي يربط قلبيهما.


القسم السادس
موضوعات متنوعة

◈ نساء شهيرات :

◈ حواء :

ورد في التوراة ما يلي :

... ورأت المرأة (حواء) أن الشجرة طيبة للأكل ومتعة للعيون، فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت زوجها فأكل فانفتحت أعينهما، فعرفا أنهما عريانان...؛ ونادى الإله آدم وقال له "هل أكلت من الشجرة التي أمرتك ألا تأكل منها؟" فأجاب آدم "المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت". وقال الرب للمرأة "لأكثرن مشقات حملك تكثيرا..." وقال لآدم "لقد سمعت لصوت امرأتك فأكلت من الشجرة التي أمرتك ألا تأكل منها، فملعونة الأرض بسببك، بمشقة تأكل منها، وبعرق جبينك تأكل خبزاً". فأخرجه الرب من جنة عدن ليحرث الأرض التي أخذ منها.

◈ سارة وهاجر :

تروى التوراة أنه لما تقدم سيدنا إبراهيم في السن، ولم يرزقه الله ولدا يرثه، أذنت له زوجته سارة بأن يتزوج هاجر الخادمة المصرية. ولما حملت منه، هانت في عينها سيدتها سارة، فشكتها سارة لإبراهيم. فقال لها هذه خادمتك فافعلي بها ما تشائين. فأذلت سارة هاجر، فهربت. ولقيها ملاك قال لها عودي إلى سيدتك وتذللي لها. ثم ولدت هاجر طفلاً أسماه إبراهيم إسماعيل.

وشاء الرب بعد ذلك بسنوات أن تلد سارة كذلك ولدا سماه أبوه إسحاق. وكان إبراهيم قد بلغ من العمر مائة سنة. وذات يوم قالت له سارة "أطرد هذه الخادمة وابنها، فإنني لا أريد أن يرث ابن الجارية مع ابني إسحاق". وتروي التوراة أن الرب خاطب إبراهيم بعد ذلك وقال له "اسمع قول سارة يا إبراهيم، فإن اسحاق سيكون له نسل باسمك، أما ابن الخادمة فهو كذلك سأجعله أمة عظيمة".

"وفي الصباح أخذ سيدنا إبراهيم خبزاً وقربة ماء، فأعطاهما هاجر، وجعل الولد على كتفها، وصرفها. وتاهت هاجر في برية بئر سبع، ونفد الماء من القربة.

فوضـــعت إســماعيل تحت شجرة شيح، وجلست بقربه وهي تبكي. وعندئذ ناداها مـــلاك الرب فقال لها: لا تخافي فإن الله سمع صوت الصبي، قومي فخذي الصبي وشـــدي عــليه يــدك، فإن الله جاعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فرأت بئر ماء، فملأت القربة وسقت الصبي"[1].

◈ الملكة حتشبسوت :

هـــي أول امـــرأة تتولى الحكم في مصر في هيئة رجل. تولت مقاليد الحكم عـــام 1503 قـــبل الميلاد، وارتدت رموز السلطة ووضعت اللحية المستعارة كما يفعـــل الفرعون. وعملت حتشبسوت على تشييد المباني والمعابد، وأهمها معبد دير البحري؛ وحرصت على أن تضم نقوشه الإشارة إلى مولدها المقدس، وإلى اختيار الإلـــه أمون لها لتكون الفرعون الحاكم، وإلى حفلة تتويجها . حكمت نحو عشرين ســـنة، ثـــم واجهت منافسة شديدة من شريكها في الحكم بعد أن أصبح قائد الجيش. ولم يتأكد بعد ما إذا كانت أقيلت من السلطة وقتلت، أم ماتت موتاً طبيعياً.

◈ دليلة (وشمشون) (من التوراة)

أحـــب شمشون العظيم امرأة تدعى دليلة، فطلب منها أعداؤه أن تخبرهم أين تكمـــن قوته العظيمة، ووعدوها بأن يدفعوا لها مبالغ كبيرة. وسألت دليلة شمشون أيـــن تكمـــن قوتـــه فقال لها "إذا أوثقوني بسبعة حبال لم تجف بعد، زالت قوتي". وجاءت بسبعة حبال وأوثقته فمزقها بسهولة. فقالت له: "أنت تخدعني وتخفي عني الحقيقة".

شمشـــون : إن ضـــفرتي سبع خصال من شعر رأسي، وغرستها بالوتد في الحـــائط، أصبحت ضعيفاً كغيري من الناس. فتركته حتى نام ثم فعلت ذلك بشعره. ولما استيقظ اقتلع الوتد من الجدار بسهولة.

---

(1) جميع ما أخذ من العهد القديم أو من الأناجيل يصحح على أساس ما ورد في القرآن الكريم.

دليـلة : كيف تدعى أنك تحبني وتكذب علي، أناشدك أن تخبرني أين تكمن قوتك الحقيقية.

شمشـون " الحقيقـة أنني نذير لله منذ كنت في بطني أمي، ولذلك لم يحلق شعر رأسي أبداً. فإذا حلق زالت قوتي.

نومـته دليلة ذات يوم على ركبتيها، ودعت رجلاً فحلق شعر رأسه. ودعت الأعـداء فقبضـوا عليه، وفقأوا عينيه، وأوثقوه بالسلاسل، وأخذوه إلى مدينة غزة ليديـر الـرحى. وفـي النهاية هدم شمشون البيت الذي اجتمع فيه أعداؤه ليحتفلوا بانتصـارهم عليه، فقتل عدداً كبيراً منهم ومات معهم وكانت نهايته المؤلمة بسبب خيانة امرأة.

◈ بلقيس ، ملكة سبأ :

حكمت بلاد سبأ (جنوب غرب شبه الجزيرة العربية) في القرن العاشر قبل الميـلاد، وكانت ملكة ثرية. واشتهر سكان سبأ بالتجارة والزراعة. وتروي التوراة أنـه عندما سمعت بلقيس بالنبي سليمان الحكيم جاءت إلى مدينة أورشليم لتتعرف عليه وتتأكد مما يقال عن ثروته وحكمته..

دخـلت الملكة أورشليم في موكب عظيم من جمال محملة بأنواع الطيبات ، والذهب والحجارة الكريمة. ويحكى أنها طرحت على سيدنا سليمان أسئلة وألغازا، فأجـاب عـلى أسـئلتها وفسر لها ألغازها؛ وقدم لها سليمان هدايا ثمينة، ثم عادت وحاشـيتها إلى بلادها . كما تروي بعض الأخبار، أنه تزوجها، وأن يهود الحبشة هم من سلالتهما.

◈ هيلين من طروادة :

هـي صاحبة الوجه الجميل الذي جند ألف سفينة ، وتسبب في حرب مدمرة وهي حرب طروادة. حدث ذلك في اليونان، حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وملخص الحكاية، كما يرويها لنا هوميروس في الإلياذة، أن أمير طروادة، باريس

اخــتطف هيــلين زوجــة مــلك اســبارطة، وأخذها إلى بلده طروادة. ولما تجمع اليونــانيون وجــاؤوا ليستردوها، نشبت الحرب بين طروادة واليونان. وفي النهاية قتل باريس، ودمرت طروادة، وعادت هيلين الجميلة مع زوجها.

◈ **عليسة :**

كــانت عليســة، ابــنة مــلك صور تيرون الفنيقي، امرأة جميلة ذكية قوية العــزيمة. زوجها أبوها بالتاجر الثري عاشر باس الذي عرف بإخلاصه وطموحه وأخلاقــه الحميدة. وبعد وفاة الملك تولى الحكم أخوها بيجماليون الذي كان يخشى أن ينافســه زوج أخــته على الملك، فقتله. حزنت عليسة على زوجها، وأصبحت تخشــى أخاهــا الشرير أن يؤذيها ليستولي على ثروتها. وذات ليلة جمعت كل ما تملك فوضعته على متن سفينة، وحملت من الماء والزاد ما استطاعت، وفرت من صور، برفقة مجموعة من مواطنيها.

وبعــد رحلة شاقة ألقت الرحال في مكان جميل من شواطئ لوبيا (تونس)، فعــزمت على الاستقرار هناك. اشترت قطعة أرض من رئيس القبيلة، وبدأت هي ورجالها في بناء مدينة سمتها قرط حَدَشْتْ أي المدينة الجديدة، قرطاج. وكان ذلك في القرن التاسع ق.م. وشجعت رجالها على التزوج ببنات القبيلة، وأخذت التجارة تزدهر والمدينة تتسع . وأصبحت الملكة الجميلة تعرف لدى السكان المحليين باسم ديدون.

ويــروي الشاعر الروماني، فيرجيل، الذي عاش في القرن الأول ق.م. في قصــته الأســطورية "الإنيــاذة" أن قصــة عليسة كانت معاصرة لحرب طروادة الشــهيرة، وأن بطل قصته إينياس فرمن طروادة بأسطوله، بعد انتصار اليونانيين، وأن الرياح دفعته حتى وصل إلى شاطئ قرطاج فالتقى بالمملكة عليسة وأقام معها مدة؛ وأن الملكة أحبته وطلبت منه أن يبقى معها. غير أنه رفض طلبها لأن الآلهة كــانت تدفعــه لــلذهاب إلى شــواطئ إيطاليا الغربية لتأسيس مدينة روما، لتكون عاصــمة لإمبراطورية عظيمة. وتروي الانياذة أنه عندما غادر الضيف المحبوب الملكة، انتحرت.

أمـــا قـــرطاج ، مديـــنة الفـــتاة الفينيقية الشجاعة، فقد عاشت قروناً طويلة، سيطرت على غرب البحر المتوسط ، وأنشأت حضارة مزدهرة.

❖ **زنوبيا :**

كـــانت زنوبيـــا امرأة جميلة مثقفة، غنية، طموحة، تتكلم عدة لغات. وكان بلاطهـــا يضـــم عدداً من العلماء والشعراء. كان زوجها يحكم تدمر، تحت وصاية رومـــا ، فـــتآمرت عليه عام 267ق.م. وقتلته هو وابنه من زواج سابق، ونصبت ولدهـــا ملكاً تحت وصايتها ، ثم أعلنت نفسها ملكة تدمر. ولم تقبل أن تظل بلادها خاضعة لسيطرة الروم فثارت عليهم، واستولت على جزء كبير من آسيا الصغرى. جهز الإمبراطور أورليا جيشاً لمحاربتها وحاصر تدمر وهزم جيشها وأسرت هي وابنها ونقلا إلى روما، حيث تزوجت وقضت بقية حياتها هناك.

❖ **سالومه :**

كان هيرودس أنتباس يحكم منطقة الجليل من طرف روما، في القرن الأول بعد الميلاد. ويروي الإنجيل أن هيرودس سجن القديس يوحنا لأنه انتقد زواجه من هيـــروديا زوجـــة أخيه. فنقمت عليه هذه الأخيرة، وظلت تتحين الفرص للتخلص مـــنه. وذات يوم أقام الملك هيرودس حفلة بمناسبة عيد ميلاده، حضرتها سالومه، ابنة زوجته، وكان معجباً بها. رقصت سالومه رقصاً جميلاً مثيراً سحر لب الملك وجلساءه، فوعدها بأنه سيعطيها ما تريد حتى لو طلبت نصف مملكته.

ســـألت ســـالومه أمها ما طلبها، فهمست لها أن تطلب رأس يوحنا الذي ما انفـــك يعيرها. فعادت سالومه إلى الملك وطلبت منه رأس يوحنا، فتردد قليلاً، غير أنـــه لـــم يـــرد أن يرجع عن وعده لها أمام ضيوفه. فأرسل حالاً من يأتيه برأس القديس يوحنا، وقدمته سالومه بدورها لأمها.

❖ **كليوبترا :**

كـــانت روما تعتبر هذه الملكة الفتية السمراء أخطر على وحدتها من جيش جـــرار. فقد تنازعت كليوباترا على الحكم مع أخيها، وعندما حضر يوليوس قيصر

إلى مصـــر فتنته بجمالها فحارب إلى جانبها وساعدها على تولي الحكم في مصر. وعندما قتل يوليوس قيصر، تحالفت مع مارك أنطوني، حاكم المنطقة الشرقية من الإمـــبراطورية الـــرومانية، وأعجب هو الآخر بجمالها وذكائها وتزوجها. وعندما انهـــزم جيـــش كليوباترا وجيش مارك أنطوني في معركة Actium عام 31 ق.م، عـــادا إلى مصـــر عـــودة المنهزم. ويروى أنها أشاعت خبر انتحارها فلما عرف انطوني ذلك انتحر. بعد ذلك انتحرت هي الاخرى بأن وضعت أفعى في فراشها.

◈ جان دارك :

ولدت جان دارك عام 1412، وكانت فلاحة تقية، بدأت تسمع "أصواتاً" أثناء صـــلواتها تدعوهـــا لمحاربة الإنكليز وإنقاذ فرنسا من سيطرتهم. وفي عام 1429 قررت أن تلتحق بولي عهد فرنسا شارل في مدينة شينون. فقصت شعرها وارتدت ملابـــس رجـــل، وأبـــلغت ولي العهد أن الإله كلفها بالعمل على تحرير فرنسا من الإنكليز. طلب هذا الأخير من مجموعة من رجال الدين ومستشاريه أن يحققوا في أمر هذه الفتاة التي لم يتجاوز عمرها 17 سنة. وفي النهاية ولاّها قيادة جيشه.

توجهـــت جـــان دارك بجيشـــها إلى مدينة أورليان فطردت منها الإنكليز؛ وألحقـــت بهـــم هـــزيمة أخرى فتحت الطريق لتتويج ولي العهد شارل السابع، في مديـــنة رينس، ملكاً على فرنسا، في شهر جويلية من عام 1429. واستمرت جان دارك فـــي تشـــجيع الـــناس على محاربة الإنكليز، إلى أن هزمت في معركة أمام باريس، أسرها البورغنديون المتعاونون مع الإنكليز وسلموها للإنكليز الذين قادوها إلى مديـــنة روان، وحوكمت أمام محكمة تفتيش فرنسية تحت نفوذ الإنجليز، وبعد اســـتجواب قاس وطويل حكم عليها بالإعدام حرقاً، وأحرقت حية في ماي 1431. وفي عام 1920 ضمتها الكنيسة إلى قائمة القديسين.

◈ الهندوسية :

الهندوسية ديانة قديمة، تشمل تعاليمها جوانب دينية وروحية واجتماعية وثقافية وفنية واقتصادية. ويمكن القول إنها خلاصة لمختلف جوانب الحضارة الهندية خلال الثلاثة آلاف سنة الماضية.

الإله في الهندوسية هو الروح الكونية القدسية الخلاقة، وهي روح جميع الأشياء وتدعى "براهمان".

ولكن وجود هذه القوة الكونية القدسية لا تعني ضرورة الإيمان بإله واحد. بل إن الهندوسية (أو البرهمانية) تشمل مجموعة من الآلهة أهمها ثلاثة :

1- الإله "براهما" الذي خلق جميع ما في الكون.

2- الإله "فيشنو" الذي يخفف من قوى الشر ويسهر على استمرار النظام الكوني.

3- الإله "شيفا" وهو القوة الهدّامة التي تقضي على الأشياء والأحياء التي بلغت أجلها لتحل محلها كائنات جديدة.

ومن تعاليم الهندوسية :

1- الإيمان بهذه الروح الكونية والحقيقة الخالدة والقوى العليا التي تتمثل فى "البراهمان".

2- الإيمان بالآلهة الثلاثة : براهما ، فيشنو وشيفا.

3- الإيمان بالكتب المقدسة وهي فيداس، براهماناس، وأوبانيشادس ويعتبر كتاب الفيداس (Vedas) سلطة روحية عليا تشتمل على حقائق نهائية.

4- الإيمان بوحدة الحياة في جميع المخلوقات، ومن ثم احترام جميع أنواع الحياة وأشكالها.

5- الإيمان بعودة الروح إلى الحياة لتتقمص أشكالاً مختلفة من المخلوقات، من الشياطين إلى الآلهة. وتقول التعاليم الهندوسية إن حياة واحدة لا تكفي لكي يتطهر الإنسان من السيئات والشرور التى ارتكبها، ومن الأخلاق السلبية مثل الحقد والأنانية والكبرياء الخ، لذلك لابد أن تعود الروح إلى الحياة، في شكل

مـــن أشكال الحياة الرفيعة أو المنحطة بناء على ما قدمت من أعمال في حياتها السابقة.

وتظل الروح بعد موت صاحبها تتقمص في كل مرة شكلاً جديداً من أشكال الحيـــاة. ويظـــل هـــدف الإنسان هو التخلص من هذه الدورات المتتالية من حياة، موت، حياة... ، ولا يحقق ذلك إلا إذا عمل ما يساعده على الخلاص وبلغ مستوى الحياة الطاهرة، والاتحاد مع الروح الكونية العليا، البراهمانية.

وهناك سبل عديدة لبلوغ هذا المستوى أهمها :

1- الإخلاص للإله الذي يختاره الشخص، والتفاني في حبه.

2- اتباع السلوك الأخلاقي السليم والاستغراق في التأمل الروحي (اليوغا).

3- أداء الطقـــوس الدينية، والواجبات الاجتماعية (العمل عبادة) على أكمل وجه، دون الرغبة في السلطة أو في مزايا شخصية.

ويلاحظ أن الهندوسية تتضمن مجموعة من تعاليم ديانات مختلفة ، وهي لا تحارب الديانات الأخرى ولكن نعتبرها ناقصة.

◈ التقمص :

كل شيء في هذا العالم يتغير، فالكون الفسيح يولد، يعيش فترة ثم يفنى، ثم يولد من جديد. وإذا كانت المخلوقات تفنى فإن أرواحها خالدة. فالموت ينهي وجود الجسد، إنساناً كان أم حيواناً، أما الروح فتبدأ حياة جديدة في شكل من أشكال الحياة المتنوعة من مملكة الإنسان أو الحيوان أو النبات.

وتظل الروح تنتقل من جسد إلى جسد، وتتكرر سلسلة التقمص وتستمر مراراً عديدة. فإذا كان الميت من أهل الخير والصلاح، تقمصت روحه شكلا من أشكال الحياة السامية الراقية السعيدة، وإن كان شريرا عادت روحه إلى الحياة في شكل من أشكال الحياة الوضيعة الشقية، لينال مستوى العقاب الذي يستحقه.

وجميع الأديان سواء منها الأديان السماوية أو الأديان التي وضعها الإنسان[1]، تقول بأنه ينبغي تشجيع الإنسان على فعل الخير، وردعه عن فعل الشر، وتسعى إلى تحقيق العدالة الإلهية بين الناس، لكي ينال الصالحون جزاءهم ويلقى الأشرار عقابهم. وبينما تقول الأولى بأن الثواب والعقاب يكونان في الدار الآخرة، حيث الجنة والنار، تقول الأخيرة بأن الثواب والعقاب يكونان في هذه الدنيا. وبما أن حياة المرء في الدنيا قصيرة لا تكفي لكي يؤدي جميع واجباته، ويتخلص من نقائصه ويكفر عن ذنوبه، فإن الوسيلة الوحيدة لتحقيق فكرة الثواب والعقاب هي أن تعود روح الميت لتعيش في جسده عيشة جديدة سعيدة راضية، أو لتصلح ما أفسده في الحياة السابقة وتذوق بعض أنواع الألم والشقاء.

وبما أن الروح تسبق وجود الكائن الحي الجديد، وتكون قد عاشت مراراً في أشكال حياة مختلفة (إنسان ، حيوان، نبات، حياة سامية أو وضيعة.. الخ) ترى نظريات التقمص أن المولود الجديد لا يأتي إلى الحياة وهو صفحة بيضاء، أي على الفطرة، بل يولد وهو يحمل معه ميراث الحيوانات والأشخاص الذين عاشت فيهم روحه. كما أن من يتلقى روح هذا المخلوق بعد وفاته سينعم بأفعال من سبقه إن كانت خيراً أو يشقى بها إن كانت شراً.

---

(1) أعني الهندوسية وغيرها من الديانات التي تقول بالتقمص.

وقـد تبنت فكرة التقمص ديانات شرقية عديدة (غير سماوية)، وقال به عدد مـن المفكـرين. وتـرى الهندوسية أن أفعال الإنسان وأفكاره هي التي تحدد نوع الحيـاة التي تتقمصها روحه بعد وفاته. فإذا أراد المرء أن ينقذ روحه من متاعب حياتهـا المقبـلة وشـقائها، وأن يحقق لها عيشة راضية مطمئنة، فما عليه إلا أن يحرص على التعبد البدني والفكري، وأن يسعى عن طريق التقشف واليوغا.. إلى أن تـتحرر روحه من جميع القيود المادية، وتصل إلى مرحلة الخلاص، فلا تعود لـلحياة الدنيـا، ولا تـتقمص شكلاً من أشكالها المادية، بل تلتحق بروح البرهمان وتتحدد معها.

وتعـتقد اليانيّـة[1]، كذلك أن أعمال الإنسان (سواء كانت صالحة أم سيئة) تربط روحه بسلسلة التقمص، وتظل روحه تعاني من وطأة الحياة والموت. ولينقذ روحه من حلقة التقمص المضنية يجب عليه أن يفرض على نفسه أسلوب حياة هو أشـبه بالانـتحار الـبطيء. وبطبيعة الحال لا يستطيع أن يحقق ذلك إلا نخبة من الناس. فعلى المرء مثلاً أن يعتزل الناس، وأن يتجنب جميع الملذات، وأن يمارس تقشفاً شديداً منهكاً، وألا يؤذي أي نوع من أنواع الحياة، وأن يعيش في عالم سكون وهدوء.

وفي البوذية تعود روح الميت إلى الحياة في شكل إنسان أو حيوان أو إله أو غير ذلك. وعلى من يرغب في إنقاذ روحه من عجلة التقمص أن يتبع تعاليم بوذا. وقـد غـزت فكـرة التقمص قديماً ديانات أخرى عديدة كما حدث ذلك لدى مملكة الأزتيـك في المكسيك، والأنكا في بيرو، ولدى قدماء سكان إنكلترا (DRUIDS). أما المسيحية فلا تعتقد بفكرة التقمص، شأن الأديان السماوية. غير أن هناك بعض الكـتاب أو المذاهـب الـتي تبـنّت فكرة التقمص. كما تجدر الإشارة إلى مذهب "السّـيخ"، وهم فئة هندوسية تأثرت بتعاليم الإسلام، تقول بوحدة الإله ولكنها تعتقد بفكرة التقمص.

(1) JAINISM – وهو دين نشأ في الهند في القرن السادس قبل الميلاد.

يذكـــر المؤرخ هيرودوت في كتابه "التاريخ" أن المصريين هم أول من قال بخـــلود الـــروح، وأنه عندما يموت الإنسان تسكن روحه جسد حيوان يولد في تلك اللحظة، وتظل تتنقل من حيوان إلى آخر حتى تتقمص جميع أنواع المخلوقات على الأرض، وفـــي البحار، والهواء. بعد ذلك فقط تعود إلى تقمص الإنسان. ويقولون بـــأن مجمـــوع المدة التي تتنقل فيها الروح، قبل أن تدخل جسم الإنسان، هي ثلاثة آلاف سنة.

ويقـــول Montaigne كـــأن ســـكان بـــلاد الغـــال يقولون بفكرة التقمص، ويـــربطونها باعتبارات العدالة الإلهية. فإذا كان المرء شجاعاً يُسكِنُ الإله روحه، بعـــد وفاتـــه، جسد أسد مثلاً، وإذا كان ماكراً، يسكن روحه جسد ثعلب، وإذا كان كـــثير الشـــهوات يسكن روحه جسد خنزير، وهكذا. ويقول فرويد إنه عندما بدأت الأديـــان تتبـــنى فكـــرة الحياة بعد الموت والحياة في الدار الآخرة، بدأت تفكر في وجـــود حيـــاة سابقة للحياة الحالية، وفي تناسخ الأرواح، وكل ذلك بهدف أن تجرد الموت من معناه المرعب، أي من كونه الفناء ونهاية الحي والحياة.

◈ **اليوغا :**

هــي فلسـفة هندية قديمة تعلم الإنسان تمارين بدنية وفكرية، وتدربه على أســاليب خاصة في الزهد (التقشف) ، والانضباط النفسي، والتأمل، من أجل توحيد قــواه الـبدنية والفكرية لتحقيق الانسجام مع نفسه والعالم من حوله، والاندماج مع الكائن الأسمى.

ومن التدريبات البدنية والفكرية ما يلي :

– الالـتزام بممارســات تقشفية وضوابط أخلاقية، والعمل على التحرر من الرغبات والامتناع عن ممارسة الجنس والحد من الأكل، والسعي إلى ضبط النفس وتهذيبها.

– ممارسـة تمارين بدنية لتعويد الجسم على الهدوء والمرونة والاسترخاء، ومن ذلك أن يجلس الإنسان في أوضاع اليوغا المعروفة لفترة طويلة.

– الـتدريب عـلى إتقان أسلوب التنفس والتحكم فيه، بهدف تعميق الشعور بالذات وتوثيق الارتباط بين التنفس والتفكير.

– إغـلاق نافذة الحواس على المنبهات الخارجية، والعمل على التحرر من تأثير المحسوسات والمحيط المادي الخارجي.

– تركيـز الوعي لفترة طويلة على شيء واحد: كلمة، صورة ، فكرة، (أي شيء)، وإبعاد كل شيء سواه.

– الاسـتغراق في التأمل الهادئ بأن يصب المرء وعيه على ذاته بحيث لا يشـعر بشيء خارجها. عندئذ يتحرر من القيود المادية والخارجية، ويشعر بالفرق بين الروح الحرة المنطلقة، وبين الظروف المادية التي تقيدها.

وقـد أصبحت اليوغا مشهورة في الغرب، في شكل مبسط يلجأ إليها الناس مـن أجـل الاسـترخاء وتنظيم التنفس، ولإصلاح شأن البدن المنهوك في جلوسه ووقوفه، ولتنظيم أسلوب الحياة ليحقق المرء قدراً من الانسجام مع نفسه والمحيط.

◈ كتاب الموتى :

كان قدماء المصريين يؤمنون بوجود حياة أخرى بعد الموت. وكتاب الموتى عبارة عن نصوص مكتوبة تشتمل على صيغ سحرية وإرشادات يستفيد منها الميت فـــي الـــدار الآخرة. وكانت هذه النصوص تباع للأشخاص لتوضع في قبر الميت، وتساعده على مواجهة صعوبات يوم الحساب. وقد انتشر استخدام كتاب الموتى في مصر منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد؛ وكان يجمع نصوصاً عديدة استخدمت لإرشاد الموتى قبل ذلك بفترة طويلة.

ويوضح هذا الكتاب بعض التجارب العامة التي تنتظر الميت، ومنها تجربة يوم الحساب عندما يقف الميت أمام مجلس قضاء مؤلف من 42 قاضياً، ليقرروا ما إذا كان جديراً ليدخل ملكوت أوزيريس OSIRIS إله الخصوبة والموتى.

ويطلب من الميت أن يؤكد أمام القضاة بأنه لم يكن سبباً أثناء حياته في قتل شخص، أو جوع أحد، وأنه لم يزن ولم يسرق، ولم يغش في الوزن... الخ.

وبعد مجلس القضاء يمر الميت بالتجربة الثانية، وهي أن يوضع قلبه (الذي يمثل روحه) في كفة ميزان، وتوضع ريشة (رمز الحقيقة) في الكفة الأخرى. فإذا تساوت كفتا الميزان سمح لروحه أن تنعم بمتع الجنة.

وهناك فرقة من البوذيين في التبت لها كتاب خاص بالموتى كذلك. غير أن تعاليمهـــا تقـــول بأنـــه لابد أن تمر 49 يوما بين موت الإنسان ولحظة عودته إلى الحيـــاة، عـــندما تقترب روحه من النور السماوي. فإذا كان من أهل الخير يشعر بالسعادة في الملكوت السماوية، وإذا كان من أهل الشر ترعبه هذه التجربة ويعود إلى الأرض ليبدأ حياة جديدة.

عجائب العالم القديم السبع



◈ **الأهرام** : أشـــهرها : أهـــرام الجيزة التي توجد على الجانب الغربي من نهر الـــنيل. بنيت أثناء حكم المملكة القديمة (2686–2160 ق.م). وهي الأعجوبة الوحيـــدة التي ما تزال قائمة حتى الآن. وأكبرها هرم خوفو الذي يبلغ ارتفاعه 150 مـــتراً، ويزيد طول كل جهة من جهاته على 230 متراً. وهو مبنى من كـــتل الحجارة التي يتفاوت وزنها من 2.5 إلى 15 طناً. والهدف من بنائها هو حماية جثة الفرعون وكنوزه.

◈ **حدائق بابل المعلقة** : هي في الواقع ليست معلقة، بل عبارة عن خمسة طوابق يعلو كل منها الآخر، وفيها مساحات واسعة لغرس الأشجار، وينقل إليها الماء آليـــاً مـــن نهـــر الفـــرات يقـــال إن الملك نبوخذ نصر بناها لزوجته أميتيس (أو ســـميراميس كما تقول الأساطير)، في القرن السادس ق.م. في مدينة بابل، وذلك استجابة لرغبتها في تجميل البيئة المحيطة بالقصر.

◈ **تمثال زيوس** : زيـــوس هو إله السماء والمناخ، وقائد الآلهة عند اليونان. شيد هـــذا التمـــثال النحات فيدياس عام 430 ق.م. ليوضع في معبد زيوس، بمدينة أوليمبيا التي كان اليونانيون يقيمون فيها الألعاب الأولمبية. يبلغ ارتفاع التمثال 12 مـــترا عـــلى قـــاعدة ارتفاعها متران. وهو مصنوع في معظمه من العاج وبعض أجزائه مرصعة بالذهب.

◈ **معبد أرتميس في مدينة EPHESUS** : (مكـــان هذه المدينة حالياً في تركيا) بـــناه المـــلك كروسوس عام 550 ق.م.، وأعيد بناؤه عام 356 ق.م.، والمعبد

مخصص لإلهة الصيد والحيوانات. مساحته 90×45 متراً، ويعتبر روعة فنية كـان يحـتوي عـلى أعمال النحاتين المشهورين، ومن الرسوم الشهيرة رسم للإسكندر الكبير وهو على جواده. ومن أهم التماثيل التي كانت توجد فيه تمثال الإلهة أرتميس.

- **ضريح Halicarnassus** : Halicarnassus اسـم المديـنة التي شيد فيها هذا الضريح، ويوجد مكانها الآن في تركيا . كان MAUSOLOS ملكاً في منطقة الأناضـول في القرن الرابع ق.م. وعند وفاته بدأت زوجته أرتميسيا تشييد هذا الضـريح الضـخم تخليداً لذكرى زوجها. غير أنها توفيت قبل إتمامه، فقرر بعـض المهندسين والفنانين إتمام الضريح تخليداً للحب الذي أظهرته أرتميسيا نحو زوجها. وقد دفن كلاهما في هذا الضريح.
- **عملاق جزيرة رودس** : شيد هذا التمثال الضخم خلال الفترة 292–280ق.م فـي الجزيرة المذكورة، هبة لإله الشمس، وتخليداً لرفع الحصار الذي ضرب عـلى الجزيـرة فـي الفـترة 305–304 ق.م. يقع التمثال في مدخل ميناء الجزيـرة، وقد بني بالحديد والبرونز ، ويبلغ ارتفاعه 31 متراً. حطمه زلزال عام 225 ق.م. ويقال إن بعض العرب جمعوا قطع التمثال وباعوها عام 653 ميلادي.
- **منارة الإسكندرية** : أمر ببنائها بطليموس الثاني، ملك مصر، عام 280ق.م. كـان ارتفاعها يبلغ 135 متراً، وضوؤها يشاهد على بعد 45 كيلومتراً. ظلت قائمة حتى القرن الثاني عشر ميلادي. وقد كانت منارة لهداية السفن في العالم القديم.

◈ الألعاب الأولمبية :

كـــان اليونـــانيون مولعين بالألعاب الرياضية التي كانت تنظم في كل مدينة تقريـــباً، للمنافسة بين الرياضيين القادمين من مدن أخرى. وكذلك تقدم الذبائح أثناء هـــذه الاحـــتفالات تكريماً للآلهة. وكان أهم هذه اللقاءات الرياضية المباريات التى كـــانت تـــنظم فى مدينة أولمبيا، ويكرم فيها إله الآلهة زيوس ZEUS، وأصبحت تعرف بالألعاب الأولمبية. وقد بدأت في المدينة المذكورة نحو عام 776ق.م. كانت حدثاً وطنياً وقومياً يهرع إليه الناس من جميع الأصقاع. وكان الشهر الذي تعقد فيه (أواخر الصيف أو أوائل الخريف) يعتبر شهر أمان لجميع الناس، شهراً لا يحارب فيه ولا يعتدى أحد على غيره. ومن فعل ذلك يلقى أشد العقوبات، إذ كان الذاهبون إلى أولمـــبيا يعتبرون حجيجاً يأتون كذلك للتبرك بالإله زيوس العظيم، ويقدمون له الذبائح.

كـــان الرياضـــيون يـــأتون إلى أولمبيا قبل موعد الألعاب للقيام بالتدريبات الأخيـــرة. ولا يشارك في الألعاب إلا اليونانيون. كما لا يسمح لمن ارتكب جريمة أو أهان إلهاً أن يشارك في الألعاب. ويقسم الرياضي قبل دخوله في المباريات أنه مواطـــن يونـــانى كامل الحقوق، وأنه مستكمل لجميع الشروط. كما يعلن أنه يقبل قواعد الأولمبياد، ويشارك بروح رياضية ليس فيها غش ولا عدوانية.

وعـــندما تنتهي الألعاب توزع الجوائز (الرمزية) على الفائزين، وهى إكليل مـــن أغصـــان الزيتون من شجرة مقدسة يقطعها طفل يتم اختياره للمناسبة. وفى نهايـــة المهـــرجان تقـــدم الذبـــائح لزيوس أبى الآلهة، وينظم حفل شعبي ينال فيه الفائـــزون الـــتكريم المســـتحق، ينشـــد فيـــه الشـــعراء القصائد للإشادة بإنجازات الرياضـــيين، ويـــنحت الناحتون تماثيل للفائزين. وعندما يرجع الأبطال إلى مدنهم يلقاهم جميع السكان بالحفاوة، ويقدمون لهم الهدايا لأن نجاحهم فخر للمدينة كلها.

وفي عام 3^3 قرر زعماء المسيحية أن هذه الألعاب والمهرجانات من بقايا عصـــور الوثنية لا خير فيها، فأصدر الإمبراطور ثيودوسيوس الأمر بمنع الألعاب

الأولمــبية. وظل الأمر كذلك إلى أن جاء رجل فرنسي اسمه البارون دى كوبرتين فكـــر فـــي إحيـــاء تلك المباريات الرياضية لأنها تحفز الشباب في كل مكان على التنافس. وبذل جهوداً كبيرة لإقناع المسؤولين، في فرنسا والبلدان الأخرى بفكرته. وفـــي عـــام 1894 عقد مؤتمر أولمبي في فرنسا، فوافق على فكرة دي كوبرتين، وقرر تنظيم أول ألعاب أولمبية، في العصر الحديث، عام 1896، في أثينا . وهكذا عـــادت إلى الحيـــاة هـــذه المنافسات الرياضية الدولية، بعد أن خمدت شعلتها مدة خمسة عشر قرناً.

◈ السكان الأوائل في القارة الأمريكية :

كــان المكــان المعروف بمضيق بيرينغ ، الذي يفصل بين الاسكا وسبيريا، أرضــاً يابســة أثــناء العصر الجليدي الأخير. وكان ذلك الممر هو الطريق الذي ســلكته القبائل الآسيوية الأولى التي هاجرت إلى القارة الأمريكية منذ ما يزيد عن عشــرين ألــف ســنة. وهؤلاء السكان الأوائل هم الذين أصبحوا يعرفون بالهنود الأمــريكيين. ويــبدو أن هجــرتهم حدثت في فترات زمنية مختلفة، وهذا ما يفسر اختلاف سيماتهم وألسنتهم، وإن كانوا ينتمون في الأصل إلى الجنس المغولي الذى لم تكن معالمه قد تحددت آنذاك.

وظل هؤلاء السكان يتنقلون في أرجاء القارة الواسعة، ومرت آلاف السنين وتركــزت مجموعــات مــنهم في أواسط القارة، ومجموعات أخرى في جنوبها، وأسسوا فيها حضارات راقية. أما بالنسبة للأوروبيين، فيبدو أن أول من وصل إلى القــارة الأمــريكية هــو ليــف أريكســون وجماعته. أبحر أريكسون من جزيرة غــرونلاندا حوالي ألف سنة بعد الميلاد متجهاً نحو العالم الجديد. وزار وجماعته منطقة من شمال سواحل القارة الأمريكية، مكثوا فيها فترة ثم عادوا إلى ديارهم.

◈ مملكة المايا :

تأسست مملكة المايا القديمة في القرن الرابع ميلادي، وامتدت حتى القرن العاشر، وشملت المناطق المعروفة اليوم بغواتيمالا، وجنوب المكسيك، وشمال بليتسى (هندوراس). وتأسست المملكة الجديدة في القرن العاشر، وانتشرت حضارتها في شمال شبه جزيرة يوكاتان (المكسيك). بنى شعب المايا معابد ضخمة في شكل أهرامات، وبرعوا في صناعة الذهب والنحاس والملابس وتخطيط المدن، وفي النحت والرسم، وكانت لهم كتابة هيروغليفية. وبرعوا في حساب الزمن وفي التقويم الفلكي. حسبوا الشهر 20 يوماً، والسنة 18 شهراً. بلغت حضارتهم ذروتها خلال الفترة من 600 إلى 900 ميلادية. وظلت مزدهرة حتى القرن السادس عشر عندما غزا الأسبان بلادهم، ودمروا حضارتهم. وتعتبر حضارة المايا أعظم حضارات القارة الأمريكية في العهد القديم.

كان المايا يتعبدون للقوى الطبيعية، فكانوا يقدسون آلهة المطر، والرياح، والشمس، والظلام، والأرض وغيرها. وكان الإله "كواتزلكوتل" يعتبر في حضارتهم ملكاً وكاهناً، ورمزاً لاتحاد الأرض والسماء. وكانوا يقدمون القرابين من الحيوانات والمحاصيل الزراعية، في عهد المملكة الأولى، لإرضاء الآلهة. أما في عهد المملكة الأخيرة فبدأوا يقدمون قرابين من الأشخاص في حالات القحط وندرة المحاصيل. وكانوا أحياناً يتفننون في قتل الضحية البشرية فيقطعون رأسها، أو يبدأون بشق الصدر واقتلاع القلب، أو يرمون الضحية بالسهام، أو يرمونها في بئر... الخ. وكان الكهنة في بعض الأحيان يقطعون جسد الضحية إرباً، ويوزعون لحمها على الحاضرين لطهيها وأكلها.

◈ مملكة الانكا

بدأت نحو سنة ألف ميلادية في جنوب البيرو، ثم انتشرت في المناطق التي أخضعوها لحكمهم في القرن الخامس عشر وهي إكوادور، بوليفيا، وجزء من شيلي. كانت عاصمة مملكة الانكا "كوزكو"، ودامت حضارتهم إلى أن دمرها الأسبان في مطلع القرن السادس عشر.

أسس الانكا حضارتهم على منجزات الشعوب التي سبقتهم، وبرعوا في بناء شبكات الطرق، وتشييد المعابد والقصور، واستخدام معادن مثل الذهب والفضة والقصدير. وكانوا يطبقون نظاماً اجتماعياً يشبه النظام الاشتراكي. وقد بلغت حضارتهم أوجها في الوقت الذي غزا فيه الأسبان بلادهم، ودمروا تلك الحضارات التي دامت نحو خمسة قرون.

كان شعب الأنكا يؤمن بإله أسمى هو خالق الكائنات، وله مساعدون منهم آلهة الشمس والقمر والنجوم والأرض والبحر والرعد وغيرهم. وكانت الممارسة السائدة هي عبادة الشمس، كما كانوا يعبدون الملك لأنه يعتبر "ابن الشمس"، وله سلطة مطلقة. وكانوا يقدمون لآلهتهم قرباناً من الحيوانات عادة.

◈ مملكة الأزتيك :

شـــيد الأزتيـــك مملكـــتهم عـــام 1325 ميلادية على جزر تقع داخل بحيرة تيكســـكوكو (فـــي المكسيك حالياً). وشملت مملكتهم مناطق واسعة وسط المكسيك وجـــنوبه. وازدهـــرت حضــــارتهم في القرنين الخامس والسادس عشر. وقد لطخ الأزتيـــك حضـــارتهم الجميـــلة بدماء جثث الضحايا وأشلائها المتناثرة في أرض المعـــبد. ومـــا عـــدا ذلك فقد حذوا حذو من سبقهم في تشييد الأهرامات والمعابد، وصناعة الذهب والفضة والبرونز والنحاس، وأحسنوا تصميم المدن والحدائق.

كـــان لهم آلهة عديدة منها إله الشمس الجبار، وهو إله الحرب أيضاً، والإله الـــذي يســـيطر عـــلى الظلام، ومنها إله الرياح وإله المطر. وكان لهم ملك يدعى كوتـــزالكوتل (QUETZALCOATL)، كـــان رئيس الكهنة ويعتبرونه نصف إله. وتـــروي أسطورة أنه كان أبيض البشرة، ذا لحية جميلة على غير أوصاف الهنود الأمـــريكيين، وأنـــه أغضـــب الآلهـــة ذات يوم فهجر البلاد، وأبحر نحو المحيط الأطلســـي، وســـيعود إلى شـــعبه. وكان الأزتيك يعتقدون مخلصين أن إله الشمس يتغذى بدم البشر، وأنه يحتاج باستمرار إلى دم الضحايا لكي تشرق الشمس عليهم. ومن المؤسف حقاً أنهم ربطوا حضارتهم بهذه المعتقدات الدموية الوحشية.

كـــان الكهنة يضجعون الضحايا على ظهورهم ويشقون صدورهم بالخناجر، وهـــم أحيـــاء، فيخـــرجون قلوبهم ويعرضونها في ساحات المعبد، إرضاء للآلهة المتعطشـــة لـــلدماء. وكانوا أحياناً يرمون الضحايا بالسهام، يقطعون رؤوسهم أو يحـــرقونهم. وكـــانوا على الدوام في حاجة إلى مزيد من الضحايا البشرية، وكان المصـــدر الأول للحصـــول عـــلى الضـــحايا هو الحروب التي توفر لهم الأسرى والعـــبيد، ليقتلوا تقرباً للآلهة، فلما جاء الأسبان لم تتردد هذه الشعوب في التعاون معهم.

وبمـــا أن شـــعب الأزتيـــك كـــان ينتظر عودة ملكه الذى أبحر في المحيط الأطلســـي، فإنـــه عندما وصل القائد الأسباني كورتيز (ذو اللحية الجميلة والبشرة البيضـــاء)، ظنوا أنه ملكهم وإلههم المنتظر. فرحب به ملكهم مونتيزوما، وقدم له الهدايـــا، وأسكنه في قصر من قصوره. ولعل الغازي الأسباني كان على علم، قبل نـــزولـــه بـــأرض الأزتيك، بشيء من معتقداتهم، فلجأ إلى الحيلة والدهاء، ثم إلى العنف لتدمير عاصمتهم الجميلة والاستيلاء على بلادهم.

◈ الحروب الصليبية :

تعتبر الحروب الصليبية من أبشع الوقائع التي استغلت فيها الكنيسة الدين المسيحي لإثارة الأحقاد، والدعوة إلى الانتقام من المسلمين. فقد راح البابا أوربان الثاني URBAIN II يعقد الاجتماعات، ويتجول في فرنسا يحرض المسيحيين على المشاركة في الحرب المقدسة لتحرير القدس. وكذلك فعل كثير من كبار رجال الكنيسة، فأخذوا يزورون القرى والمدن ويدعون السكان للاستعداد للسفر لتحرير الأراضي المقدسة.

وأعلن البابا أن كل من يشترك في تحرير الأراضي المقدسة سيدخل ملكوت السماوات دون حساب ولا عقاب. وكان أعوانه في جولاتهم يعدون الناس بأن كل من تحمل عذاب السفر إلى الأراضي المقدسة، وشارك في جهاد المسلمين "الكفار"، تغفر له ذنوبه ويدخل الجنة مع القديسين.

والواقع أن وراء ذلك كله كان البابا المذكور يطمح إلى توسيع سلطة الكنيسة الرومانية، وتوحيد المسيحية شرقاً وغرباً، إذ كانت منقسمة في ذلك الوقت إلى إمبراطوريتين، الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية في الشرق، والإمبراطورية الرومانية الكاثوليكية في الغرب.

وإلى جانب العنصر الديني الذي أثارته الكنيسة في قلوب السكان البسطاء، واستغلته لمصلحتها، كانت هناك أسباب أخرى دفعت سكان أوروبا إلى شن حملات الحروب الصليبية على المسلمين. من ذلك ميل النبلاء والأثرياء إلى البحث عن مغامرات جديدة؛ ومزاعم التجار والحجاج (الذين يقصدون القدس) بأن المسلمين أغلقوا الطرق أمامهم؛ وكون الدولة السلجوقية كانت تهدد الدولة البيزنطية في القسطنطينية؛ وتزايد عدد السكان في أوروبا، ورغبة المسؤولين في التخلص منهم .. الخ.

بلغ مجموع الحملات الصليبية ثماني حملات رئيسية. وقد عرفوا بهذا الاسم لأنه كان يطلب من كل شخص ينخرط في إحدى هذه الحملات أن يخيط على

عباءته قطعة قماش في شكل صليب. ودامت الحروب الصليبية نحو 200 عام، إذ بـدأت الاستعدادات لإرسال الحملة الأولى عام 1095، وطهرت الأرض المقدسة والشرق الأوسط من آخر هؤلاء الغزاة عام 1291.

انتشـر رجال الكنيسة في أوروبا الغربية يلقون الخطب والمواعظ، يثيرون الحمـاس الديـني، ويحرضـون السكان على الذهاب لتحرير الأراضي المقدسة. ونـتيجة لذلك انتقلت، في عام 1096 مجموعة من العصابات، يشيرون إليها عادة "بالحمـلة الشـعبية"، كـان يقودهـا رجـل اسـمه بطرس الناسك. وعندما بلغوا القسـطنطينية، تسـببوا في عدد من المشاكل، وعمليات نهب، فدهش الإمبراطور اليكسـيس لما رأى من همجية وفوضى، وأسرع بإرسالهم عبر مضيق البوسفور. ومـا إن تقدمـوا قليلاً في آسيا الصغرى حتى نصب لهم السلجوقيون كميناً فقضوا عليهم جميعاً، إلا قائدهم بطرس وشرذمة معه.

أمـا الحمـلة الرئيسية الأولى فوصلت إلى القسطنطينية في شتاء 1096-1097 وتجمعت قواتها التي كانت تتألف من أربعة جيوش قرب هذه المدينة. وكان عدد جنودها نحو 4000 فارس و25000 راجل. وهنا كذلك هجم هذا الجيش على المدينة للحصول على الإمدادات الغذائية، فتصدت لهم القوات البيزنطية، وساعدتهم على عبور المضيق نحو آسيا الصغرى.

وتقدمـت القوات الصليبية في آسيا الصغرى وبعد صعوبات كبيرة وصلت إلى مديـنة أنطاكيـة. وبعـد شهور من القتال استولوا عليها. وأثناء ذلك كان أحد القواد، واسمه بالدوين، قد اتجه نحو مدينة الرهاء ونصبه الأرمن ملكاً عليهم. وهي أول ممـلكة يشـكلها الصليبيون في الشرق الأدنى عام 1098. أما أنطاكية فتولى الحكـم فيهـا بوهيموند، بعد نزاع شديد بين قواد الحملة، وهي ثاني مملكة كونها الصليبيون عام 1098.

واتجـه الصليبيون نحو الجنوب فاستولوا على مدينة القدس في شهر جويلية عـام 1099 بعـد شـهر من الحصار، وهنا ارتكبت العصابات الصليبية البربرية

الهمجيـــة أفظـــع الجـــرائم، إذ قتلوا جميع سكان القدس حتى من لاذ منهم بالمسجد الأقصـــى، وكـــان عددهـــم يزيد على ثلاثة عشر ألف مسلم. ونصبوا ملكاً عليهم غودفـــرى دي بويـــون Godfrey de Bouillon، وبذلـــك انتهت الحملة الصليبية الأولى.

بـــدأت الحملة الثانية عام 1147، أمر بتنظيمها البابا أوجينوس الثالث بعد أن ســـقطت مقاطعـــة الـــرهاء في يد المسلمين. كان يقودها ملك فرنسا لويس السابع وإمـــبراطور ألمانيـــا كونـــراد الـــثالث. وصل جيش كونراد إلى القسطنطينية في ســـبتمبر، وبيـــنما كـــان الجيش يمر بآسيا الصغرى، الأناضول، هجمت عليه قوة سلجوقية وقضت عليه، وفر كونراد مع شرذمة من أعوانه.

أمـــا جيـــش لويس السابع فوصل القسطنطينية في أكتوبر من السنة نفسها، ووصـــل انطاكيـــة فـــي شهر مارس 1148، وعندما بلغ مدينة القدس اجتمع ملك فرنســـا مـــع زعماء الصليبيين وحكام البلاد وقرروا الاستيلاء على مدينة دمشق. ولكن مهمتهم فشلت، وعاد زعماء هذه الحملة يجرون أذيال الخيبة.

كـــان هدف الحملة الثالثة استعادة القدس التي حررها صلاح الدين الأيوبي. واشـــترك فـــي هذه الحملة إمبراطور ألمانيا فريدريك بربروسا[1] الذي جمع جيشاً قويـــاً، ومـــلك فرنسا فليب الثاني، وملك إنكلترا ريشارد قلب الأسد. واستولت هذه الحمـــلة على منطقة ساحلية من مدينة صور Tyre إلى يافا، ولكنهم لم ينجحوا في تحقيـــق هدفهـــم وهـــو استرجاع القدس. وكما حدث في معظم الحملات الصليبية حصل خلاف بين قوادها، وارتكبت جيوشها أعمالاً همجية أغضبت البيزنطيين.

كـــان الشـــعب اليوناني يخشى العصابات المغامرة التي تمر بالإمبراطورية البيزنطية في طريقها نحو الشرق الأوسط. وقد أكدت مخاوفه وقائع الحملة الرابعة الـــتي وصـــلت إلى البندقية في صيف 1202. وتحالفت القوات الصليبية مع جيش البـــندقية من أجل توسيع نفوذ هذه الأخيرة داخل الإمبراطورية البيزنطية. وتحولت

(1) غرق بينما كان يسبح في نهر في آسيا الصغرى عام 1190.

هـذه الحمـلة إلى حرب بين المسيحيين (الكاثوليك والارثودوكس)، فهجم الجيش الصـليبي عـلى القسطنطينية في صيف 1203 ونهبوها؛ ثم اقتطع كل قائد لنفسه مملكة داخل الإمبراطورية البيزنطية وهربت العائلة المالكة إلى آسيا الصغرى.

حتى الأطفال دفعهم الحماس الديني وحب المغامرة، فقام طفل فرنسي يدعى ستيفانٍ وطفـل ألماني يدعى نيكولا بجمع آلاف الأطفال، عام 1212، وقادا هذه الحمـلة إلى مصـير مجهـول (وإن كان هدفهم تحرير الأرض المقدسة)، فغرق بعضـهم فـي الـبحر، وقتل بعضهم ، وبيع عدد كبير منهم في سوق الرقيق في مصر.

واتجهـت الحمـلة الخامسـة نحو مصر، واحتلت مدينة دمياط في نوفمبر 1219. وكـان الهـدف مـن الهجوم على مصر هو المساومة من أجل استرجاع القـدس. وفشـلت هذه المحاولة، إذ اشتد النزاع بين قوادها، فهزموا ورجعوا إلى بلادهم بخفي حنين.

قـاد الحمـلة السادسـة الإمبراطور فريدريك الثاني، وبمجرد وصوله إلى الشـرق الأوسـط بدأ مفاوضات مع الملك الكامل في مصر، ونتج عن ذلك توقيع اتفاقيـة يسـتولي بموجبها فريدريك على القدس، وبيت لحم، والناصرة. وكان ذلك عام 1229. ولكن المسلمين استردوا القدس عام 1244.

وتوجهـت الحملة السابعة التي يقودها لويس التاسع، ملك فرنسا، إلى مصر واسـتولى على دمياط في جوان 1249، وحاول الصليبيون الاستيلاء على القاهرة فهـزموا، ولاحق المسلمون فلول الجيش الصليبي فأسروا الملك لويس وعدداً كبيراً من النبلاء، أطلق سراحهم بعد ذلك.

كان لويس التاسع يشعر بالعار بسبب هزيمته في مصر، فنظم حملة أخرى، هـي الثامنة والأخيرة، انطلقت من جنوب فرنسا في جويلية 1270. ولم تتجه هذه الحملة شرقاً، بل اتجهت نحو تونس. وداهم الوباء جيش لويس التاسع، وقضى هو وابنه نحبهما في هذه الحملة بسبب المرض.

وهكــذا فشــلت الحــروب الصليبية التي كلفت أوروبا غاليا، وأراقت دماء الأبــرياء طيــلة قرنين تقريباً. وظهر للمسلمين، وللبيزنطيين كذلك، مدى وحشية الجيــوش الصــليبية وهجمتها. ومع ذلك استفادت أوروبا من الأفكار الجديدة التي نقــلها العائدون من بلاد الإسلام في مجالات الأدب والفن، كما توسع نطاق التبادل التجاري بين أوروبا والشرق، وتعلم الصليبيون أنه من الممكن التعايش بين الأديان والجنسيات المختلفة.

◈ من مبادئ الكاثوليكية :

- يعتقد الكاثوليك أن معتقداتهم هي الصحيحة، وأنّ غيرها باطل.
- أن المسيح عليه السلام هو إله وإنسان في الوقت نفسه.
- أن الكنيسة الكاثوليكة وحدة مقدسة لا تتغير رسالتها في الزمان والمكان.
- أن الكنيسة الكاثوليكية هي وحدها المسؤولة عن تفسير الإنجيل.
- أن مريم العذراء معصومة عن الخطأ منذ ولادتها.
- أن الإنسان يولد وهو يحمل خطأ أبيه آدم الذي خالف أوامر الله.
- أن المسيح هو آدم الجديد أرسله الله لينقذ البشر من خطئهم الأصلي الذي ارتكبه أبوهم آدم.
- أن عملية التعميد ومحبة المسيح تخلصان الإنسان من هذا الخطأ الأصلي.
- تمنع زواج رجال الدين (ونسائه) ليكرسوا جميع طاقاتهم ووقتهم لخدمة الإله.
- على الكاثوليكي أن يؤمن بعملية القداس : أي أنه عندما يقول القس، في مذبح الكنيسة، "هذا جسدي (مشيراً إلى الخبز) وهذا دمي (مشيراً إلى الخمر) يصبح الخبز حقيقة جسد المسيح، ويصبح الخمر دم المسيح. وهذا العمل يعيد عملية تضحية المسيح في كل مرة، وبذلك يكون المسيح موجوداً جسماً وروحاً عندما يؤدي القس عملية القربان المقدس في مذبح الكنيسة.

◈ الكنيسة الأرثدكسية [1] :

تــراكمت أسباب الخلاف داخل الكنيسة المسيحية خلال قرون عديدة، وأدت في النهاية إلى انفصال الكنيسة الارثدكسية في القسطنطينية عن الكنيسة الكاثوليكية في روما. ومن أسباب النزاع الطويل بينهما ما يلي :

- الخــلاف حول قضية الثالوث، واتحاد الألوهية والناسوتية في المسيح، ومعنى صلب المسيح.
- قــول الكنيســة الأرثدكسية بأن "الآب" وحده هو مصدر روح القدس، واعــتقاد الكنيســة الكاثوليكيــة بأن روح القدس نشأ كذلك من "الإبن" المسيح".
- قــول الكنيسة الكاثولكية بأن لها الأسبقية، ورد الكنيسة الارثدكسية بأنه لا فضل لكنيسة غربية على أخرى شرقية.
- رفض الكنيسة الأرثدكسية لسلطة البابا المطلقة.
- تدخل كل من الكنيستين في سياسات دولتها ودعمها لها.
- توسع هوة الخلاف بعد أن أصبحت القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في القرن الرابع.
- وجــاء الانشــقاق النهائى عام 1054 عندما اتهمت الكنيسة الارثدكسية البابا بالخروج عن تعاليم المسيح عندما قبل فكرة أن "الابن" المسيح هو كذلك مصدر لنشوء روح القدس.
- زاد في استياء المسيحيين الارثدكس ما لقوه من معاملة وحشية على يد الصليبيين أثناء محاولتهم لاحتلال فلسطين.

---

(1) الارثدكسية : الإيمان الصحيح.

وفيمـــا يلي بعض الأمور التي تختلف فيها الكنيسة الارثدكسية عن نظيرتها الكاثوليكية :

- الكنيسة الارثدكسية لا تؤمن بأن البابا معصوم.
- ترفض الاعتراف بأن له سلطة عالمية.
- الكنيســـة الارثدكسية مكان يمارس المسيحي فيه الطقوس الدينية للتقرب مـــن الله (حســـب فكرة الثالوث)، أما الكنيسة الكاثوليكية فهي بالإضافة إلى ذلك، سلطة لضمان سلامة العقائد، وواسطة لنيل رضا الله وبركاته.
- الكنيســـة الارثدكســـية لا تؤمـــن بوجـــود مكان خاص (المطهر) لمن يستحقون العذاب المؤقت فقط، يوم القيامة.
- وهـــي تســـمح باســـتخدام الرسوم والصور التي تمثل صور القديسين والمشاهد الدينية.
- وتســـمح للقساوســـة والشماســـين بالـــزواج، وتمنع ذلك على الرهبان والأساقفة.
- تعتقد بأن أرواح الموتى من القديسين والشهداء ومن عائلات الموجودين فـــي الكنيسة، وكذلك روح المسيح، جميعها موجودة أثناء القيام بعملية القربان المقدس في الكنيسة.
- تـــتم عمـــلية التعميد في هذه الكنيسة بأن يغطس الطفل في الماء ثلاث مرات (الثالوث)، بدلاً من سكب الماء على رأسه فقط، أو رشه بالماء، كما يجري في الكنيسة الكاثوليكية.
- عـــندما يأتي الشخص للاعتراف بذنوبه، لا يركع على ركبتيه، بل يقف إلى جانب القس.
- يســـتعمل الارثدكـــس الخميـــرة فـــي إعداد الخبز المخصص للطقوس المقدسة.

- يخلطون الخمر الذي يغطسون فيه الخبز، بالماء.
- عمـــلية المســـح (الدلـــك) بزيت الزيتون عند الارثذكس لا تنحصر في الحالات التي يقترب فيها الشخص من الموت (كما هو لدى الكاثوليك)، بل تستعمل كذلك طلباً للشفاء من أي مرض، وطلباً للراحة النفسية.

◈ نبيّ المورمون :

جوزيـف سـميث شاب نشط، وسيم الطلعة، قوي الشخصية، ولد في ولاية فيـرمونت بالولايـات المتحدة، ثم رحل أهله إلى ولاية نيويورك. ويروي لنا هذا الشـاب أنه بينما كان ذات يوم جالساً في الخلاء (وعمره لا يتجاوز 15 سنة) يقرأ الإنجيل ويذكر اسم الله، جاءه رجلان يشع من وجهيهما نور رباني يبهر الأبصار، وقال أحدهم لصاحبه، مشيراً إلى الفتى سميث: "هذا ابني المحبوب، فاسمع كلامه". ثم ألقى على الفتى آيات أدرك منها أنه حان الوقت لتجديد بعض تعاليم الإنجيل.

وبعد مدة جاءه ملك قاده إلى مغارة أخرج منها صفائح ذهبية، وسلمه نظارة سـحرية (حسـب قولـه) استطاع بواسطتها أن يفسر ما كتب على تلك الصفائح الذهبية بلغة مصرية قديمة.

وبـناء عـلى ما ورد في تلك الصفائح، وما أنزل على الفتى من "وحي" أو إلهـام، ومـا شاهد من رؤى إلهية، نشر عام 1830 (وكانت سنه 30 عاماً) كتاباً أسماه "كتاب المورمون" وهو كتاب يحتوي على حكايات خرافية دينية. ولكنه نجح في النهاية في إنشاء مذهب يبلغ أتباعه قرابة ثلاثة ملايين نسمة. ولعل سميث هذا اسـتوحى مـا كـتب من مخطوط رواية لم تطبع . وتجدر الإشارة إلى أن هناك نظـريات تـزعم بـأن الهنود الأمريكيين انحدروا من سلالة القبائل العبرانية التي اخـتفت مـن التاريخ أثناء العهد الذي استولى فيه البابليون على مدينة القدس عام 586ق.م.

ويزعم سميث في كتاب "المورمون" أن تلك القبائل العبرانية عبرت المحيط حـتى وصـلت العالم الجديد، واستمر بعضها في تطبيق تعاليم موسى عليه السلام وشـريعته وأهمـلها قسـم مـن هذه القبائل فأصبحوا قوماً متوحشين وهم الهنود الأمـريكيون. ومـا جـاءهم عام 421 ميلادية حتى كانت الحضارة التي أنشأها المؤمـنون ممـن هاجروا إلى القارة الأمريكية قد اندثرت. غير أن نبيا منهم اسمه "مورمـون" وابـنه موروني، أخفيا الصفائح الذهبية المكتوبة في مغارة في ولاية نيويـورك، وظلت كذلك قروناً طويلة (18 قرنا) إلى أن ظهر موروني على هيئة

مـــلك للشاب سميث وسلمها له. ويذكر سميث في كتابه كذلك أن المسيح (عليه السلام) زار العالم الغربي بعد أن خرج من قبره ورفع إلى السماء.

وعلى أساس المعلومات التي استقاها سميث من الصفائح الذهبية، وما تلقى مـــن "وحـــي" أو "إلهـــام"، أسس كنيسة عام 1830 في ولاية نيويورك، وزاد عدد أتـــباعه، كما أصبح له معارضون. وراح يبحث عن أرض الميعاد كما فعل موسى وقومـــه، حســـب زعمه. فرحل وأتباعه إلى ولاية أهايو حيث أسس جماعة نشطة مـــنظمة. غيـــر أنهم واجهوا بعض المشاكل من جيرانهم، فاضطروا للرحيل إلى ولايـــة ميسوري. ولم يطب لهم المقام هناك فاتجهوا نحو ولاية إلينوى حيث أسسوا مدينة وبنوا معبداً وجامعة.

وبدأ سميث يرسل المبشرين إلى شرق الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا. وزادت قـــوة المورمـــون فأصبحوا يشكلون قوة سياسية في الولاية. ثم إن زعيمهم رخـــص تعـــدد الـــزوجات، وأعلن مبدأ الملكية الجماعية. وشعر حاكم الولاية بأن الأمـــر كاد يخرج من يده، فأمر بسجن سميث وأخيه. وأثناء وجودهما في السجن، هجم جماعة على السجن وقتلوهما وكان ذلك عام 1844.

وتـــولى قيـــادة جماعـــة المورمـــون رجل يدعى بريغام يونغ، واصل نشر الرسالة، وقاد الجماعة إلى ولاية "يوتا" حيث أسسوا مدينة "صولت ليك ستي" التي أصـــبحت مركـــز جماعة المورمون. ويبلغ عددهم اليوم نحو 3 ملايين، معظمهم (نحو 80%) في الولايات المتحدة.

ومـــن معـــتقدات المورمـــون أنهم يؤمنون بالثالوث، وبمريم العذراء، وبأن الإنجيـــل خـــلق ونشر في السماوات قبل أن يخلق البشر، وأنه أنزل على الأرض قديما وأوحى به إلى آدم وغيره، وأن "كتاب المورمون" مكمل لتعاليم الإنجيل، وأن المســـيح جاء لإنقاذ البشر، غير أن مستقبل كل إنسان مرهون بعمله، وأن الله بعث رســـلاً لـــتجديد تعاليم الإنجيل، كما حدث عندما أرسل إبراهيم وموسى، وأن آخر تجديد حدث عندما جاء جوزيف سميث بكتابه في مطلع القرن التاسع عشر.

◈ الماسونية :

كانت عبارة "ماسوني" Mason تطلق على أي بنّاء عضو في جمعية البنائين المهـرة. وظهـر هـذا التعبير في القرن الرابع عشر، وكان يعني خاصة البنائين العاملين في تشييد الكاتدرائيات والقصور الفخمة. وبما أنهم كانوا يتنقلون من مدينة لأخرى بحثاً عن العمل، وضعوا كلمة سر يتعرف بها بعضهم على البعض الآخر. وعـندما بدأت مهنة تشييد الكاتدرائيات تتقلص، أخذت بعض الجمعيات الماسونية تقـبل انضـمام أشـخاص غير مهنيين إليها، بصفة شرفية للتعويض عن تناقص أعضائها.

وفي مطلع القرن الثامن عشر توحدت أربع من الجمعيات الماسونية لتشكل جميعـة واحدة، في مدينة لندن، ولتصبح بعد ذلك النواة الأم التي تعمل على إنشاء جمعيات ماسونية في إنكلترا وغيرها من البلدان. وسعت في الوقت نفسه إلى تحديد مبادئها وتطوير طقوسها. أخذت تتبنى طقوسًا مستوحاة من الديانات القديمة. وهي ليسـت مـن الجمعيات المسيحية، غير أن تعاليمها تتضمن مبادئ أخلاقية، ويؤمن أعضـاؤها بوجـود الإله وخلود الروح ... الخ كما يوصون "باحترام" قوانين البلد الـذي توجـد فيـه جمعيـات الماسونية. ومن أهدافها الراسخة مساعدة أعضائها المحتاجين، وتوثيق العلاقات بينهم.

وقـد انتشرت هذه الجمعيات في بلدان عديدة، ويوجد أكبر عدد من جمعيات الماسـونيين فـي الولايات المتحدة، تليها إبريطانيا. كما تنتشر في أوروبا وأمريكا اللاتينية. وقد منعت بعض البلدان تأسيس الجمعيات الماسونية على ترابها، واتهمت أحياناً بأنها تتجاوز قوانين البلاد، وتسعى للاستيلاء على السلطة.

◈ **الغجر :**

يعــرف الغجر بأسماء مختلفة حسب البلدان التي مروا بها، أو أقاموا فيها. بالإنكليزية تطلق عليهم كلمة GYPSY ، وهي مشتقة من كلمة EGYPT. ويسمى الغجــري في فرنسا BOHEMIEN لأن أحد ملوك بوهيميا سلمهم رسائل يوصي بهــم خيــراً. وعرفوا في أسبانيا بكلمة GITANOS ، وهي مشتقة كذلك من كلمة EGYPT ؛ ولعــل الناس كانوا يظنون أنهم جاءوا من مصر. ويعرفون في بلدان أخـــرى باســم TSIGANE وهي كلمة يونانية ATSINGANOS ويسمونهم في السويد TATARS.

يقـــال إنهم هاجروا من شمال غرب الهند ؛ وأول من أشار إلى وجودهم في بـــلاد الفرس هو حمزة الأصفهاني في منتصف القرن العاشر الميلادي. وبعد ذلك هاجـــرت مجموعـــة منهم نحو سوريا وفلسطين ومصر، واتجهت مجموعة أخرى نحو الشمال، في اتجاه الإمبراطورية البيزنطية ومن ثم انتشروا في مختلف البلدان الأوروبية حتى وصلوا إلى أسبانيا والبرتغال.

وفـــي القرن السادس عشر حاولت بعض البلدان الأوروبية (فرنسا، أسبانيا، البرتغال) أن تتخلص من بعض قبائل الغجر، فنقلوها إلى البرازيل.

يـــتعاطى الغجـــر أعمـــالاً عديدة متنوعة تتناسب مع ظروف حياتهم ، مثل العمـــل فـــي الســـيرك، وتجـــارة الخيل، وأعمال السمكرية، والجلد والخشب، كما اشتهروا بالبراعة في الموسيقى والرقص (الفلامنكو مثلاً).

ونظـــراً إلى عدم استقرارهم في مكان خلال مدة طويلة، وأسلوب معيشتهم، فقـــد كـــانت المجـــتمعات التي يعيشون وسطها، في حالات كثيرة، تنسب إليهم ما يصيبها من شرور وكوارث، وتجعل منهم كبش الفداء. وقضت النازية على أعداد كثيرة منهم أثناء الحرب العالمية الثانية.

◈ منهاتن :

رغــبت شركة هولندية في إنشاء مدينة فوق جزيرة منهاتن، فأرسلت رجلاً اســمه بيتر مينوى إلى قبيلة الهنود الساكنين بهذه الجزيرة لشرائها. ولم يكن هؤلاء الهنود يعتقدون أن الأرض تباع وتشترى، بل كانت تقاليدهم أن الأرض مثل الماء والهــواء لا تباع ولا تشترى. وكان فرحهم شديداً عندما جاءهم هذا الرجل ببضائع متنوعة تبلغ قيمتها آنئذ، عام 1626، نحو 24 دولاراً.

وفي عام 1653 أصبحت منهاتن جزءاً من مدينة "نيو أمستردام" التي تحول اســمها بعد ذلك إلى نيويورك التي أصبحت اليوم مدينة ضخمة ومن أكبر المراكز المالية والتجارية في العالم.

◈ **لويزيانا :**

عـــندما استولت فرنسا على تلك المنطقة أسمتها لويزيانا تكريماً لاسم ملكها لويـــس الـــرابع عشر. وفي وقت متأخر بدأ اهتمام الولايات المتحدة بهذه المنطقة يتزايد، إلى أن نجح الرئيس الأمريكي جيفرسون في شرائها من فرنسا عام 1803 بمبـــلغ مـــليون دولار. ويعـــود هـــذا الاهتمام إلى رغبة أمريكا في السيطرة على الملاحـــة فـــي نهر المسيسيبي. وتشمل المناطق التي اشترتها الولايات المتحدة من فرنســـا (المعـــروفة بلويزيانا) مساحة واسعة، وليس فقط مساحة ولاية لويزيانا في حدودها الحالية.

◈ ألاسكا :

اشترتها الولايات المتحدة من روسيا عام 1867 بمبلغ سبعة ملايين ومائتي ألف دولار. وعندما ضمتها الولايات المتحدة إلى أراضيها بصفة رسمية عام 1959، وأصبحت الولاية رقم 49، ازدادت مساحة الولايات المتحدة بنسبة 20%.

عاصمتها JUMEAU، ولكن معظم السكان يوجدون في مدينة Anchorage وقد كان تطور ألاسكا بطيئاً بسبب بعدها ، وقلة المواصلات وقساوة المناخ.

◈ المرأة :

◈ قالوا عن المرأة :

- المنزل بدون امرأة كالجيتارة بدون أوتار (مثل روماني)
- المرأة الفاضلة مثل الجيتارة يزيد الزمن في حلاوة أنغامها.
- المرأة الجميلة حجرة كريمة، والمرأة الفاضلة كنز (SADI)
- انتظر شهرا قبل أن تمدح فرسا، وسنة قبل أن تثني على امرأة

(مثل تشيكي)

- النساء ملائكة، ولكن عقدة الزواج شيطان. (BYRON)
- المرأة لا تَحْكُمُ إلا بعد أن تتعهد بطاعة زوجها. (George Farquhar)
- خلق الله المرأة لتجعل من الرجل حيواناً أليفاً (Voltaire)
- لا أقــول "لا شــيء، إنهــا امرأة تغرق"، بل أقول "أنقذوها إنها مصدر بهجتنا. (La Fontaine)
- لا مناص من نمر جائع ، وامرأة لطيفة ودود. (Ernest Bramah)
- ما أصعب أن يصارع المرء أمواج البحر، ويقف أمام قلب امرأة.

(مثل فرنسى)

- النســاء نور الأرض ودفؤها وألحانها؛ وإنهن نجوم الأرض التي تتحكم في مصيرها.
- الرجل لعبة في يد المرأة، والمرأة لعبة في يد الشيطان (V. Hugo)
- حتى المرأة الصالحة قد تندم على الأخطاء التي لم ترتكبها.

(Sacha Guitry)

- ما هو أخف من الريشة؟ الغبار، وأخف من الغبار؟ الهواء، وأخف من الهواء؟ المرأة، وأخف من المرأة لا شيء. (A. de Musset)
- لولا الذهب والمرأة لما كانت الخطيئة. (Cyril Tourneur)

- أقوى ما تكون المرأة عندما تتسلح بسلاح ضعفها.
- الـــرجل مديـــن، بعـــد الله، للمرأة لأنها أولاً وهبته الحياة، وثانياً تعطي لحياته مغزى.
- لا الرعد ولا الأعاصير، لا الشيطان، ولا الوصايا المقدسة، تمنع المرأة من عمل الشر.
- لا تضربوا المرأة ولو بوردة ولو أخطأت مائة مرة (قول هندي).
- يحـــدث لسان المرأة أصواتاً لا مثيل لها، سواء كانت ألحاناً ساحرة أو أصواتاً مخيفة. (Anon)
- شعرة المرأة تجر عشرة خيول. (مثل إيطالي)
- لا يهم المرأة ما فعلتَ من أجلها، بل ما لم تفعل. (G. Courrteline)
- في نظرات المرأة ودموعها تذوب الحجج والقوانين.
- إذا ســـرق الـــرجل صـــورة المرأة فإنها تغفر له، أما إذا سرق الإطار وترك الصورة فقد ارتكب خطأ لا يغفر. (G. C. Colton)
- الفلفل أسود وطعمه لذيذ، الثلج أبيض ويترك على الأرض.
- إذا كـــان قـــلب الرجل مثقلا بالكآبة والهموم، فسرعان ما تنقشع عندما تحضر المرأة. (J. GAY)
- المرأة الجميلة تثير رغبات الرجل والمرأة الصالحة تنال إعجابه. (Shakespeare)
- قطاع الطرق يقولون : "مالك أو روحك"، والمرأة تأخذ الاثنين. (S. Butler 1835-1902)
- يقولـــون إن الشـــيطان يسكن جسم المرأة، إنه لشيطان صبور إذا مكث هناك طويلاً. (Regnard)
- المرأة هي الوعاء الوحيد الذي يمكن أن نفرغ فيه مثلنا العليا. (Goethe)

- المرأة التي تتقن إعداد القدر تملك القلوب. (مثل هندي)
- ما هي الفاكهة التي تكون لذيذة قبل نضجها ومرة بعده.
- عندما تشفى الدموع عيون المرأة، فإن الرجل هو الذي لا يرى بوضوح. (O. Wild)
- المرأة الفاضلة تاج فوق رأس زوجها ، والمرأة الشريرة تسوّس ينخر عظامه. (العهد القديم)
- ما ألطف المرأة لو كان بوسع الرجل أن يقع بين ذراعيها من غير أن يقع بين يديها. (A. Bierce)
- حدس المرأة أصدق من يقين الرجل.
- الفرق بين امرأة وأخرى مثل الفرق بين الجنة والنار. (Tennyson)
- لا يعادل قوة حب المرأة إلا قدرتها على الانتقام. (Lope De Vega)
- إذا لم تكوني نجمة في السماء، فكوني شمعة تطرد ظلام البيت.
- إذا غاب الرجال عن مجالس النساء يشعرن بالملل، وإن غابت النساء عن مجالس الرجال يصبحوا أغبياء. (Chekhov)

◈ الحب :

◈ قالوا عن الحب :

- أكبر سعادة أن يشعر المرء أنه محبوب لشخصه، محبوب رغم أنفه. (V. Hugo)
- إذا أعطتك المرأة قلبها ، لا يمكنك أن تتخلص من الباقي بسهولة. (Vanbrugh)
- إنك لا تشعل النار بالثلج، ولا تطفئ نار الحب بالكلام.(Shakespeare)
- يوجد من الألم في الحب ، أكثر مما يوجد من محار على الشواطئ. (Ovide)
- يحسن بمن يحب من أول نظرة أن ينظر ثانية.
- الحب لا يبحث عن الكمال الحقيقي، بل يسعد بالكمال كما يتخيله. (Chamfort)
- الحياة زهرة، والحب عسلها. (V. Hugo)
- الحب صلصة يعطي النكهة لكل لحم.
- الحب بحر من العواطف تحيط به المصاريف.
- أقوى سلاسل الحب ما كانت حلقاتها من ذهب (مثل أسباني).
- الغياب القصير ينعش الحب، الغياب الطويل يقتله.
- الحب بدون احترام نزوات عابرة، والاحترام بدون حب حساء بارد.
- الحب لا يرى في الورد شوكاً. (مثل ألماني)
- الحب عدو لا يغلب بالمصارعة، بل بالفرار. (مثل أسباني)
- النساء مثل الورد، منهن من يجذبك جمالها، ومنهن من ينعشك عطرها. (Houellé)
- المحب والسكران لا يخفي حالهما. (Ovide)
- إذا كان أساس الحب هو الفضيلة، فهو باق ما بقيت الفضيلة. (D. Erasmus)

◈ المال :

◈ قالوا عن المال :

- المال بحر عميق يغرق فيه الضمير، والشرف، والحقيقة.
- إذا أردت أن تعرف قيمة المال، حاول أن تقترض. (B. Franklin)
- قد لا يشتري المال الأصدقاء ، ولكنه يسكت الأعداء.
- المال أفصح من عشرين نائباً في البرلمان. (مثل دنمركي)
- هناك أشياء كثيرة أهم من المال، والمشكلة أنها لا تكسب إلا بالمال.
- لا تتكشف حماقات الغني إلا عندما يفقد ثروته. (La Bruyere)
- إذا كان منجلك من فضة تحصد سنابل من ذهب (مثل فنلندي)
- الغني يظن أن أهم شيء هو الحب، والفقير يعلم أن أهم شيء هو المال. (Gerald Brenan)
- ما هو الشيء الذي يسمع بدون أذنين، ويجري بدون رجلين؟ المال. (قول ياباني)
- من يريد أن يصبح غنياً خلال ستة، ينتظره حبل المشنقة بعد ستة أشهر (Cervantes)
- الفقر يحط من قدر النفس الأبية، والغنى لا يرفع النفس الدنيئة.
- إذا سقط الغني أسرع الناس لمساعدته، وإن سقط الفقير أسرعوا لتوبيخه
- الدخـــل مثل الحذاء، إن كان ضيقاً يؤلم ، وإن كان كبيراً يجعل صاحبه يتعثر. (C. C. Colten)
- المال غطاء يحجب النقائص.
- ما أكثر أقارب الغني.

- خيانة الأصدقاء، تزيد من اعتمادنا على المال. (W. Shenstone)
- لا تتزوج من أجل المال، خير لك أن تقترض.
- هل فكرت ماذا سيبقى من جمالك. وصحتك، ومالك، ومشاعرك ... بعد مائة سنة؟ (Thomas Jordan)

◈ الزواج :

◈ قالوا عن الزواج :

- العـزاب أفضل الأصدقاء، وأفضل الرؤساء، وأفضل الخدم، غير أنهم ليسوا أفضل المواطنين لأنهم يختفون بسهولة، ويصعب العثور عليهم.
- مـن سـمات المـرأة الصالحة أنها صريحة وأبية، لأنها تعتد بشرف أخلاقها.
- الـزوجة عشـيقة لـزوجها فـي شبابه، ورفيقة له في متوسط عمره، وممرضة له في شيخوخته.
- غالباً ما يكون الزواج عائقاً أمام تحقيق المشاريع الكبيرة.

(فرانسيس بيكون)

- كم من زواج سعيد ولكن غير متكافئ، انفصمت عراه؛ وكم من زوجة شريفة أهينت بسبب نظام مناقض للنظام الطبيعي. (روسو)
- الـزواج يعـني أن يتفق شخصان ليكونا شخصاً واحداً، بأن يتخلى كل واحـد مـنهما عـن عناصر من شخصيته من أجل الاتحاد مع الآخر. وبهـذا يكون الزواج مقيداً للطرفين، غير أنه في الحقيقة يحررهما معاً لأنه يمكنهما من تحقيق الهدف الأسمى لوجودهما. (هيجل)
- إن ضـرورة أن يوفر الأب أسباب العيش للأولاد وطدت أسس الزواج لكي يمكن تحديد الشخص المسؤول.
- العلاقات غير الشرعية بين الرجل والمرأة لا تساعد كثيراً على انتشار الجنس البشري، لأنه يصعب التعرف على الأب، ولأن الأم التي تتحمل مسـؤولية الأطفـال، في هذه الحالة، تواجه عراقيل جمة مثل الشعور بالعـار، والـندم، وكونهـا امـرأة بدون زوجها، كما تنقصها الوسائل الضرورية لتربية الأطفال. (مونتيسكيو)

- قد لا يكون مصير الزواج مضموناً حتى تنجح الزوجة في أن تجعل من الزوج "ولداً" لها، وأن تمثل دور الأم تجاهه.
- إذا كان الزوج شديد الميل إلى أمه، متأثراً بسلوكها، فإن هذا يحيي في نفس زوجته مشاعر الكراهية القديمة تجاه أمها. (عقدة أوديب)
- الزوجة ضرورية لطول عمر الزوج، فهي وعاء لنصف همومه، ولثلثين من مشاكساته. (شارل ريد)
- الزواج قفص، من كان خارجه يود دخوله، ومن كان داخله يود الخروج منه. (ميشيل دي مونتاني)
- الزواج هو أن تحول قصيدة شعرية رائعة إلى قطعة نثرية. (أ. بوجار)
- بقدر ما يزيد حب المرأة لزوجها ، تصلح من شأنه؛ بقدر ما يزيد حب الرجل لزوجته تزداد نزواتها. (مثل صيني)
- لا تشعر بالخيبة بعد الزواج، وتذكر أنَّ العندليب يغني في الربيع ثم يسكت بعد أن تبيض أنثاه. (ت. فولر)
- الشيء الوحيد الذي يفصل بين رجل لطيف وامرأة ساحرة الجمال هو أنهما تزوج كل منهما الآخر. (دي فيلر)
- لست ضد الزواج العاجل إذا كان دخل الزوج كافياً لإطفاء شعلة الحب. (ولكي كولينز)
- أغلال الزواج ثقيلة لابد من شخصين لحملها. (الكنسدر دوما)
- الفتاة التي تتزوج رجلاً مسنّاً مثل المركب الضائع الذي يبحث عن مرفإ يلجأ إليه. (دي ميحار)
- أن تتزوج امرأة تحبها وتحبك معناه أنكما تراهنان على من يتوقف الأول عن حب الآخر. (أ. كامو)
- الزواج مثل المعكرونا، لا يصلح إلا ساخناً. (مثل إيطالي)

- مــن طــلق امــرأته إلا في حالة الفحشاء، عرضها للزنى، ومن تزوج مطلقة فقد زنى. (المسيح عليه السلام)
- الــزواج بالمــرأة الصالحة مرفأ وسط زوبعة، والزوج بالمرأة الشريرة زوبعة في مرفأ. (ج. ب. سين)
- لا يهم كثيراً من هي المرأة التي ستتزوجها ، لأنك في اليوم الثاني بعد الزواج ستجدها شخصاً آخر. (ساموبل روجرز)
- إذا سرق رجل منك زوجتك فأقسى عقاب له أن تتركه يحتفظ بها. (ساشا جيتري)
- إذا كان الحب أعمى فإن الزواج يعيد إليه البصر (ليتنبيرغ)
- قــد يكون الزواج بحيرة تحرك العواصف مياهها، ولكن العزوبية بركة مياهها عكرة. (ت. ل. بيكوك)
- من حسنات الزواج أنه يجعل الشعور بالخيبة أمرا ضرورياً للطرفين. (الكسندر دوما)
- إذا تزوجت فتاة رجلاً مسناً ثرياً فإنها تنعم في النهار وتشقى في الليل، وإذا تزوجت شاباً فقيراً فإنها تشقى في النهار وتنعم في الليل. (دسمارى)
- إذا ركب اثنان فرساً فلابد أن يجلس أحدهما في المقدمة. (شكسبير)
- الــزواج شــركة مكونــة مــن سيد وسيدة، وخادمتين، ولكن المجموع شخصان فقط. (مجهول)
- لا تصلح شؤون الزواج إذا كان الغمد يحكم السيف. (مجهول)
- أقوى ما تكون المرأة عندما تشهر سلاح ضعفها (فولتير).
- ممــا يحطــم الأعصــاب أن يكون المرء لطيفاً كل يوم، مدى الحياة، للشخص نفسه. (ديزرائيلي)

- إذا كنت دائماً مشغولاً مثل النحلة، فإن شخصاً آخر سيسرق "عسلك".
- بوسع الرجل أن يعكر سعادة الأسرة، ولكن ليس بوسعه أن يخلقها، لأن صنع السعادة من اختصاص المرأة.
- عليك أن تفتح عينيك جيداً قبل الزواج، وأن تغمضهما بعده.

(بن يمين فرانكلين)

- اختر زوجتك بقفاز من حرير، واحتفظ بها بقفاز من حديد. (مجهول)
- تتزوج المرأة لتبدأ حياتها، ويتزوج الرجل لينهيها. (مجهول)

◈ خرافات متأصلة :

شـــاهد الإنســـان مـــنذ القدم ظواهر وحوادث غامضة كانت تثير في نفسه الخـــوف والتشـــاؤم تارة، وتبعث فيها الأمل والفضول حيناً. شاهد الشمس والقمر والـــنجوم والشهب والبرق، فلم يدرك حقيقة هذه الأجرام والظواهر البعيدة؛ وعاش بيـــن حيوانات في البر والبحر والسماء، فلم يستطع لسلوكها تفسيراً منطقياً؛ وعاش وسط نباتات وأشجار معجباً بثمارها وأزهارها وألوانها. وكان لابد له، وهو يكافح مـــن أجـــل الـــبقاء، أن يلبس ما شاهد من مخلوقات وظواهر طبيعية في السموات والـــبر والبحار تفسيرات تتناسب مع ظروف حياته، وأن يجعل منها رموزاً للخير أو الشر، يستبشر بها أو يتشاءم من وجودها.

ونشـــأ عـــن تفسيراته السطحية معتقدات وخرافات وتوهمات غامضة، ظل طوال عشرات القرون يلجأ إليها لمواجهة بعض المخاوف والشرور، أو لتجنب ما يســـاوره مـــن قلق نفسي، أو رغبة في التنبؤ بما يخفيه له المستقبل.. الخ. وقد لا يصـــدق الإنسان المعاصر هذه الخرافات بعقله لأنها لا تستند إلى تجارب منطقية، غير أنه يظل يعيرها بعض اهتمامه، وإن كان ذلك لمجرد التسلية والفضول.

وإذا كـــان الإنســـان فـــي الماضـــي ينظر إلى الأجرام السماوية في حيرة وخشـــوع، فقـــد أصبح بعد ذلك يقرأ ما يقول المنجمون أملاً في اكتشاف ما يخفيه الغد، ورغبة في الاطلاع على ظروفه، ومعرفة مشاعر من يحيطون به. وكثيراً ما يتفاءل الناس أو يتشاءمون عندما يقرأون ما تكتبه الجرائد والمجلات عن أبراجهم. ومـــن هذا القبيل قراءة الفنجان، قراءة خطوط تسطر فوق الرمال، إلى غير ذلك. وتتعلق بعض الخرافات المتأصلة بالطيور، إذا كان الناس يعتقدون بأنها ترمز إلى الأرواح، ولذلـــك فهـــي عندما تقع على نافذة أو تدخل منزلاً ثم تطير، يفسر ذلك تشـــاؤما بأن شخصاً سيفارق الأسرة خلال سنة. ومنها أن الغراب إذا طار أمامك نحو الشمال فهو علامة للتشاؤم؛ كما يعتبر صوت البوم نذيراً بحدوث مكروه.

ومن الحيوانات البريئة (وما أكثرها) التي ألصق بها سوء الحظ القط الأسود، إذ يقال إنه له سبعة أعمار وأن من يقتله يعاني سوء الحظ طيلة سبع سنوات، وأنه إذا قطع طريقك قط أسود فذلك علامة سوء. ويزعم بعض من يمارسون السحر أن لبعض أصناف الأفاعي والحرباء والضب (تجفف بعض أجزائها وتستعمل بطرق خاصة حسب زعمهم) فعالية في شفاء أمراض وعلل معينة.

وقد رغب الناس في جميع الأمصار والعصور في وقاية أنفسهم من الأمراض والشرور والحسد والوساوس، ولجأوا إلى أساليب وهمية باطلة لتحقيق ذلك مثل الرقى والطلاسم والتمائم والتعاويذ؛ وكثير من الناس يضعون حدوة الفرس أو "يد فاطمة" على أبواب منازلهم لدفع الشر أو جلب الحظ. ونلاحظ أن بعض الناس يتشاءمون من رقم "13"، فلا يسافرون في ذلك اليوم من الشهر، ولا ينامون في الغرفة رقم "13" في الفندق (كثير من الفنادق تلغي هذا الرقم)، بينما يتفاءلون برقم "7" ، ورقم "12" مثلاً.

ومن الخرافات أن يتشاءم المرء من المرور تحت السلم، والنظر في مرآة مكسورة ، ومن تدفق الملح. ويعتبر البعض رمي حفنة من الأرز على العريس والعروس رمزاً للخير والبركة. ومن الشائع كذلك أن المرء لا يرمي شعر رأسه، أو أظافره أو أجزاء من ملابسه، خوفاً من أن يستخدمها من يحسده للاضرار بصحته.

هناك قديس اسمه جينارو، قتل في مطلع القرن الرابع الميلادي، يعتبر راعي مدينة نابولي في إيطاليا. ومما يحكى عنه أن دمه حفظ في قارورة زجاجية في كاتدرائية نابولي. ومع أن دم القديس تجمد على مر القرون إلا أنه يتحول إلى سائل مراراً عديدة في السنة[1]. ويأتي الناس لمشاهدة هذه الظاهرة الغريبة.

(1) حسب زعم من يستفيدون من توافد الزوار على الكاتدرائية.

ويقولون إنه إذا تحول هذا الدم إلى سائل فهو دليل على رضى الله، وإن ظل جامداً يتشاءم سكان المدينة.

وروى لي صديق خبر عادة غريبة تمارس على الفتيات في سن مبكرة، في بلد عربي بهدف حفظ عفافهن. وأكدت لنا جدة صديقي أنه يستحيل" على الرجل أن يضاجع الفتاة التي خضعت لهذه العملية إلا إذا أجريت لها عملية أخرى لفك "رباطها" وحلّ "عقدتها". وتتم هذه العملية الخرافية المزعجة بطرق مختلفة، حسب المناطق والتقاليد، ومنها أن توضع حدوة فرس مع قطعة من الرصاص في ماء مغلي وتشرب منه الفتاة؛ ومنها أن تجرح المرأة "الخبيرة" ركبتي الفتاة سبعة جروح في كل ركبة، وتضع في كل جرح حبة من الزبيب لتبللها بدم الفتاة، ثم تأكل الفتاة حبات الزبيب الأربع عشرة ملطخة بدمها وهي تردد عبارة مأثورة.

ولم تستطع الأديان ولا العلم القضاء على مثل خرافة ذوبان دم القديس ولا على حكاية صيانة شرف الفتيات لأن الخرافات لا ترتبط بمستوى ثقافة الإنسان ولا حتى بعمق إيمانه، بل هي بقايا معتقدات قديمة كانت مرتبطة بالسحر والشعوذة وبقوى الطبيعة الخفية. ولذلك فعلى الرغم من أن الخرافات بعيدة كل البعد عن المنطق والعلم، نلاحظ أن كثيرا من الناس يحبذونها ويرتاحون لممارستها، لأنها تحدث في نفوسهم تأثيراً معنوياً، يقوي جانب الأمل والاطمئنان، أو يبعد المخاوف والشرور، أو يكشف (في اعتقادهم) خفايا المستقبل.

◈ الأرض ... وغبار النجوم :

كـــثيراً ما يتساءل الإنسان : ما هو أصلنا؟ من أين أتينا؟ وأن يقع كوكبنا في هـــذا الكـــون الفسيح؟ ويأتى الجواب : أبونا آدم، أو أصلنا من حيوان برى، تطور بـــدوره مـــن حيوان بحري. ولكن من أين جاءت المادة الأصلية؟ وما هو مصدر الحياة الأول؟

بعد أن تتكون النجوم تظل بقايا مواد سابحة في الفضاء الواسع بين النجوم، يختـــلف حجمها من ذرات إلى كتل ضخمة مكونة من غبار وغازات، من الحجارة والمعـــادن والثـــلج، تشـــتمل أحيانـــاً على جزئيات عضوية. ويمر الزمن وتتكثف الغازات، وتتكدس المواد الأخرى تحت ضغط شديد، فتنشأ الكواكب.

الأسماك والأشجار، والزواحف والقردة، والعيون الساحرة والخدود الوردية والشـــفاه الغضـــة.. جميعها خلقت من الغبار والغاز والمواد الأخرى السابحة بين النجوم. فنحن أبناء الأرض، والأرض بنت الشمس، والشمس جزء من مجرة درب اللبانة... الخ.

إننا نعيش فوق كوكب صغير كذرة غبار لا تكاد ترى بالنسبة للكون الفسيح. كوكب "هش" بارد وحيد، يسبح في فضاء موحش مظلم ومرعب، لولا نور الشمس ودفؤهـــا. وتجـــدر الإشارة إلى أن الأرض لا تتلقى سوى جزء واحد من مليارين ومئـــتي مليون من طاقة الشمس. ومع ذلك فإن أرضنا، رغم عزلتها، طيبة تزخر بشتى أنواع الحياة.

تكونـــت أرضـــنا منذ 7 , 4 مليار سنة تقريباً. وهي تدور حول نجم أسميناه الشـــمس يبـــلغ عمـــره زهاء 5 ملايين سنة. وقد استنفدت الشمس أكثر من نصف عمرها، لأن النجوم تولد، تعيش ، وتموت . ويؤكد العلماء أن شمسنا ستعيش نحو 5 ملاييـــن ســـنة أخرى، إذ لا يمكنها أن تظل تشتعل دون نهاية لأن مخزنها من الطاقـــة محدود. وتنتج هذه الطاقة عن تحول الهيدروجين إلى هيليوم تحت ضغط حـــرارة هائـــلة، وهـــي عملية تفاعل نووي. وعندما تستهلك طاقتها ستنتفخ ويزيد

حجمها، ويحمر لونها، وتتسع حتى تغطي الكواكب القريبة منها، بما فيها الأرض. وسيكون ذلك يوماً مشهوداً، عصيباً؛ يوم ترجف الأرض والجبال؛ يوم تمور السماء موراً، يوم لا يبقى ولا يذر.

هناك نجوم ضخمة عملاقة ولكنها خفيفة الكثافة، مثل فقاعة الصابون؛ وأخرى صغيرة الحجم ولكنها شديدة الكثافة. نجم يمكن أن يضم في حشاياه عشرة آلاف شمس، وآخر في حجم مدينة غير أن كثافته تساوي مائة ترليون مرة كثافة الرصاص . توجد نجوم منعزلة (مثل شمسنا) وأخرى مثنى وثلاثي يدور بعضها حول البعض الآخر، وهناك نجوم لامعة متوهجة وأخرى لا تكاد ترى . والنجم ذو الضوء الأزرق يكون في ريعان شبابه، وذو الضوء الأصفر في متوسط عمره، وصاحب الضوء الأحمر يكون قد دخل مرحلة الشيخوخة.

كل شيء في هذا الكون يتغير ويتطور، يتكدس ويتكثف ليشكل أجراماً سماوية، ثم يتبعثر ويتحلل ويظل سابحاً في الفضاء، إلى أن تتهيأ ظروف جديدة فتتجمع المواد من جديد لتتكون منها نجوم وكواكب ومجرات. والعامل الذي لا ينبغي أن يهمل في هذا التغيير هو الزمن الطويل، ملايين السنين. فبالنسبة لحياة النجوم وموتها وبعثها من جديد، تبدو حياة الإنسان أقصر من حياة الفراشة، بل كومضة البرق الخاطفة.

أما أين نحن في هذا الكون اللانهائي فإن مجموعتنا الشمسية توجد على حافة ذراع تابع لمجرة حلزونية نسميها مجرة درب اللبانة. ويقع هذا الذراع في ضاحية من ضواحي هذه المجرة، إذ يبعد عن مركزها بنحو ثلاثين ألف سنة ضوئية، ومن المعلوم أن سرعة الضوء ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية. وتشمل مجرتنا نحو أربعمائة مليار نجم، وهي تقع في زاوية من زوايا الكون. ويقول العلماء إن الكون كما نعرفه تكوّن منذ ذلك الانفجار العظيم الذي يعرف "بالانفجار الكبير"(1)، والذي حدث منذ نحو عشرين مليار سنة.

(1) The Big Bang .

يوجـد فـي العالم الآن زهاء مائة مليار مجرة، وكل مجرة تشمل نحو مائة مليار نجم، بالإضافة إلى ما يتناثر بين النجوم من غازات وغبار وحطام. وإذا قلنا إن عـدد الكواكب التي يقدر أنها تتناثر في مداراتها حول النجوم (كالكواكب التي تدور حول شمسنا) تبلغ نحو عشرة مليارات من التريليونات، أي رقم عشرة متبوعاً باثـنين وعشـرين صفراً، فهل من الممكن أن يكون هذا العدد الهائل من الكواكب خالياً من الكائنات الحية؟! أم أن عدداً كبيراً منها يزخر بالحياة مثل كوكبنا؟

وإذا كانت المسافات على الأرض تحسب بالكيلومتر ، فإن البعد بين الأجرام السماوية يقاس بسرعة الضوء التي تبلغ 300 ألف كلم في الثانية.

ففـي ثانية واحدة يدور خيط من الضوء سبع مرات ونصف حول الأرض (محيطهـا 40.000 كـلم). ويقطـع الضوء المسافة بين الشمس والأرض، وهي 149.600.000 كلم في نحو ثماني دقائق.

تـدور الأرض حول محورها بسرعة 100 ميل[1] في الساعة (جرى قياس السـرعة عند خط الاستواء)؛ وهي تدور حول الشمس بسرعة 66, 600 ميل في السـاعة، وتندفع الشمس في الفضاء بسرعة 43, 000 ميل في الساعة؛ أما ذراع مجـرة درب اللـبانة، الذي توجد فيه الشمس فيدور حول مركز المجرة المذكورة بسرعة 630, 000 ميل في الساعة. وتحتاج شمسنا، وما يحيط بها من نجوم إلى نحو 000 , 200, 000 سنة لتتم ذورتها حول عجلة مجرة درب اللبانة.

ويقـول العلماء إن مجرة درب اللبانة، وما حولها، تندفع نحو مجموعة من المجـرات تسمى VIRGO بسرعة 600 كلم في الثانية، وعلى هذا التقدير ستلتحق بها بعد عشرة مليارات عام. كما يذكرون أن شمسنا دارت حول مجرة درب اللبانة عشـرين مـرة، وأن المسـافة مـن الشـمس إلى مركـز المجرة المذكورة تبلغ 30, 000 سـنة ضوئية. وأقرب مجرة حلزونية إلى مجرتنا هي M31 التي تبعد

(1) الميل = 1600 متر .

عــنا بنحو مليوني سنة ضوئية، وتبلغ المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة عشرة تر ليونات كيلو متراً.

وهناك أجرام سماوية نشاهدها اليوم ولكن ليس على حقيقتها الحالية، بل كما كـــانت منذ مائة مليون أو مائتي مليون سنة. ذلك أنه إذا انفجر اليوم نجم يبعد عنا مــليون سنة مثلاً، فإننا سنظل نشاهده كما كان قبل انفجاره خلال مليون سنة، لأن الضـــوء الذي انطلق منه في آخر لحظة قبل "وفاته" يظل ينسكب نحو الأرض لمدة مليون سنة نهايته ، أي قبل أن يصلنا آخر شعاع منذ انفجاره.

إنـــنا نعيـــش على هذا الكوكب الأزرق الجميل، هذه الأرض الطيبة التي ما انفـــك الإنسان يفسدها بسبب جشعه وسوء سلوكه. وهذا الكوكب لا يزيد عن كونه ذرة غـــبار سابحة في هذا الكون المهيب اللانهائي، كون أقل ما يقال عنه إنه يضم نحو عشرة مليارات من التر ليونات من الكواكب، ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

فهرس

القسم الأول

أساطير الأولين

القسم الثاني

أنبياء وحكماء

القسم الثالث

ملوك وغزاة

القسم الرابع

كتاب وعلماء

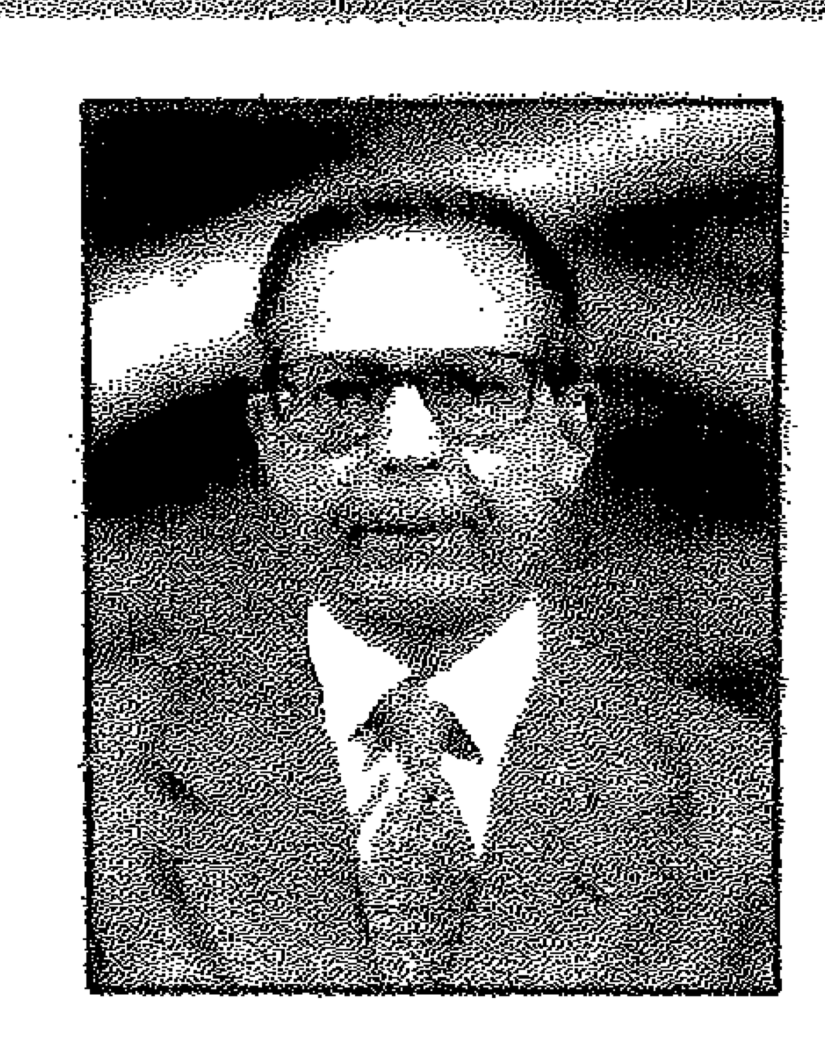
القسم الخامس

حكايات ، قصص ومسرحيات

القسم السادس

موضوعات متنوّعة

الرحلة



نبذة عن المؤلف

ولد الأزرق بن علو في الجزائر، وحصل على :

- ليسانس في العلوم الاجتماعية من جامعة بلغراد (1961).
- ماجستير في العلاقات الدولية من الجامعة الأمريكية بواشنطن (1966).
- عضو البعثة الدبلوماسية الجزائرية في واشنطن (1971 1964).
- مراسل جريدة الشعب الجزائرية في واشنطن (1975 1972).
- موظف بمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة في روما منذ (1979).
- له كتاب الإنسان والقلق.

السعر
15
جنيه

